

الإمام

أخيه في الدين السَّادِق

وَمُصَنَّفَاتُهُ

تأليف

أ.د. طه جابر العلواني

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة



هذا الكتاب

يترجم للإمام فخر الدين الرازي المفسر القيلسوف الكلامي الأصولي النظار، الذي بلغت مؤلفاته التي ثبتت نسبتها إليه مائة وثلاثة وتسعين مؤلفاً، تناولت سائر العلوم المعروفة في زمانه فهو علّم موسوعي. وهذا الكتاب أصله القسم الدراسي الذي قدمت به لكتاب «المحصول في علم أصول الفقه» ولم يُنشر معه في حينها لثلا يتضخم حجم الكتاب، وها نحن نقدمه ونعرّف فيه بالإمام وبكتبه وتراثه الفكري بشكل ميسر غير مخل ولا ممل. وتراجم أعلام مثل الإمام الرازي في عصرنا هذا تشتد الحاجة إليها لتقديم النموذج والمثل من علمائنا وأئمتنا للأجيال الجديدة الطالعة التي يُنتظر أن تتخذ منهم أمثلة ونماذج تنأسى بها وتحذو حذوها في بناء علوم الأمة ومعارفها.

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب. ١٦١ القومية
هاتف: ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٥٩٢٢٨٢ - ٢٤٠٥٤٦٤٢

فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (+٢٠٢)

الإسكندرية - هاتف: ٥٩٢٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٢٢٢٠٤ (+٢٠٢)

www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com

ISBN: 978-977-342-942-3



9 789773 429423 >

الإمام

أَفِيَّ الدِّينِ السَّائِقِ
نَبِيٍّ

وَمُصَنِّفَاتُهُ

تَأَيَّفَ

أ.د. طه جابر العلواني

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة



حكاية حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

للمشاعر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

نصاحبها

عبد الغفار محمود البكار

الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار
الكتب والوثائق القومية - إدارة الشؤون الفنية

العلواني ، طه جابر .

الإمام فخر الدين الرازي ومصنفاته / تأليف طه جابر
العلواني . - ط ١ - القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر
والتوزيع والترجمة ، [٢٠١٠ م] .

٢٣٢ ص : ٢٤ سم .

تدملك ٣ ٩٤٢ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - المفسرون .

٢ - الفخر الرازي ، محمد بن عمر بن الحسن بن
الحسن التيسبي ، (١١٥٠ - ١٢١٠) .

١ - العنوان .

٩٢٢،٢٧

جمهورية مصر العربية - القاهرة الإسكندرية

الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع عمر لطفي مواب شارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للغير

عند الجديفة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشريبي - مدينة نصر

هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢) فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢)

المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢)

المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع

مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢)

المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطي بجوار جمعية الشبان المسلمون

هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣)

بوينت : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغوية - الرمز البريدي ١١٦٣٩

البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com

موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.ع

تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت
على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة
أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ،
٢٠٠١م هي عشر جائزة تنويها لعقد
ثالث مئة في صناعة النشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



فَهْرَسُ الْمَحْتَوَاتِ

٥	مقدمة
٧	فخر الدين الرازي والتصوف
٢١	تمهيد: عصر الرازي

الباب الأول: في حياة الإمام فخر الدين الرازي

٢٩	* الفصل الأول: في حياة الرازي الإنسان
٢٩	المبحث الأول: اسمه ونسبه
٣٢	المبحث الثاني: مولده
٣٤	المبحث الثالث: مكان ولادته
٣٦	المبحث الرابع: أسرته
٣٨	المبحث الخامس: نشأته
٤٢	المبحث السادس: تحلقه وتحلقه
٤٨	المبحث السابع: عقيدته ومذهبه
٥٥	المبحث الثامن: تقاه وورعه
٦٢	المبحث التاسع: ثروته ومصادرها
٦٦	المبحث العاشر: وصيته
٦٩	المبحث الحادي عشر: وفاته
٧١	المبحث الثاني عشر: مدفنه
٧٣	* الفصل الثاني: في حياة الفخر العلمية
٧٣	المبحث الأول: في رحلاته في طلب العلم
٧٤	المبحث الثاني: في رحلاته بعد الطلب، ومناظراته
٧٨	المبحث الثالث: في مصادر ثقافته

المبحث الرابع: في علوم الرازي المختلفة ٨٤

الباب الثاني، في شيوخ الرازي وتلاميذه

* الفصل الأول: في شيوخه ١٠٥

* الفصل الثاني: في تلاميذه ١١٣

الباب الثالث، في مصنفات الرازي

تمهيد ١٢١

* الفصل الأول: في ذكر المصنفات المنسوبة له مرتبة على حروف المعجم ١٣١

* الفصل الثاني: في تحقيق نسبة كل كتاب مقسمة على العلوم ١٤٣

* الفصل الثالث: في مصنفات الفخر في أصول الفقه ٢١٩

خاتمة ٢٢٨

السيرة الذاتية للمؤلف ٢٣٠



مقدمة

لست من الراغبين في الكتابة في المناقب والمثالب، فذلك أمر كنت أحاول تجنبه، لأنني منذ كنت في مرحلة الدراسة والطلب أرى فيه تدعيماً لظاهرة الشخصية: شخصية الأفكار والمذاهب، وتكريساً لظاهرة الفردية في ذلك؛ وهما ظاهرتان سلبيتان طالما عانينا من انتشارهما عبر تاريخنا. فنجد كاتباً في المناقب يصف عالماً بأوصاف قد لا يتصف بها إلا المصطفين الأخيار، ونجد كاتباً في المثالب يصف ذلك العالم نفسه بأوصاف تخرجه في بعض الأحيان من دائرة الإنسانية - كلها - لا من دائرة العلم والفقه والفكر فقط.

وكتب الطبقات والمناقب والمثالب حافلة بالنماذج والأمثلة الكثيرة على ما ذكرناه. إن أنساب الأفكار وأصانيتها، ومعرفة بدايتها، ووقت ظهورها، ومن ظهرت الأفكار - أولاً - على ألسنتهم وبأقلامهم، هذه أمور حسنة نافعة كثيرة الفوائد، ولا تنفصل عن "جينولوجيا النخب" كما تسميه فيلسوفتنا الراحلة أم الفضل منى أبو الفضل، وهو أمر ضروري للتعريف بالأفكار وتاريخها وأنسابها وسيرورتها، ثم فتح الطريق أمام الأجيال المطالعة للاستفادة بها والبناء عليها.

كانت كتاباتي عن الإمام الرازي تعد استثناءً مما ذكرت فقد ألزمني أستاذي الذي أشرف عليّ في إعداد رسالتي للدكتوراه بها، وقد كنت اخترت تحقيق الجزء الأول من «المحصول من علم أصول الفقه» للإمام الرازي. فقال الشيخ لا بد من إعداد دراسة وافية عن حياة الإمام وكتبه وعلومه وأهم ما انفرد به من الآراء الأصولية، ولم يكن لي خيار فتوكلت على الله، وشرعت في التحقيق والكتابة التي اعتبرها - وحدها - بمثابة رسالة تامة كاملة. لو قدمتها كما هي لأية جامعة غربية نلت بها - وحدها - درجة الدكتوراه وقد وجدت أن ما كتبه قد كتب مثله ثلاثة باحثين؛ فكتب د. محسن عبد الحميد رسالته للدكتوراه: «الرازي مفسراً»، وكتب المرحوم محمد صالح الزركان «الرازي وآراؤه الفلسفية»، وكتب باحث عراقي «الرازي بلاغياً»؛ فشجعني أن أكتب في: «الرازي أصولياً» لكن شيوخني لم يمل إلى ذلك إلا بشرط تحقيق الجزء الأول من المحصول مع الدراسة ففعلت مستعيناً بالله - تعالى - ونثرت ما انفرد به من آراء أصولية في حواشي وتعليقاتي وشروحي على المحصول. ووفقتي الله - بعد ذلك - لتحقيق الجزء الثاني من المحصول.

ولما عيّنت أستاذًا للفقه وأصوله بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض عام (١٩٧٦م) طلب مدير الجامعة - آنذاك - الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي الكتاب لينشر بنفقة الجامعة؛ إذ إن جامعة الأزهر رغم توصية لجنة المناقشة بطباعته ونشره وتبادلته مع الجامعات لم تتمكن من تنفيذ ذلك لكبر حجم الكتاب وارتفاع تكلفه طباعته، فرأت جامعة الإمام مشكورة أن تفعل ذلك فجزاها الله خيرًا. ولما أحال مدير الجامعة الكتاب إلى اللجنة الفاحصة رحبت بطباعة الكتاب المحقق، ورفض أحد الأعضاء طباعة الدراسة، بحجة أن الكاتب قد فضل الرازي على ابن تيمية، واعتبر ذلك دليلًا على أشعرية العلواني التي تقتضي فسخ عقده وتسفيره. وتعامل الدكتور التركي مع الموضوع بلباقته، فأعاد لي القسم الخاص بالإمام الرازي لطباعته في وقت لاحق أو في مكان آخر، والاقتصار على طباعة النص المحقق بمقدمة وجيزة. ومنذ ذلك التاريخ وأنا أتحين الفرص لإعداد الكتاب للنشر فلا أجد الوقت الكافي لذلك. ولما أعدت النظر فيه وجدت الكتاب جاهزًا ومفيدًا - بإذن الله - لإعطاء فكرة عن هذا الإمام الموسوعي من أئمة المسلمين الذي ما ترك علمًا من العلوم المنتشرة في عصره إلا كتب فيه كتابًا أو أكثر، فكانت كتبه التي ثبتت نسبتها إليه (١٩٣) تناولت مائة علم من العلوم التي عرفتها البشرية في عصره.

كما أنني اكتشفت بعض الأسباب الإضافية لحقد بعض معاصريه عليه، ألا وهو «تصوفه» إضافة إلى أشعريته وشافعيته، وغناه وثرانه وقربه من حكام عصره، وتسابقهم على كسبه. وتوفيقه في كتبه وغلاء أثمانها.

وقد رأيت أن أعهد لأخي وصديقي أ.د. وليد منير بإعداد المقدمة أو التمهيد والإبانة بها عن تصوفه - خاصة - لعل في ذلك ما يزيد في إيضاح وتحلية معالم هذه الشخصية العجيبة. إن الكتاب سيصدر - بإذن الله تعالى - عن دار السلام التي تعد الطبعة الرابعة لكتاب «المحصول في علم أصول الفقه» بعد أن نغدت الطبعتان الأولى؛ وهي طبعة جامعة الإمام. والثانية والثالثة؛ وهما طبعتا مؤسسة الرسالة اللتان كانتا بنفقتنا. فترجو الله أن ينفع بالكتاب طلبة العلم، ولا يجرمنا أجره. إنه سميع مجيب.

وكتبه

أ.د. طه جابر العلواني



فخر الدين الرازي والتصوف

د. وليد منير

عاش الإمام الرازي (٦٢) سنة أمضاها بين علوم العقل والنقل، وكان فيها أوحده زمانه في علوم التفسير وغيرها إلى الحد الذي بهر بعض المستشرقين؛ كجاك بيرك الذي وصفه في كتابه (إعادة قراءة القرآن) بأنه عالم اللاهوت الكبير الذي انتصر لبيان القرآن وأعجازه بما قدم من إسهام حيّ وفريد.

يبد أن لشخصية الرازي بعداً آخر هو التصوف. وهذا البعد ليس خفياً وإن غلبت عليه - عند المؤرخين - الأبعاد الأخرى. كما أن تباين الروايات عن مواقفه وأحواله وأحداث حياته التي لوّنها تصوفه قد تجعل المرء في حيرة، فليس أدعى إلى الارتباك من تناقض الروايات وتنافر الأخبار. ولكن المرء قد يطمئن، بعد غربة هذه الروايات والأخبار، إلى ما هو مشترك بينها مما يجعلها أقرب إلى الحقيقة التاريخية. وهذه الغربة تكون بالعرض المتبادل، والمقارنة، ومراجعة تاريخ حدوث الحدث، وترجيح فعل على الأفعال الأخرى تبعاً لطبيعة الشخصية، ومشرها، ومنظورها.

أخذ فخر الدين الرازي « التلقين » عن محمد الدين البغدادي الذي أخذ « التلقين » عن القطب الصوفي الكبير نجم الدين الكبرى. وبرغم ذلك فقد التقى الرازي شيخه نجم الدين، وصحبه، وصار من محبيه.

ولكن فخر الدين كان يتميز ببعض الغرور والإعجاب بالذات؛ (وهما مقتلان أصليان في قواعد السلوك الصوفي)، فاتفق له مرة أن سأل الشيخ نجم الدين عن علم المعرفة، فقال: واردات ترد على النفوس، تعجز النفوس عن ردها. فسأله: كيف الوصول إلى إدراك ذلك؟ فقال القطب نجم الدين (وكأنه قرأ شخصية الرازي وفهمها): بترك ما أنت فيه من الرياسة والحفظ؛ فقال الرازي: هذا ما لا أقدر عليه. ثم انصرف واجماً.

ويقال إن علاقة الرازي بمجد الدين البغدادي نفسه (وهو الشيخ المباشر له) لم تسلم

من مبادعات ومشاحنات. وهذا يدلُّ على أن الرازي لم يكن متصوفاً خالص الروح تماماً لما ينبغي أن يكون عليه التصوف من علاقة بين الأستاذ والتلميذ أو بين الشيخ والمريد، ولكنه كان محباً للسالكين وطريقتهم في تصفية النفس، وتوظيف إمكانات الروح في معرفة الحق تعالى، والقرب منه.

وإذا ما سلّمنا - مع التجاوز - أن الرازي يُعدُّ ضمن الصوفية، فإن أفكاره - بالطبع - لن تحيد عن أفكار مجد الدين البغدادي ونجم الدين كبرى هذا الشأن. وإلى جانب التفسير المسمى: بـ (مفاتيح الغيب) فإن للرازي كتاباً بعنوان: (اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين) خصّص فيه باباً للتصوف والمتصوفة بحسب فرقهم ومدارسهم ورؤاهم وأحوالهم.

ويبدو أن الفكرة الرئيسية في هذا الباب هي فكرة نجم الدين كبرى أن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق (كتاب أقرب الطرق إلى الله لنجم الدين الكبري)، وهي فكرة لا تنفصل عن فكرة مجد الدين البغدادي في (رسالة سفر)؛ أي السفر من العالم الترابي إلى عالم الملكوت، وكيفياته الروحية.

كان عقل الرازي أكبر من روحه، ولكنه كان يحاول جاهداً أن يستنفر روحه ويستحثّها لكي تصبح في مستوى عقله. ويبدو لي أن طموح الرازي إلى هذه الحالة من التكافؤ قد مثّل صراعه الDRAMATIC مع ذاته أوضح تمثيل ممكن. لقد كان شخصية قلقة ولكنها تحنّ إلى العظمائية، مُعتدّة بمخزون معرفتها، ولكنها تحنّ إلى أسرار الباطن.

يقول الرازي في الباب الثامن من كتابه: (اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين) مصنفًا جماعات الصوفية وفرقها:

الْبَابُ الثَّامِنُ

في أحوال الصوفية

اعلم أن أكثر من قصّ فرق الأمة لم يذكر الصوفية وذلك خطأ؛ لأن حاصل قول الصوفية أن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية. وهذا طريق حسن، وهم فرق:

الأولي: أصحاب العادات:

وهم قوم منتهى أمرهم وغايته تزيين الظاهر، كلبس الخرقة وتسوية السجادة.

الثانية: أصحاب العبادات:

وهم قوم يشتغلون بالزهد والعبادة مع ترك سائر الأشغال.

الثالثة: أصحاب الحقيقة:

وهم قوم إذا فرغوا من أداء الفرائض لم يشتغلوا بنوافل العبادات، بل بالفكر وتجريد النفس عن العلائق الجسدية. وهم يجتهدون أن لا يخلو سرهم وبالم عن ذكر الله تعالى. وهؤلاء خير فرق الأدمين.

الرابعة: النورية:

وهم طائفة يقولون: إن الحجاب حجابان توري وناري؛ أمّا النوري فالاشتغال باكتساب الصفات المحمودة؛ كالطوكل والشوق والتسليم والمراقبة والأنس والوحدة والحالة. أما الناري فالاشتغال بالشهوة والغضب والحرص والأمل؛ لأن هذه الصفات صفات نارية، كما أن إبليس لما كان نارياً، فلا جرم وقع في الحسد.

الخامسة: الحلولية:

وهم طائفة من هؤلاء القوم الذين ذكرناهم يرون في أنفسهم أحوالاً عجيبة وليس هم من العلوم العقلية نصيب وافر. فيتوهمون أنه حصل لهم الحلول أو الاتحاد، فيدعون دعاوى عظيمة^(١). وأول من أظهر هذه المقالة في الإسلام الروافض؛ فإنهم ادعوا الحلول في حق أئمتهم.

السادسة: الباحية:

وهم قوم يحفظون طامات لا أصل لها، وتلبسات في الحقيقة وهم يدعون محبة

(١) ذكر أكثر المتكلمين أن من الحلولية: الحسين بن منصور الخلاج، وهو من أرض فارس من بلدة يقال لها بيضاء.. أمّا الفقهاء فقد اختلفوا في حال الخلاج. وكان في أول أمره يتكلم على لسان الصوفية، ويتعاطى العبارات التي تسميها الصوفية الشطح، وهو أن يتكلم بكلام يحتمل معنيين، أحدهما مذموم والآخر محمود، ويقال: إن جماعة من خواص المقتدر خدعوا به، فخالف المقتدر فتنه، فعرض حاله على الفقهاء، واستفتى فيه الفقهاء، فأفتى القاضي أبو عمر بقتله، فضربه ألف سوط، وقطعت يده ورجلاه، وصلب يوم الثلاثاء ثلاث بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة، ثم أمر فأنزل من خشبته وأحرق وطرح رماده في دجلة. وقالوا عنه إنه قال: «من مذهب نفسه في الطاعة، وصبر على الشهوات واللذات، ارتقى إلى مقام المقربين، ثم لا يزال يصفو ويرتقي في درجات المصافاة حتى يصفو عن البشرية؛ فإذا لم يبق فيه حظ من البشرية حلّ فيه الإله الذي حلّ في عيسى ابن مريم، ولم يرد حبس شتاً إلا كان كما أراد، وكان جميع فعله فعل الله».

اللَّهِ تعالى، وليس لهم نصيب من شيء من الحقائق، بل يخالفون الشريعة. ويقولون إن الحبيب رفع عنه التكليف، وهو الأشر من الطوائف، وهم على الحقيقة على دين مزدك، كما سنذكر بعد هذا.

○ وواضح من كلام الرازي عن خير الفرق وأفضلها؛ (وهي الفرقة الثالثة ومن أسماهم) أصحاب الحقيقة « أن ذكر السرِّ (وهو مرقى من المراقى العالية) فضلٌ عظيمٌ قد وهبه الله - تعالى - لهؤلاء الذين تجردوا عن علائق الجسد، وصفقوا النفس من شوائب الماديّات، وشغلوا أنفسهم بالتفكير والتدبر والتبشُّر في ملكوت الحق.

ولا يخفى أن هذه الفكرة (وإن كانت مشتركة بين مدارس السلوك الصوفي) لها شحذها الخاص، ومددها القوي، وأثرها المائن عند نجم الدين كبرى، خاصة في كتابه: (فوائح الجبال وفوائح الجلال)، وما توسّع فيه كلام كبرى عند حديثه ضمن هذا المجال قوله:

مسألة: (في مراقي الذكر)

إذا أخذ الذاكر في التذكُّر، ووقع التذكُّر إلى القلب، وانفتحت بصيرته، وأنس إلى الخلوة - وما يخرج منها إلا بحاجة ثم يدخلها ويشرع في التذكُّر - هجمت عليه جنود الذكر كأنها رجلٌ^(١) من جرّاد لها رتّة كرّته، تهجم عليه من ورائه، حتى تحوم حواليه مثل النار على الحطب؛ وربما يخرج من الخلوة بالليل ويمشي في الصحراء، فيرى مدّ البصر ميمنةً وميسرةً عنه، وهو في القلب مثل السلطان. وربما تهجم عليه الواردات بالليل، خارج الخلوة، حتى تغيب عنه الجمادات، فلا يشاهد إلا زجاجاً في زجاج؛ وذلك نهاية صفاء الوجود - أن يكون في لون الزجاج - وحبيته: يرى شمس الروح من ورائه.

إن في جوف الأرض ناراً، وفي أوج السماء ناراً؛ فإذا صار القلب مكمّن نيران الذكر والشوق والعشق، نزلت إليه نيران، ونبتت من الأرض نيران كالشرر من الكورة^(٢)!

(معاينة):

ودار الإخلاص - وهي دار من ذهب^(٣) - لا يعبر إليها السّيّار إلّا بعد خرق أنواع الوجود،

(١) الرّجل: الطائفة من الشيء، وخَصَّ بعض أهل اللغة به القطعة العظيمة من الجراد، والجمع أرجال. وفي الحديث الشريف: « كأن نبلهم رجل جرّاد »، لسان العرب (١/ ١٣٤).

(٢) يقصد: نور الحُداد، وهو الذي فيه الجمر، وتوفد فيه النار.. وللکلمة معاني أخرى عديدة، انظر: لسان العرب (٣/ ٣١٢).

(٣) يقصد: من مات.

والوجود يأتي شبه الترس المدور بين يدي السَّيَّار، فلا يَعْبُرُهُ حتى يذوق الموت؛ وذلك مذاق الهيمية.. وقد عبرتُ إليها - لا باختيار مني، بل عَبَّرْتُ إليها - فذقتُ مذاق الموت، ثم بلغتني الراحة لما وقع بصري على تلك الحضرة. وقد أَلْهِمْتُ أنها حَضْرَةُ الرَّحْمَةِ، وفيها شيخُ أَلْهِمْتُ أنه الرضوان، وفيها جماعةٌ من الأيَّكار أَلْهِمْتُ أنهم الحور العين - لما أبصرني بادرن بالحجاب، إلا واحدةً منهم - وكأني ملفوفٌ في كفنٍ، أطير بين السماء والأرض، مستخلصاً من أنقال التراب.

فلما دنوتُ من الأرض، بلغتني تلك العينا^(١)؛ فأجلستني على كرسي، ثم قام الشيخُ إليَّ، فجلس وراء ظهري، فغمزني وهمس في قلبي: تأله إلى ربِّك! ففهمتُ أنه أُرْسِلَني إلى حَضْرَةِ الرَّبُّوبِيَّةِ وَالْأَلُوْهِمِيَّةِ. ثم رجعتُ إلى الوجود وأنا ملآن من الآله^(٢) والشوق واليقين، مستريحٌ من كل تعب.

(عودٌ إلى مراقي الذكر):

إذا استخلص القلب والروح من الأجزاء الثرابية، وقويا بالروحانية، وداوم السَّيَّار على الجلوس والسهر والذكر؛ فإذا وضع يَدَيْهُ على الأرض لينام، أحسن - قطعاً - أنه قاعدٌ بذكر الله ﷻ، مع أنه مضطجعٌ على الأرض! فيتعجبُ من ذلك كل العجب، ثم يلتمس كيف يتصوَّر ذلك، فيعود القاعد إلى المضطجع فيجتمعان. وهكذا من تعود القيام، ثم قعد، أحسن أنه قائمٌ؛ وحينئذٍ يتجلَّى له ﴿ أَلْحَى الْقَيُّومُ ﴾ الذي ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾. وكذلك الدائم القائم، القائم الدائم.

أمَّا في أوائل السير، فإنَّه يترك الاختيار في النوم، فلا ينام باختياره حتى يضجعه رقباء الرحمة؛ فيستيقظ وهو مضطجع، أو يستيقظ وهو في السجود. فإن انتبه وهو مضطجعٌ على السَّيَّار، فهو أحسن حالاً من ينام بالاختيار؛ واليمين أحسن من اليسار، والسجود أحسن من الكل.. هذا؛ لأجل أن النفس مُدَسَّسَةٌ بالتراب، والتراب يطلب التراب؛ فإذا استخلصت من التراب، كان حالها ما ذكرنا.

وأما حالة السَّيَّار بين المرتبتين - بين أول السير ونهايته - فهي أنه لا يُنَوِّم، ولا يُضجع؛ فإذا اضطجع باختياره، شاهد جنود الذكر حاموا حواليه ومن فوقه، ويسمع منهم رَنَّةً

(١) أي: تلك التي لم تنادر إلى الخجاب من الحور العين.

(٢) بقصد: التأله.

كَرَّةَ النحل أو دويِّ الرياح، فلا يقدر أن ينام، لفرار النوم من الأصوات.. وذلك حين ضعف الحواس الظاهرة، وقُوَّة الحواس الباطنة: حواس القلب.

○ عما لا شك فيه أن هذا الكلام لنجم الدين الكبرى يُمَثَّلُ قطاعاً من فلسفة الإلهيات العالية التي تتصل بالتحلي الإلهي صفةً وشهوداً. وهذه الفلسفة قد غمرت، في ظلها، روح الرازي، وأخذت بلبسها، وحادت به درجات عن صرامة المنطق العقلي الكلامي صَبِيحَ الحدود، وعُجِبَ العلم الظاهر الذي يشبه سطح البحر، وصاحبه جاهلٌ بأعماقه وكنوزها. وللتفري - رحمه الله - قولٌ يصيب كالسهم كبد الحقيقة: «العلم حدود، بين كل حدين جهل».

كان الرازي قد أدرك ذلك - كله - على يد مجد الدين الجيلي البغدادي ونجم الدين الكبرى كليهما، ولكنه وقف على الشاطئ في تردُّدٍ إذ لم يستطع أن يتخلَّص بالكلية من إحساسه بالآثما الفرد. ولقد كان لبعض كبار الصوفية الإحساس نفسه مع فاروق خطير هو أن هؤلاء قد فنوا أولاً عن أنفسهم وعن حظوظهم، وفرغوا غاماً من دنياهم، فحقَّ لهم أن يروا أنواتهم؛ وقد ذابت في نور تحلي الرحانية، وفيض مدد القدوسية، فقالوا ما قالوا^(١).

بيد أن عالم التصوف والصوفية قد أثرى - في ظني - فكر الرازي وأضاف إليه أبعاداً مهمة، فلم يعد واحدي النظر أو الفهم، كما أتاح له التعلُّم والتحليل عن طريق المشاركة. والطريف أن ذلك مما يُعَدُّ الآن أسلوباً جديداً للمعرفة في تيارات علم الاجتماع الحديثة ومدارسه. وجملة القول كما يقول «إدريس شاه» في كتابه: «(الصوفيون) أن: كل العملية من المعلم إلى التعليم إلى المتعلم ليست سوى ظاهرة واحدة منفردة.

إن تجربة الانتماء الصوفي، ومهما كانت درجة مصداقيتها وإخلاصها عند الرازي، قد أرهفت - بشكل أو بآخر - من حساسيته الفلسفية، وخلعت عليه نوعاً - أيًا كان قدره - من البصيرة والتبصر والاستشفاف. وهذا أمر لا يُستهان به عند قياس تأثير الرجال.

وُجِدَ الرازي أيضًا في مجتمع الصوفية، وعلى وجه التحديد جماعة مريدي نجم الدين الكبرى - في ظل مناخ سياسيٍّ متداعٍ وأخذ في الانهيار الخثيث؛ إذ أخذت في الغروب مرحلة مجيدة من تاريخ الأمة، لتولد مرحلة ضبابية خانقة انتهت بتهديد المغول للبلدان الإسلامية.

(١) من ذلك مثلاً قول أبي يزيد: ذهبت فضررت خيمتي بحداة العرش، وقول التستلي: أنا النقطة التي تحت الباء. وقول شمس الدين الحنفي: نحن أسرار الوجود، وقول الخلاج: رأيت ربي يعين قلبي فقال: من أنت؟ قلت: أنت.... إلخ. وتُعرف هذه الظاهرة باسم ظاهرة الشطح.

ويقال إنه قيل للشيخ نجم الدين الكبرى: لماذا لا تدعوا يا شيخ برفع هذا البلاء؟ فقال: هذا قضاء محكم لا ينفع فيه الدعاء، هيا اذهبوا أنتم أما أنا فسوف أقتل هنا. وبالفعل فقد هاجم المغول خوارزم فخرج أهلها لقتالهم، وخرج الشيخ نجم الدين معهم فقاتل حتى قُتِل وهو ممسك بخصلة من شعر مغولي لم يستطع الرجال تخليصها من يده إلا بقطع هذه الخصلة.

ولهذا المناخ السياسي المتحول من القمة إلى القاع في التجربة الصوفية العامة دلالة خطيرة. ولا بد أنه كان لهذه الدلالة الخطيرة أثرها على ثقة الأمة بنفسها وكيونتها. ولا بد أن لحظة سقوط بغداد مهد الخلافة الإسلامية في آخر سجالات المعركة بين المسلمين والمغول كانت نقطة الانهيار المناغي الأخيرة في جسد الأمة. ولكن الرازي - رحمه الله - مات قبل كل ذلك (٦٠٦هـ). ويرغم أنه شهد بدايات الضعف والتصدع، فشقَّ على نفسه ما شهد، إلا أنه لم يُفَجَّع بمقتل شيخه الأكبر نجم الدين كبرى (٦١٨هـ)، ولا بسقوط بغداد (٦٥٦هـ). وكان هذا كان نوعاً من رفق الله - تعالى - به، ورحمته إياه. فمما لا شك فيه أن الرازي كان محباً على قدم الصديق للشيخ نجم الدين كبرى، وإن لم يحتمل تبعات الاتباع الخالص، كما كان محباً للأمة مجسدة في رمزها الأمل: (الخلافة)، معتبراً إياها أمة الخلاص أو الأمة الشاهدة أو الأمة الخاتمة أو الأمة القطب باصطلاح الصوفية.

ومن الطريف الغريبة أن الرازي كان يعظ باللسانين العربي والعجمي، وكان يلحقه الوجد حال الروعظ ويكثر البكاء. وكان حجة في التفسير والفقه والكلام والأصول والطب. وقد اشتغل على والده ضياء الدين عمر، وكان شافعي المذهب، أشعري العقيدة، وعلى سليمان بن ناصر الأنصاري، ثم قصد - بعد وفاة والده - الكمال السمناني فاشتغل عليه مدة ثم عاد إلى الري، واشتغل على المجدد الجليي. وقد قال الشعر أيضاً، فكان من أشهر ما قاله:

نهاية إقدام العقول عقائل	وأكثر سعي العالمين ضلال
فأرواحنا في وحشة من جومنا	وحاصل دياننا أذى ووبال
ولم نسنفد من بحثنا طول عمرنا	سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم من جبال قد علت شرفانها	رجال فزالوا والجبال جبال
وكم قد رأينا من رجال ودولية	فبادوا جميعاً مزعجين وزالوا !!

وقد نرى الحنين إلى التصوف ماثلاً في هذه الآيات، وتتنظم في سلكه معانٍ كمحدودية العقل، ووحشة الروح الأسيرة لمادة البدن، ووبال الدنيا، وزوال الرجال والدول، وكلها معانٍ صوفية، في جوهرها، قد تذكرونا بمنشأ الجذور الصوفية في شطر من أحاديث النبي ﷺ؛ كقوله ﷺ: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه»، وقوله: «كن في الدنيا كأنك ضال أو عابر سبيل»، وقوله: «جاءني جبريل؛ فقال يا محمد: عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه»، وقوله: «يطوي الله تعالى السماوات بيمينه، ويقول: أنا الجبار. أين الجبابرة؟ أنا الملك. أين ملوك الأرض؟». وقوله: «دَرِ الناسِ جانباً، واتخذ الله صاحباً...» إلى آخر ذلك من نظائره هذه الأحاديث الصحيحة الموحية.

وقد أسس الصوفية على قوله تعالى: ﴿وَمَا أَلْبِسُوا الذِّينَ إِلَّا مَتَاعَ الْفُتُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وأمثال الأحاديث السابقة فلسفةً كاملةً في المعرفة، وفي الإخلاص، وفي الهمة، وفي المحبة، اطلَّع عليها الرازي نفسه من خلال مصاحبته لمجد الدين البغدادي والشيخ نجم الدين كبرى.

ومما احتوت عليه وصيته من دعاءٍ هو أقرب إلى الروح الصوفي منه إلى أي شيء آخر: يا إله العالمين. إني أرى اخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين. فكل ما مرَّ به قلبي أو خطر في بالي فأستشهد وأقول: إن علمت مني أني ما سعيت إلا في تقديس الحق، وتصورت ما اعتقدت أنه الصدق؛ فلنكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلتي، فذاك جهد المقل. وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في زلة، فأغثني وارحمي، واستر زلتي، وامح حوبتي، يا من لا يزيد ملكه عرفان العارفين، ولا ينقص ملكه بخطأ المجرمين.

وقد ضمَّن في تفسيره المعروف باسم: (مفاتيح الغيب) محاولته الرائدة في التوفيق بين الفلسفة والدين، فكان عملاً مدهشاً وسباقاً ولافتاً.

و (مفاتيح الغيب) ليس تفسيراً صوفياً للقرآن، ولكنه ينطوي على قانونٍ في التصوُّر الصوفي، فجزء مهم من التصوف النظري قد قام على أساس هذا التوفيق نفسه بطرائق مختلفة. وكان هذا التوفيق قد مثل نقطة تماسٍ أخرى بين شخصية الرازي العلمية والتصوف.

ولأن نقطة التماس تلك تحظى بفرادة دالة عند أقطاب الصوفية الكبار ومنهم نجم الدين الكبرى، فسوف تناوئها بتدقيق أكبر، وتوسُّع مُسهَّب بعض الشيء.

يُرسى التصوف قاعدة بين الفلسفة والدين مفادها أن لكل ظاهري باطنًا، وأن جوهر الإشراف - تبعًا لذلك - هو فلسفة الدين، ومن السهل أن نلمس ذلك في نصوص ابن عربي والجيلي والنفري وغيرهم... وبهتني أن أورد هنا قبسات فكرية لنجم الدين الكبري شيخ الرازي ودليله؛ أوهها قوله:

الذوق والمشاهدة ثابتان معًا، إلّا أن المشاهدة سببها فتح البصيرة يكشف الغطاء عنها، والذوق سببه تبديل الوجود والأرواح، والذوق هو الوجدان بما يأتيك؛ ويدخل في هذا التبديل، تبديل الحواس، فإن الحواس الخمس تتبدل بحواس أخرى، ومثاله النوم، وهو ثابت في حق العامة....

فما يجده العامي في منامه - بحسب وجوده الأدنى - يجده السّيّار بين اليقظة والمنام؛ لضعف وجوده الخسيس، وقوة وجوده الشريف النفيس، ثم يقوى هذا الوجود الشريف، فيقع الفعل إلى عالم الشهادة، فيطير، ويمشي على الماء، ويدخل النار فلا تضره، ويرى ويسمع ويأخذ ويصعد وينزل ويتصرف بيد الهمة.. والحاضر معه، محجوبٌ بالوجود الكثيف لا يجد ذلك.

○ هذا إذن هو السبب في قول الرازي: « نهاية إقدام المعقول عقلاً »، والسبب في قوله: « فأرواحنا في وحشة من جسامنا ».

يقول نجم الدين كبرى أيضًا:

الاستغراق الأول؛ استغراق الوجود في الذكر؛ وهذا يكون إذا احترقت الأجزاء الخبيثة وبقيت الأجزاء الطيبة، سمعت حينئذ ذكر الوجود فتسمع من كل جزء ذكرًا؛ كأنه ينفخ في بوق أو يضرب دبلبة (طيلة).

وقبل الاستقامة، يقع الذكر أولًا في دائرة الرأس - لأنها مصعده - فتجد فيه صوت الدبابدب والكوس والبوق. والذكر سلطان، إذا نزل موضعا، نزل بدبابده وبوقاته، حتى ربما ينتهي الأمر إلى أن يُجنّ.

وبعد هذا (أي الاستغراق الثاني) يفتح الذكر بابًا من فود الرأس، فواره، شبه الدائرة... وعند ذلك يتطلق القلب، ويرغب إلى الربّ جلّ جلاله - عند الصحة - فيستغرق الذكر في القلب، لا استغراق الغناء؛ بل استغراق الوقوع فيه، فيحسّ من القلب كأنه قليب، والذكر دلو يقع فيه، فيسقى الماء منه.

أمّا الاستغراق الثالث؛ فهو غيبة الذاكر عن الذاكر في المذكور؛ فذكره الغيبان والغرق فيه. ومن علاماته (أي ذكر السر) أنك إذا تركت الذاكر لم يتركك الذكر، وذلك طيران الذاكر فيك، لينبهك عن الغيبة إلى الحضور.

ويقول كبرى ثالثاً:

اعلم أن النفس والشيطان والملّك ليست أشياء خارجة عنك؛ بل أنت هم. وكذلك السماء والأرض والكروبي، ليست أشياء خارجة عنك، ولا الجنة والنار ولا الموت ولا الحياة، إنها هي أشياء فيك، فإذا سرت وصفوت، تبيّنت ذلك.

ويقول كبرى أخيراً:

العشق نار تحرق الحشأ والكبد، وتطيش العقل، وتعمي البصر، وتذهب السمع، وتهوّن ركوب الأهوال، وتجمع الهمّة على المعشوق، فيذهب النظام، ويدوم الهيام، ويطيب الموت، ويورث النسيان.. ويودّ المحب ألا يكون حبيبته حتى لا يصل إليه غيره... وقد يغنى العاشق في المعشوق، فيكون العاشق هو العشق. ثم يغنى العشق في المعشوق.

○ لا بد أن الرّازي قد استوعب هذه القبسات الفكرية جيّداً: الذوق والمشاهدة، درجات الذاكر، كلية الإنسان والوجود الواحدة، العشق وأثره وتأثيره؛ فهذه القبسات الأربعة من شيم أصحاب الحقيقة الذين يشتغلون بالفكر وتجريد النفس عن العلائق الجسمانية، ويجهّدون أن لا يخلو سرهم وباهم عن ذكر الله تعالى. وقد وصفهم الرّازي - سابقاً - أنهم خير فرق الآدميين - وهم كذلك - لأن حافهم يفضي إلى المشاهدة، وإدراك الكلية في الجزئية، والعشق للحق تعالى.

وحال هذه الفرقة تعبيرٌ مبین عن السفر من العالم الترابي (العلائق الجسمانية) إلى الملكوت الأعلى (عالم الروح والغيب) كما دلّ عنوان كتاب مجد الدين البغدادي: « رسالة سفر ».

ويقول ضياء الدين أحمد بن مصطفى بن عبد الرحمن النكمشخاني: إن لكل من الأولياء خصوصية وهمّة في الحياة والمات؛ كنش الحقيقة والإلقاء في بحر الوحدة والفناء لشاه نقشبندي، وقوة التصرف للجيلاني، وقوة العلم والواردات للشاذلي، والعرفان والإكمال لمحبي الدين بن عربي، والعشق لجلال الدين الرومي، والغيبة والمحو للسهروردي، والوجد والجذبات لنجم الدين الكبري.

وربما انتقلت إلى الرازي مسحة من وجدات نجم الدين الكبرى، فكان يبكي بكاءً شديداً إذا وعظ الناس.

○ هكذا تأثر الرازي تأثراً واضحاً بأحوال أهل التصوف ورؤاهم وتصوراتهم وأفكارهم الفلسفية، وانعكست في شخصيته، سلوكاً أحياناً وقولاً أحياناً أخرى. من الصحيح أن الرازي لم يكن صوفياً بالمعنى الكامل للكلمة؛ ولكنه كان واحداً ممن شهدوا شهادة حق على التجربة الصوفية ومعالمها وفلسفتها. وهو - في نهاية الأمر - كان متحازاً لها، ومتعلقاً بأسبابها، ومشدوداً إلى ومضاتها الباهرة. ولما كان التصوف يتعرض لوجوه من النقد حفل بها مجتمع الفقهاء وعلماء الظاهر، لم يشأ الرازي - فيها يبدو لي - أن يضيف إلى جملة معاركه مع المعتزلة والكرامية والمشبهة والخواارج وغيرهم معركة جديدة مع متكري التصوف، فلم يضع فيه كتاباً مستقلاً، ولم يعلن عن تعاطفه مع التجربة الصوفية الذوقية لعامة الخلق والتقليديين من أهل العلم، واحتفظ به لنفسه كعبد إضافي لوجدانه الديني.

أخذ الرازي العهد على يد مجد الدين البغدادي إلا أنه لم يتشج بخرقه الصوفية على الأرجح. ولكنه إذا كان قد عالج الخرقه، فسوف يكون سند نسبته إليها قائماً على النحو التالي:

عن مجد الدين البغدادي عن الشيخ نجم الدين الكبرى عن إسماعيل القصري عن محمد بن مالكيل عن داود الحاد، عن أبي القاسم بن رمضان بن إدريس، عن أبي يعقوب الطبري، عن عمرو بن عثمان المكي، عن أبي يعقوب النهرجوري، عن عبد الواحد بن زيد عن كميل بن زياد والحسن البصري عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ.

والمحوظ أن أغلب الأسانيد في لبس الخرقه ترجع إلى الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - حيث خلعها النبي ﷺ على عليّ إشارة إلى وراثته علمه. وربما يرجع هذا إلى انتشاح علي ببردته النبي ﷺ ليلة الفجرة، ونومه في فراشه، أو يرجع إلى طرح النبي ﷺ لبردته على علي وفاطمة والحسن والحسين وسليمان في واقعة (المباهلة) الذي قر فيها الكفار خوفاً من التلاعن في اللحظة الأخيرة. وربما مثل خلع الخرقه على علي بن أبي طالب حدثاً مستقلاً تسمياً انطلاقاً من قول النبي ﷺ: «عليّ مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(١)، وقوله: «علي مني وأنا من علي، ولا يؤدي عني إلا أنا وعلي»^(٢).

(١) رواه أبو سعيد الخدري.

(٢) لأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، كلهم عن حبيشي بن جناد.

كذلك جاء أن النبي ﷺ قال لعلي: «قل لا إله إلا الله ثلاثاً وأنا أسمع»، ثم قال: «أعظم عينيك وأنا أقول لا إله إلا الله ثلاثاً وأنت تسمع»؛ فهذا هو الأصل في سند التلقين والذكر.

ومما لا شك فيه أن الخرقه رمزٌ لتحرُّر الروح من زخرف المادة مما يدفعها إلى إعلان الفقر بين يدي الله تعالى، وأن التلقين رمزٌ لمسؤولية التوحيد الخالص، وهو ما ينبني على الإخلاص في محبة الحق سبحانه.

وطالما حازت الصوفية كما يقول إدريس شاه، اسم عقيدة الحب، فكل الصوفيين - بحسب رأيه - اتخذوا من الحب موضوعاً على جانب كبير من الأهمية بصرف النظر عن المظهر البراني لمدارسهم.

وخصوصية الوجد والجذبات التي تُسمَّى شخصية نجم الدين الكبرى حاصل من حواصل المحبة. وقد استطاع أن ينتقل تأثيره بسهولة إلى كل من جلس إليه، ونهل من رؤه، وأفاد من علمه.

ويقول «كبرى» في (سر السير والجذب) من كتاب: (فوائج الجمال وفوائج الجلال):
وكل ما فيك من جوهر نفيس، يوجب لك حالة أو مشاهدة في السماء مثله من نار شوق ومحبة وعشق. وكلما صعد منك نور، نزل إليك نور، وكلما صعدت منك نيران، نزلت عليك نيران مثله.

- وفي صحيح الحديث: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه»^(١) وقد حمل أغلب الناس هذا القول على ما بعد الموت، ولكن النظر في أحوال الصوفية قد يعطي تأويلاً أكثر انفتاحاً؛ إذ يتجلى الله صفةً ونعتاً في الوجود والموجودات كلها، فما من ذرة في العالم، كما يقول الإمام أحمد التجاني، إلا وعليها اسم من أسماء الله. وهذا هو المقصود بقولهم: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان»؛ ويقول النفري في الموقف الخامس والعشرين (موقف أنا منتهى أعزائي):

وقال لي: إذا رأيتني فحصلت ما تنصَّرف به عني لم أغب عنك.

وقال لي: أنا منتهى أعزائي إذا رأوني اطمأنوا بي.

وقال لي: من لم يرني؛ فهو منتهى نفسه.

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن عائشة وعن عبادة.

وقال لي: إذا رأيته ورأيت من لم يرني فاسترني عنه بالحكمة.

وقال لي: إذا رأيته ورأيت من رأي فأنأ بينكما أسمع وأجيب.

وقال لي: والذين جاهدوا فينا الذين رأوني، فلما غبت غطوا عيونهم غير أن بشركوا بي الرؤية.

○ والأرجح أن الرؤية التي تصحب لقاء الحق تكون بعين القلب لا بعين الدماغ، أو تكون بالحواس كلها حين تنداح في بعضها البعض، ثم ينداح مجموعها في طبقه أثرية تنتمي إلى عالم المثال أو إلى عالم الروح.

وقال روزهان البقلي - رحمه الله -:

رأيت ربي تعالى مرة بوصف الجمال والجلال، ومعه الملائكة، وقلت: يا إلهي كيف تقبض روحي؟ فقال: آتاك من بطنان الأزل وأقبض روحك بيدي، وأذهب بك إلى مقام العندية، وأسقيك من شراب الدنؤ، وأظهر لك جهاتي وجلالي إلى الأبد كما تريد بلا حجاب (عن كتاب كشف الأسرار لروزهان البقلي).

- ويتفق الجميع على أن قلب العارف أو الولي هو موضع التنزلات الإلهية، وأنه لطيفة نورانية مودعة في الصدر، وأنه محل استواء الرحمن بالرحمانية ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [ط: ٥]؛ ولذلك فهو مستقر الأسرار ومستودعها.

ويقول الإمام عبد الكريم الجيلي في (منظر التمكين) من كتاب: (المناظر الإلهية):

* في هذا المشهد يتجلى الحق - تعالى - للعبد، بذاته، من حضراته، فيتصف حينئذ بأسمائه وصفاته؛ فيمكنه نصب الحضرة الإلهية بين يدي العبد، فيأخذ منها ما شاء، ويترك ما شاء، ويظهر أثر ما شاء، متى شاء.

○ من الطبيعي أن يندهش الرازي، وأن ينخطف من حياده، وأن يخرج عن مألوف ما عهد في الأساق المنطقية والمناهج الكلامية، أمام يقينيات عرفانية من هذا النوع تقوم - في إثبات مصداقها وحجيتها - على علوم عزيزة المثال؛ مثل علم المشاهدة، وعلم التجلي، وعلم البقاء، وعلم الفناء، وعلم المرأة. ولأخير في فلسفة ابن عربي مكانة خاصة؛ حيث أسهب في إحصاء بنوده، وشرحها وتفسيرها، وفقاً لمنهج الإشاري التأويلي.

يبد أن الرازي كان قد امتصه علم الكلام، واستأثرت به طرق الحجاج، إلى حد صار

من الصعب تجاوزه، وهو لم ينته بعد، إلى ما فوقه أو ما وراءه من علوم العرفان، فظل على شاطئها يغترف من مائها الدافي ما استطاع، ويتأمل - في حيرة ربما - مصباتها البعيدة المترامية الأطراف، ويحلم بالدوران في قرارة أمواجها العميقة ذات يوم بعد أن يكون قد انتهى من معاركه الضارية مع الفرق الضالّة، وأصبح مؤهلاً - بعد التعب والنصب - لنفض يديه - ولو قليلاً - من حظوظ الرياسة التي حازها بدءاً من سطوع نجمه في هذه المعارك الطنّانية بما تنطوي عليه من استعراض كل طرفٍ لعلمه، ومكتسباته العقلية، وقدرته على الدحض، ومهارته في السجال.

كانت المحبة، والوجد، وجذبات القلب، هي العناصر الكبرى التي تخلق التوازن العضوي في شخصية الرازي بين حاجات النفس والتماعات العقل. ويرجع الفضل في خلق ذلك التوازن إلى مجد الدين البغدادي ونجم الدين كبرى؛ إذ إنهما الرجلان اللذان حفّزا لديه هذا الكامن لقطاف ثمر التجربة الروحية الفردية، ومباشرتها عن قرب بطريق التأثير والاستدماج (الدخول نفسياً في حلقة التمثل والتماهي).

لقد كان التصوف والصوفيون - بحق - مؤثلاً وملاًدّاً لأشواق فخر الدين الرازي إلى الدنوّ من حضرة الحق - تعالى - قبل أن تتصدّع هذه الأشواق الغائنة تحت وطأة الاعتراف المذهبي والكلامي بما يُمثّل حجاباً يحول بين فطرة الحقيقة والحفاظ على الأصالة الجاهلية لهذه الفطرة.

وهكذا يقف الرازي على محيط دائرة التصوف والعرفان في تاريخنا، بوصفه شاهداً ومحبّاً ومشاركاً بدرجة من الدرجات في عكس روح التجربة، حتى لو كان إسهامه في ترسيخ هذه التجربة من داخلها بسيطاً وجزئياً ومحدوداً.

د/ وليد منير

تمهيد عصر الرازي



ملاحظة عامة لعصره:

لا شك أنّ الإنسان مرتبطٌ أشدّ الارتباط بالوسط الذي يعيش فيه؛ ذلك لأنّ الإنسان كائن حي - مدوّي بطبيعته - يتفاعل مع محيطه فيؤثر ويتأثر.

ولقد جرت عادة الكتّاب والباحثين: أن يبدؤوا دراساتهم للأعلام الذين يعنون بدراسة حياتهم - بدراسة العصر الذي نشأوا فيه؛ لتساعدهم معرفة خصائص العصر الذي عاش فيه المترجم له - في معرفة مقومات شخصيته، والعوامل المؤثرة في تكوينه الفكري والثقافي، وتفسير الكثير من الغامض من مظاهر سلوكه وتصرفاته .

ولا تعني دراسة العصر وضع كشف بالأعوام أو الأيام التي عاشها المترجم؛ إذ لا تغير في الأعوام أو الأيام - من حيث كونها ظرفاً وزماناً - :

أَلَا إِنَّمَا الْأَيَّامُ ابْتِاءٌ وَاحِدٌ وَهَذِي اللَّيَالِي كُلُّهَا أَخَوَاتُ

ولكنّ التغيّر المؤثر في حياة الإنسان هو ما يطرأ على الأوضاع السياسية، والاجتماعية والاقتصادية، والثقافية: من تقلّبات تتكيف حياة الجماعة البشرية والأفراد وفقاً لها، وتأثر بها فتحسن أو تسوء، وتتقدم أو تتأخر.

ولقد عاش مترجمنا الإمام: « فخر الدين الرازي » النصف الثاني من القرن السادس الهجريّ كلّهُ مع ست أو سبع سنوات في النصف الأول منه؛ هي سنوات طفولته، كما عاش الستين الست الأولى من القرن السابع.

وقد كانت هذه الحقبة من الزمن من أخرج الفترات في حياة الأمة الإسلامية: فالحملات الصليبية التي بدأت سنة (٤٩٣ هـ) كانت متتالية منذ ذلك التاريخ إلى أن توقفت بعد ما يقرب من مائتي عام منه. وكانت بلاد الإسلام خلالها هدفاً لمختلف ضروب التوحّش والهمجية التي جاء بها الغزاة. وفي الوقت ذاته كان على التخوم الشرقية لديار الإسلام أعداء أكثر توحّشاً وهمجية يُعدّون أيام الضعف والتدهور التي يعيشها

المسلمون يوماً يوماً؛ لينقضوا عليهم في أنسب فرصة تساعدكم على استئصال شأفة المسلمين وتدمير كياناتهم.

وأما في داخل ديار الإسلام: فقد كانت الخلافة العباسية قد بلغت دور الشيخوخة، ووصل ضعفها إلى مداه، ولم يعد للخليفة من سلطان إلا في بعض المظاهر التي تضعف وتقوى تبعاً لضعف شخصية الخليفة وقوتها.

أمّا السلطان الحقيقي، والتصرف الفعلي بمقالييد الأمور؛ فقد استبد به قادة عسكريون، أو رؤساء قبائل كانوا ينصبون أنفسهم ملوكاً وسلاطين وشاهات على ما تحت أيديهم. بدأ ذلك بالسلاجقة، ثم الخوارزمشاهية والغورية، وكان هؤلاء الملوك متناحرين على السلطان، هدفهم تحقيق مآربهم السياسية، وبسط سلطانهم على ما تحت يد الآخرين من أبناء ملتهم، غافلين أو متغافلين عما يدور حولهم، وما يدبر لهم جميعاً. وكل منهم يظن أنه الأصلح للبلاد والعباد من سواه.

وإذا كانت الأحوال السياسية للمسلمين في هذا الدرك الهابط؛ فإن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لم تكن تفل عنها سوءاً.

ولا نريد الدخول في تفصيل ما حدث في ذلك العصر؛ لأنه يبعدنا عن موضوعنا، ولأنه وصف بإسهاب في مختلف الكتب التاريخية القديمة^(١)، والحديثة^(٢)، ولكن الأمر يختلف تمام الاختلاف من الناحية الفكرية والثقافية؛ فلقد كانت العناية في العلوم، والثقافات، والفكر كبيرة.

يقول ابن خلدون - وهو يتحدث عن العلوم العقلية وأصنافها والأمم التي اعتنت بها أو أهملتها - : «وبلغنا عن أهل المشرق أنَّ بضائع هذه العلوم لم تزل عندهم موفورة وخصوصاً في عراق العجم وما بعده فيها وراء النهر، وأنهم على (تيج) من العلوم العقلية؛ لتوفر عمرائهم، واستحكام الحضارة فيهم»^(٣).

كما عقد فصلاً خاصاً لبيان أنَّ حملة العلم في الإسلام أكثرهم من العجم، وبعد أن

(١) كالتكامل لابن الأثير، والبداية وغيرهما.

(٢) ككتاب الدولة الخوارزمية والمغول للدكتور حافظ أحمد حمدي - دار الفكر العربي بالقاهرة (١٩٤٩م)، وكتاب سلاجقة إيران والعراق، د. عبد النعيم حسنين - القاهرة (١٩٥٩م).

(٣) راجع: المقدمة (٣/ ١٠٢٥).

قرّر هذا قال: « وإن كان منهم العربيّ في نسبته؛ فهو عجميّ في لغته ومرباه ومشيخته »^(١).

ويقول ول ديورانت في كتابه: « قصة الحضارة » - بعد أن تحدث عن الكثيرين من الحكام المسلمين وخصائصهم، وقادتهم بأمثالهم من حكام الإفرنج -: « وجرى هؤلاء الحكام المسلمون جميعهم؛ بل وصغار الملوك أنفسهم على ستة خلفاء العباسيين: في مناصرة الآداب والفنون.... ثم ذكر حواضر الإسلام: كبغداد ودمشق، والريّ، وهراة وسواها، ويبيّن ازدهار العلوم فيها، وقرّر أنّها كانت أكثر مدن العالم ثقافة وجمالاً، وقصارى القول: أنّ هذا العصر كان عصر اضمحلال متلائمًا ساطعًا »^(٢).

وأما « الريّ » - المحيط الصغير للفخر الذي ولد فيه وترعرع - فالتأطر في تاريخها يجدها مسرحاً لمختلف الآراء والأفكار والمذاهب حتى ليخيلُ إليه أنّ هذه المدينة معرض واسع، يشتمل على نهاج من كل ما كان في البيئة الإسلامية الكبرى من الآراء والمذاهب؛ إضافة إلى العلوم المختلفة وكلّها تتعايش في هذه البيئة الصغيرة بشكل يدعو إلى العجب.

ولا شيء يوضح هذه الحقيقة مثل موقف أبي الحسين الرازي^(٣) الفقيه الشافعيّ الذي تحوّل إلى مذهب الإمام مالك - رضي الله عنهما - وقوله في سبب تحوّل هذا: « دخلتني الحميّة لهذا الإمام المقبول على جميع الألسنة، أنّ يخلو مثل هذا البلد عن مذهبه، فعمرت مشهد الانتساب إليه، حتى يكمل لهذا البلد فخره؛ فإنّ الرئيّ أجمع البلاد للمقالات والاختلافات في المذاهب على تضادّها وكثرتها »^(٤)، وفيها سكتبه عن الريّ والنسبة إليها مستجد مصداق ذلك من كثرة ما أنجبت هذه المدينة من علماء في مختلف العلوم.

ولعلّه قد اتّضح الآن أنّ الحركة الفكرية والثقافية في عصر الفخر كانت قوية ونشطة، وأنّ الحياة العلمية كانت على جانب كبير من الازدهار لعوامل كثيرة؛ من أهمها: تنافس الأمراء والحكام في تشجيع العلماء وبناء المدارس واقتناء التآليف.

(١) راجع: المقدمة (٤ / ١٣٦٧).

(٢) أي: عصر اضمحلال من الناحية السياسية، ولكنه متلائم ساطع من الناحية العلمية. راجع: قصة الحضارة لول ديورانت (١٣ / ٣٢١ - ٣٢٣).

(٣) أحمد بن فارس، سنائي ترجمته.

(٤) راجع نزعة الألباب (ص ٣٩٢)، وذاترة معارف القرن العشرين (٤ / ١٤١).

بعض مشاهير عصره:

ولقد حفل عصر الرازي بعدد كبير من العلماء في أجزاء كثيرة من ديار الإسلام، وفي مختلف العلوم التي كانت متداولة في ذلك العصر؛ منهم الأصوليون، والفقهاء، والمحدثون، وأصحاب القراءات، والفلاسفة، والحكماء، والمتصوفة، والشعراء.

ومن المشاهير في هذا العصر - على سبيل المثال - سيف الدين الآمدي^(١) صنو الفخر في كتابة علم الأصول على طريقة المتكلمين، والعز بن عبد السلام^(٢)، وابن رشد^(٣).....

(١) هو أبو الحسن، أو أبو القاسم علي بن أبي علي محمد بن سالم الحنيني، ثم الشافعي. ولد في أباد وهي مدينة كبيرة في ديار بكر سنة (٥٥١هـ)، وتوفي في الثالث عشر من صفر في دمشق سنة (٦٣١هـ). كان من أذكىء العالم أئمة الكثير من العلوم. أقام في مصر مدة واشتغل عليه كثيرون، فحسده بعض معاصريه، فكتبوا محضراً بإباحة دمه لأتباعهم. إنه بمتابعة الفلاسفة، فهرب منها إلى حماة، ثم إلى دمشق، له في أصول الفقه أحكام الأحكام، ومنتهى السؤل. وفي علم الكلام: أبنكار الأفكار، وله تصانيف في الفقه والمنطق والحكمة والخراف.

انظر ترجمته في أحبار الحكماء (ص ١٦١)، وعيون الأنباء (٢/ ١٧٤)، ووفيات الأعيان (١/ ٤٦٩)، والعبر (٥/ ١٢٤)، وطبقات ابن السبكي (٥/ ١٢٨)، وطبقات الأسنوي (١/ ١٣٧)، والشذرات (٥/ ١٤٤)، وتاريخ أبي الفداء (٣/ ١٥٥)، وتاريخ دول الإسلام (٢/ ١٠٣)، ومرآة الجنان (٤/ ٧١)، ومرآة الزمان (٨/ ٦٩١)، والبدایة (١٣/ ١٤٠)، والنجوم (٦/ ٢٨٦)، وحسن المحاضرة (١/ ٥٤١)، وتاريخ ابن الوردي (٢/ ١٦٠)، ومفتاح السعادة (٢/ ١٧٩)، والنسخ المبين في طبقات الأصوليين (٢/ ٥٧).

(٢) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسين بن محمد بن مهذب السعدي، لقبه تلميذه نقي الدين ابن دقيق العيد «سلطان العلماء»، ولد في الشام سنة (٥٧٧هـ) وقيل سنة (٥٧٨هـ)، وتوفي في القاهرة سنة (٦٦٠هـ). واشتهر بالحر بن عبد السلام أو عز الدين، وهو من أجلة فقهاء الشافعية. راجع ترجمته المسببة في طبقات ابن السبكي (٥/ ٨٠ - ١٠٧)، وطبقات الأسنوي (٢/ ١٩٧)، وفوات الرغبات (١/ ٣٦٦)، والبدایة (١٣/ ٢٣٥) والنجوم (٧/ ٢٠٨)، ومرآة الجنان (٤/ ١٥٣)، والدليل على الروضتين (٢١٦)، والعبر (٥/ ٢٦٠)، وتاريخ دول الإسلام (٢/ ١٢٨)، وشذرات الذهب (٥/ ٣٠١)، وتاريخ أبي الفداء (٣/ ٢١٥)، وابن الوردي (٢/ ٢١٥)، وطبقات ابن هبة (ص ٨٥)، والفتح المبين (٢/ ٧٣)، وحسن المحاضرة (ص ٣١٤)، وابن دقيق العيد علي صافي حسين (ص ٤٩).

(٣) هو أبو أنوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي فقيه وقاضي وسياسي، وفيلسوف شهير، أئمة الفقه والأصول والطب والفلسفة والكلام والمنطق، وله في كل منها تأليف قيمة امتحن بالاعتقال والإهانة وإحراق الكتب، والنفي والشريد، ولد سنة (٥٣٠هـ) وتوفي في عجبته - في مراكش في شهر صفر سنة (٥٩٥هـ). راجع: العبر (٤/ ٢٨٧)، والشذرات (٤/ ٣٢٠)، وعيون الأنباء (٢/ ٧٥)، والنجوم (٦/ ١٥٤)، ومرآة الجنان (٣/ ٤٧٩)، والوافي (٢/ ١١٤)، والديباج المذهب (ص ٢٨٤)، وطبقات الأصوليين (٢/ ٣٨)، والفيلسوف المقتري عليه - ابن رشد - لمحمود قاسم، وابن رشد والرشدية لأرنست رينان.

وابن العربي^(١) والسهرووردي^(٢) وابن الفارض^(٣) وعبد القادر الجيلي^(٤) وتاج الدين الكندي^(٥) وعهاد الدين محمد بن

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحائمي الطائفي الأندلسي، المعروف بكنيته - ابن العربي - والملقب بمحبي الدين. ولد سنة (٥٦٠ هـ) بـ ١٠ مرسية - من أعمال الأندلس - وتوفي سنة (٦٣٨ هـ) في دمشق ودفن فيها. راجع: فوات الوفيات (٣٠١/٢)، والعبر (١٥٨/٥)، والسيران (٦٥٩/٣)، والوفاتي (١٧٣/٤)، والنجوم (٣٣٩/٦)، والبداية (١٥٦/١٣)، ومرة الجنان (١٠٠/٤)، والشذرات (١٩٠/٥)، والمذيل على الروضتين (ص ١٧٠)، ومقدمة الدكتور أبي العلا عفيفي لكتابه فصوص احكم، ط عيسى البابي الحلبي (١٣٦٥ هـ/١٩٤٦ م). وكان بينه وبين الفخر ومبادل ومراسلات. راجع: كشف الظنون (١/٩٧٥)، ورسالته إلى الفخر المطبوعة ضمن ثلاث رسائل، ط السلفية سنة (١٣٤٤ هـ).

(٢) هو شهاب الدين يحيى بن حبش بن أميرك، ويكنى بأبي الفتح من زملاء الفخر في الدراسة على المجد الجلي في مراغة، وسأى أنه تلمذ عليه في قول بعضهم. ولد سنة (٥٤٩ هـ)، وقتل صبراً في حلب سنة (٥٨٧ هـ). انظر عيون الأنباء (١٦٧/٢)، وفيها اسمه ١٠ عمر ٤، وكتبه ١ أبو حفص ١، وهو سهر، والوفيات (٢٦١/٢)، والعبر (٤/٢٦٣)، والنجوم (١١٤/٦)، وابن الوردي (١٠٤/٢)، والشذرات (٢٩٠/٤)، ومرة الجنان (٤٣٤/٣). وكتاب أصول الفلسفة الإشرافية عند شهاب الدين السهروردي للدكتور محمد علي أبو ريان - مكتبة الأنجلو المصرية في القاهرة - وكتاب السهروردي لسامي الكيالي، ط دار المعارف، مصر.

(٣) هو عمر بن أبي الخمس علي بن المرشد بن علي، الحيموي الأصل، المصري المولد والنشأة، والوفاء. المكنى بأبي حفص، وأبي القاسم، والمعروف بابن الفارض. ولد في شهر ذي القعدة في سنة (٥٧٦ هـ) بالقاهرة، وتوفي فيها يوم الثلاثاء الثاني من جمادى الأولى سنة (٦٣٢ هـ). انظر: الوفيات (٥٤٥/١)، والنجوم (٢٨٨/٦)، وابن الوردي (١٦١/٢)، والعبر (١٢٩/٥)، ومرة الجنان (٧٥/٤) وما بعدهما، والشذرات (١٤٩/٥). وله ديوان شعر طبع عدة طبعات، وشرحه بعضهم.

(٤) هو الملقب بمحبي الدين، والمكنى بأبي محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوسنين أبي عبد الله ابن يحيى الزاهد بن محمد، من سلالة الحسن بن علي - رضي الله عنهم - فقيه حنبلي ومتصوف شهير، ولد بجبلان، وهي بلاد متفرقة من وراء طبرستان، وذلك سنة (٤٧٠ هـ) وتوفي في بغداد بعد عنة السبت الثامن من ربيع الآخر سنة (٥٦١ هـ). راجع: فوات الوفيات (٢/٢)، وتاريخ ابن الوردي (٦٩/٢)، والكمال (١٣١/١)، وشذرات الذهب (١٩٨/٤)، والبداية والنهاية (٢٥٢/١٢)، والعبر (١٦٤/٤)، وتاريخ دول الإسلام (٥٣/٢)، وأبي القداء (٤٣/٣)، والمتنظم (٢١٩/١٠)، ومرة الزمان (٢٦٤/٨)، ومرة الجنان (٣٤٧/٣).

(٥) هو أبو أيمن زيد بن الحسن الكندي، بغدادي المولد والنشأة، وتوفي في شعبان سنة (٥٢٠ هـ) وتوفي في دمشق في السادس من شوال سنة (٦١٣ هـ)، مفرى، ومحدث، ونحوي، ولغوي، وشاعر. نزل الناس بموته درجة في القراءات والحديث، ونهاه في القراءات بخاصة ما لم يتبعها لسواه. قال عنه الذهبي: وكان أعلى أهل الأرض إسناداً في القراءات. راجع: العبر (٤٤/٥)، والبداية (٧١/١٣)، وطبقات القراء للجزري (٢٩٧/١)، ومرة الجنان (٢٦/٤)، والكمال (١٣٠/١٢)، والنجوم (٢١٦/٦)، وبغية الوعاة (٥٧١/١)، وتاريخ ابن الوردي =

يونس^(١) وأبو البقاء العكبري^(٢).

- (١) (١٣٤/٢)، والوفيات (٢٧٦/١)، والشذرات (٥١/٥)، والذيل على الروضتين (ص ٩٥)، وتاريخ أبي الفداء (١١٧/٣)، وتاريخ دول الإسلام (٨٧/٢)، ومروءة الزمان (٥٧٥/٨).
- (٢) هو أبو حامد محمد بن يونس بن محمد بن متعة بن مالك بن محمد، الملقب بعماد الدين - من كبار فقهاء الشافعية - إمام وقته في المذهب والأصول والخلاف. ولد في أبريل من مدن العراق سنة (٥٣٥هـ)، وتوفي في الموصل في جمادى الآخرة سنة (٦٠٨هـ). راجع: الوفيات (٦٧٩/١)، وطبقات ابن السبكي (٤٥/٥)، وابن الوردي (١٣٠/٢)، والكامل (١٢٣/١٢)، ومروءة الجنان (١٦/٤)، والبداية والنهاية (٦٢/١٣)، والشذرات (٣٤/٥)، والعبر (٢٨/٥)، والذيل على الروضتين (ص ٨٠)، وتاريخ أبي الفداء (١١٨/٣).
- (٣) هو محب الدين عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء العكبري، ثم الأزجي الضرير الحنبلي، النحوي، الفرضي صاحب الكثير من التصانيف. ولد في بغداد سنة (٥٣٨هـ)، وتوفي فيها ليلة الأحد ١٨ ربيع الآخر سنة (٦١٦هـ) ونسبته إلى عكبرا: بليدة فوق بغداد بعشرة فراسخ. راجع: الوفيات (٣٧٧/١)، والعبر (٦١/٥)، والكامل (١٤٧/١٢)، والنجوم (٢٤٦/٦)، ومروءة الجنان (٣٢/٤)، وبنية الموعظة (٣٩/٢)، والشذرات (٦٧/٥)، وابن الوردي (١٣٩/٢)، وطبقات الفراء (٦٢١/١) والذيل على الروضتين (ص ١١٩).

البَابُ الْأَوَّلُ

في

حياة الإمام فخر الدين الرازي

وفيه فصلان:

الفصل الأول: في حياة الرازي الإنسان.

الفصل الثاني: في حياة الرازي العلمية.



الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

في حياة الرازي الإنسان



تَلَبَّحْتُ الْأَوَّلُ: اسْمُهُ وَنَسَبُهُ

هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي^(١)

(١) راجع ترجمته أو شَبَّهَتْ عنه في أخبار الحكماء (ص ١٩٠ - ١٩٢)، والبداية (٣/ ٥٦، ٥٥)، وتاريخ الإسلام (٢٧/ ٦٤٢ - ٦٥٣)، وتاريخ دول الإسلام (٢/ ٨٤)، وتاريخ ابن الوردي (٢/ ١٢٧)، وانشئة البهية للشرفاوي (١٢٨ أ)، والروضة البهية لأبي عذبة (ص ٦٩ - ٧١)، والجامع المختصر (٩/ ٣٠٧ - ٣٠٩)، وجامع التواريخ (٢/ ١٥٩)، والمذيل على الروضتين (ص ٦٨)، وسير أعلام النبلاء (مجلد ١٣ ورقة ١١٥) غطوط، وشذرات الذهب (٥/ ٢١، ٢٢)، وطبقات ابن السبكي (٥/ ٣٣ - ٤٠)، وطبقات الأسنوي (٢/ ٢٦٠، ٢٦١)، وطبقات ابن الملقن ورقة (٧٥ - ب) غطوط، وطبقات ابن هداية (ص ٨٢، ٨٣)، وطبقات المفسرين للداودي ورقة (٢٢٧ ب) مخطوط، والمطبوعة (٢/ ٦١٣ - ٦١٧) وطبقات المفسرين لنسبوتي (ص ٣٩)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شعبة (الطبقة الخامسة عشرة) غطوط، وطبقات التحويين واللغة لابن قاضي شعبة (١/ ٤٨ ب - ٤٩ أ) مخطوط، وعقد الجمان (ج ١٧، ق ٢، ص ٣٢٢ - ٣٢٤) مخطوط، وعيون الأنباء (٢/ ٢٣ - ٣٠) وترجمته فيها أهم تراجم وأسبها، والعر (٥/ ١٨، ١٩)، والكامل لابن الأثير (١٢/ ١٢٠)، وقلادة النحر لابن أبي بجرمة (٥/ ١٣ - ١٥) مخطوط، ولسان الميزان (٤/ ٤٢٦ - ٤٢٩)، والمختصر في تاريخ البشر لأبي الفداء (٣/ ١١٨)، ومختصر الدول لابن العبري (ص ٤١٨، ٤١٩)، ومراة الجمان (٤/ ٧ - ٩)، ومراة الزمان لسبط ابن الجوزي (٨/ ٥٤٢، ٥٤٣)، وميزان الاعتدال (٣/ ٣٤٠)، ط. عيسى اخلي المحفظة، والوافي بالوفيات (٤/ ٢٤٨ - ٢٥٩)، والوفيات (١/ ٦٧٦ - ٦٧٨)، والفوائد البهية في تراجم اختفية (ص ١٩١ - ١٩٤)، وطبقات الأصوليين (٢/ ٤٧ - ٤٩).

ومن المصادر الفرعية:

إرشاد القاصد في مواضع متعددة، وصبيح الأعشى في مواضع من الجزء الأول، ومفتاح السعادة (٢/ ١١٦ - ١٢٣)، ومواضع أخرى، وروضات الجنات، ط أوى (ص ٧٢٩ - ٧٣١)، والأعلام للزركلي (٣/ ٩٥٨)، وتاريخ الأدب الفارسي (ص ٢٤٤)، وتاريخ الأدب في إيران (ص ٦١٥)، وظهر الإسلام (٤/ ٨٨)، وعقود الجواهر (ص ١٤٩ - ١٥٤)، وكشف الظنون وذيله في مواضع متعددة، ومعجم المؤلفين (١١/ ٧٩)، ومعجم الأطباء (ص ٤١٥ - ٤١٧)، والمجددون في الإسلام (ص ٢٢٤ - ٢٢٨)، وموسوعات العلوم العربية في مواضع متعددة.

ومن البحوث والرسائل:

راجع لمعرفة أثره في التفسير: مناهل العرفان (١/ ٥٦٥)، والتفسير ورجاله (ص ٦٥ - ٨٨)، والتفسير والمفسرون (١/ ٢٩٠ - ٢٩٦)، والرازي مفسراً - رسالة جامعية، والإمام فخر الدين الرازي في حياته وآثاره، وفخر الدين الرازي - تمهيد لدراسة حياته وأثره لجورج خواني - بحث ضمن مجموعة بحوث - اشتمل عليها كتاب (إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين)، ولمعرفة أثره في البلاغة راجع: البلاغة عند السكاكي رسالة جامعية. الرازي بلاغياً -

الملقب بفخر الدين^(١١)، والمكتني بأبي عبد الله^(١٢) الرازي^(١٣) المولود، الطبرستاني الأصل^(١٤)،
الفرشي^(١٥).

= وسائل أعدت ونوقشت في بغداد. ونعرفة بعض آرائه الكلامية والفلسفية: راجع: فخر الدين الرازي وآرائه الكلامية،
ومن المراجع الأجنبية: راجع:

- 1 - The Encyclopedia Britanica Vol. 9, P.42 Published (1960).
- 2 - The Encyclopedia American Vol. 10, P.725, Published (1962).
- 3 - Encyclopediia Francaise Vol. 4, P. 895, Imprimerie Larousse; Juillet (1961).
- 4 - Encyclopediia Italiana XIV, P. 730.
- 5 - Encyclopedia of religion and Ethics, Vol.1 P. 326 (b), Vol.IIX P. 93 (a).
- 6 - Shorter Encyclopedia of Islam, by H.A.R. Gibb and J.H.kramers, London (1985), P.470.
- 7 - C Brockelmann, Geschichte der arabischen Literatur, suppl. I (1937), PP.920 - 924; Vol. I (1943), PP.666 - 669.

(١) بهذا اللقب اشتهر، وبه لقب في معظم الكتب التي ترجمت له أو تحدثت عنه. بالإضافة إلى لقيه الآخرين:
الإمام، وشيخ الإسلام، وشاركه في هذا اللقب من الرازيين في حياته مع المشاركة في الاسم واسم الأب: الإمام
فخر الدين أبو الفضائل محمد بن عمر الرازي. الحنفي. كما شاركه أيضًا في سنة الوفاة. انظر: عقد الجمان (١٧ ق
٢/٣٢٤). وشاركه فيه بعد وفاته ابنه محمد أصغر أبنائه، والذي ولد له بعد وفاة ابنه الأكبر محمد. انظر: الفوائد
النهية (ص ١٩١) وكان يُلقب قبل وفاة أبيه بشمس الدين. راجع: عيون الأنباء (٢/٢٦).

(٢) بهذه الكنية كتبه معظم من ترجموا له. وفي البداية كُتِبَ به «أبي المعالي» إضافة إلى كنيته المشهورة: «أبي عبد الله».
انظر: (١٣/٥٥). وكناه ابن الأثير في الكامل (١٢/١٢٠) به «أبي الفضائل»، وكناه ابن عنين الشاعر في حائنه
به «أبي الفتح» انظر: ديوانه (ص ٩٨ - ٩٩).

(٣) نسبة إلى الرّي وسيأتي حديثنا عنها.

(٤) نسبة إلى طَبْرِسْتَان - بفتح أوله وثانيه وكسر التاء - بلاد واسعة، ومدن كثيرة، يشملها هذا الاسم، وتسمى
بيازندران أيضًا. انظر: مراصد الاطلاع (٢/٨٧٨)، ومعجم البلدان (٦/١٧)، ونسب الفخر إليها؛ لأن أسرته
كانت فيها، ثم رحلت إلى الرّي. انظر: طبقات ابن قاضي شهبة، الطبقة الخامسة عشرة.

(٥) معظم من ترجموا له نصوا على أنه فرشي، وقد ذكر البغدادي في هدية العارفين (١/٢١١)، أن النسبة
إسماعيل بن حسين بن محمد العلوي المروزي قد ألّف كتابًا سماه: (الفخري) في النسب لفخر الدين الرازي
ووصله بقرش. وكذلك مدحه شاعر ابن عنين بالنص على عربته وافتخر بنسبه بقوله:

بِن دُوحَةِ كُشْبَرِيَّة عُمَرِيَّة طَابَتْ مَنَاسِرُ مَجْدِكَ السُّنَائِلِ
مَكْرِيَّةُ الْأَنْسَابِ رَأَيْكَ أَصْلُهَا زُكْرُوعُهَا قَوْقُ السُّنَائِلِ الْأَصْلِيلِ

انظر: الديوان (ص ٥٣).

ومن المعروف عن ابن عنين - هذا - تعصبه الشديد للعرب، وطلعه على الأعاجم حتى أنه ليعيب من استرضع في
غير العرب ولر تولد عن أبوين عربيين. انظر قوله:

التيمي^(١) البكري^(٢) نسباً، الشافعي مذهباً، الأشعري عقيدة.

= فَأَلْفَبْنُهُ بِهَوَى السُّنْدَى فَتَرَدُّهُ
إِذَا أَبْقَطْنَاهُ نُسُوزَ عَرَبِيَّةٍ
هَمُورُوقٌ إِلَى الْخَوَالِجِ السُّرُوقِ تَنْتَبِي
إِلَى التَّعْجِدِ قَالَتْ أَرْمَيْتُهُ نَم

انظر: الذبوان (ص ٢١٦). ومقدمته لحليل مردم (ص ٢٢، ٢٣).

وقد اعتبر البعض - خطأ - صاحبنا الفخر من الأعاجم؛ مثل الدسوقي في حاشيته على شرح القطب على الشمسية (٢/ ٢٤٠) - حيث قال: والفخر الرازي والسعد وغيرهما من الأعاجم. ومثل ابن خلدون حين ذكر الفخر في مقدمته في فصل: «أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم من العجم» (١/ ١٣٧٠) - قال: وهو يتحدث عن سعد الدين التفتازاني؛ وأما غيره من العجم فلم نر لهم من بعد الإمام ابن الخطيب، ونصير الذين الطوسي، كلاماً يعول على نهايته في الإصابة.

ولعل ابن خلدون يعتبر الفخر فارسي اللغة والمزني والشيخة، عربي النسب؛ فإنه بعد أن أطلق قوله في أول النص بأن حملة العلم أكثرهم من العجم استدرك قائلاً: «وإن كان منهم العربي في نسبه فهو عجمي في لغة ومرباه ومشيخته». انظر نفس المرجع (ص ١٣٦٧).

ومن الكتاب المحدثين الذين اعتبروا الفخر من الأعاجم. أحمد أمين في ظهور الإسلام (٤/ ٨٨)، وسامي الكياي في كتابه: السهر وردي (ص ٧)، ورضا زاده شفق في كتابه: تاريخ الأدب الفارسي (ص ٢٤٤). أمّا أحمد أمين وسامي الكياي فلم يلحها نسباً الفخر إلى الأعاجم متابعاً لابن خلدون في إطلاق قوله، ولم يلاحظا استدراكه الذي أشرنا إليه، وأما الأخير فإنه فارسي، لعله يريد أن ينسب الفضل لقومه، وقد وجد في مولد الفخر ونشأته ما يساعده على هذا.

والغريب أن أحمد أمين ذكر في أول عبارته أنه تيمى بكري، وفي آخرها. أنه فارسي؛ حيث قال: «وأما الفخر الرازي فهو محمد بن عمر التيمى البكري، وهو كذلك فارسي كالتغزالي». فهل غاب عنه أن تيماً بطن من بطون قريش؟ لبتة اطلع على نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي (ص ١٩٠)، أو اللباب في تهذيب الأنساب (١/ ١٩٠) قيل أن يعد التيمى البكري أعجمياً.

(١) التيمى: نسبة إلى تيم، وهو اسم لعنة قبائل؛ منها: تيم قريش - قبيلة سيدنا أبي بكر الصديق - وهي بطن من بطون قريش. انظر: نهاية الأرب (ص ١٩٠)، واللباب في تهذيب الأنساب (١/ ١٩٠)، والفخر منسوب إلى تيم قريش، لأن المؤرخين نصّوا على أنه قريشي.

(٢) نسبة إلى أبي بكر الصديق -، وهكذا ورد في معظم الكتب التي ترجمت له؛ منها: الوفيات (١/ ٦٧٦)، وتاريخ ابن الوردي (٢/ ١٢٧)، وطبقات ابن السككي (٥/ ٣٥)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢٧/ ٦٤٢)، ونزهة الأرواح للشهرزوري ورفه (٢٩٤ أ)، ومرآة الجنان (٤/ ٧)، وطبقات المفسرين للنسبوشي (ص ٣٩)، وكذلك في الفوائد البهية للكنوي الهندي (ص ١٩١)، ولكنه عاد فذكر في (ص ١٩٣) بأن الإمام الرازي كان بصريح في مصنفاته بأنه من أولاد عمر الفاروق، وعقب عليه بقوله: «وذكر أهل التاريخ أنه صديقي».

ولعل الشيخ الكنوي قد نقل هذا القول عن طائفة كبرى زاده الذي ذكره في ترجمته للشيخ علي الشهير بمصنفك الذي هو من أحفاد الإمام الرازي انظر: مفتاح السعادة (١/ ١٨٧، ١٨٨). وفيها اطلعنا عليه من مصنفات الرازي لم نجد له قولاً كهذا، فلعله ذكره في مصنفات مفقودة، وإن كنا نستبعد أن يصرح بمثل هذا؛ إذ إن سيدنا عمر بن الخطاب - عليه السلام - ليس من تيم؛ وإنما هو عدوي، فكيف يكون الفخر تيمياً وعدوياً؟! الخطاب

وكان يعرف بابن الخطيب، أو ابن خطيب الري؛ لأن والده - الإمام ضياء الدين عمر - كان خطيب مسجد الري^(١).

وإذا أطلق لقب: «الإمام» في كتب أصول الشافعية، أو كتب العقائد - الأشعرية - فالمراد به فخر الدين الرازي^(٢)، وكان يدعى في هراة^(٣) بشيخ الإسلام^(٤).

المبحث الثاني: مولده

ولد فخر الدين في مدينة الري سنة (٥٤٤ هـ)^(٥) على قول بعض المؤرخين، وقيل: سنة (٥٤٣ هـ)^(٦)، وتردد بين القولين جمع من الكتاب^(٧).

وتعل طاش كبرى زاده ومن بعده الشيخ المكنوي قد استنتجا هذا من قول ابن عنين: «من دوحة فخرية عمرية» - الأنف الذكر - ولكن ابن عنين لا يعني به هذا وإنما يقصد بعمرية نسبته إلى أبيه وإلا لكان قوله: «فخرية» أيضًا نسبة إلى قبيلة، أو بيت بهذا الاسم مع أن من البين أنها نسبة للقبه. فخر الدين هذا وقد جاءت لفظة «الكبرى» في (قلادة النحر) مصحفة إلى (الكندي). راجع (١٣/٥).

(١) انظر: عيون الأنباء (٢٣/٢)، ومعظم المراجع التي ورد ذكره فيها من الكتاب، وأخبار الحكماء (ص ١٩٠)، والنبذة (٥٥/١٣)، وتاريخ الإسلام (٦٤٢/٢٧)، ولسان الميزان (٤٢٦/٤)، وطبقات ابن السبكي (٣٣/٥) وبقية المراجع.

(٢) انظر - مثلاً - شرح الأستوي على المنهاج (١/١٨، ٥٦، ٥٧، ٥٨)، ومعظم الصفحات التي ذكر فيها، ولا حظ ذلك في كتب الأصول الأخرى التي كتبت بعده - عامة - كجمع الجوامع، ومختصر ابن الحاجب، ومنهاج البصاوي وغيرها. وكذلك حاشية الأستاذ محمد عبده على العقائد العنصرية، (ص ٧٤، ٧٥، ٧٦، ١٠٤) وصفحات أخرى، وشروح التسمية في المنطق، والمواقف في سائر المواضع التي ذكر فيها.

(٣) مدينة عظيمة مشهورة من أمتهات مدن خراسان، ونقع غرب أفغانستان فتحها الأحنف بن قيس - صلحاً - من قبل عبد الله بن عامر. راجع: الوفيات (٣٩/١)، ومعجم البلدان (٤٥١/٨)، ومراسد الاطلاع (١٤٥٥/٣).

(٤) انظر: طبقات ابن السبكي (٣٥/٥)، وتاريخ الإسلام (٦٤٢/٢٧)، والوفيات (٦٧٧/١). وإذا عرفت أن هراة كانت في عهده تعج بالعلماء المثقفين في كل علم وفن؛ تعلم أنذاك المكانة العظيمة التي كان يحتلها صاحبنا الرازي في نفوس أهل العلم.

(٥) كالذهبي في تاريخ الإسلام (٦٤٢/٢٧)، والعبر (١٨/٥)، والصفدي في الوافي (٢٤٨/٤)، وابن العباد في الشذرات (٢١/٥)، والسيوطي في طبقات المفسرين (ص ٣٩)، وابن نوري بردي في النجوم (١٩٩/٦).

(٦) انظر: أخبار الحكماء (ص ١٩١)، ولسان الميزان (٤٢٧/٤)، وتاريخ ابن الوردي (١٢٧/٢).

(٧) كان خلكان (١٧٨/١)، وابن السبكي في الطبقات (٣٥/٥)، والباقعي في المرأة (١١/٤).

وللفخر - رحمه الله - قول يرجح أن التاريخ الصحيح لولادته هو الأول؛ وذلك قوله - وهو يتحدث عن التوكل على الله تعالى في تفسير سورة يوسف - « فهذه التجربة قد استمرت لي من أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت فيه السابع والخمسين »^(١). وقد فرغ من تفسير السورة المذكورة في سنة (٦٠١ هـ)^(٢).

هذا بالنسبة لسنة ولادته.

وأما شهر ولادته؛ فقد اتفق المترجمون له أنه ولد في شهر رمضان، ولكنهم اختلفوا في يوم ولادته:

- فمنهم من قال: إنه ولد في الخامس عشر من رمضان^(٣).

- ومنهم من قال: إنه ولد في العشرة الأخيرة منه^(٤).

- والقول الثالث: إنه ولد في الخامس والعشرين منه^(٥).

وأما تحديد تاريخ ولادته في التقويم الغربي؛ فقد اختلفت المصادر فيه أيضًا، بناء على اختلافها في مطابقة التقويم الغربي للتقويم الهجري؛ فمعظمها اتفقت على أن سنة ولادته هي (١١٤٩ م) المطابقة لسنة (٥٤٤ هـ).

أما بالنسبة لشهر ولادته ويومها، فبعض هذه المصادر ذهب إلى أنه ولد في فبراير - شباط - في الخامس منه، من سنة (١١٤٩ م)^(٦). وبعضها ذهب إلى أنه ولد في السابع من فبراير - شباط - من السنة نفسها^(٧).

وآخرون ذهبوا إلى أنه ولد في يناير - كانون الثاني - في اليوم السادس والعشرين منه، من السنة نفسها^(٨).

(١) انظر: التفسير الكبير (١٣٢/٥). ط الخيرية.

(٢) نفس المصدر (١٧٤/٥).

(٣) انظر: التحفة البهية (ورقة ١٢٨ أ).

(٤) انظر: طبقات ابن هداية (ص ٨٣).

(٥) الوفيات (٦٧٨/١)، ولعله الأرجح؛ فالمعروف عن ابن خلكان دقته في هذا الباب.

(٦) مثل وستنفيلد في Naturforscher, Göttingen, (1840).

(٧) مثل محمد شنب في Etude sur les Personnages, Paris. (1907), (p. 216).

وبراون في تاريخ الأدب في إيران (ص ٦١٥).

(٨) مثل دائرة المعارف الإيطالية V. XIV, (P. 730).

وكثيرون يذكرون أن سنة ولادته هي (١١٤٩ م)، ويغفلون ذكر اليوم والشهر^(١). وهناك قول بأن تاريخ ولادته هو يوم ٢٩ يناير - كانون الثاني - سنة (١١٥٠ م)^(٢).

المبحث الثالث: مكان ولادته

من المتفق عليه بين المؤرخين أن الفخر قد ولد في مدينة الري؛ ولذلك أطلق عليه الرازي نسبة إليها - على غير قياس^(٣) - والري بفتح الراء وتشديد الياء مدينة قديمة ومشهورة من أمتهات البلاد وأعلام المدن^(٤)، تقع في الجنوب الغربي من طهران - عاصمة إيران - الحالية، وهي الآن ضاحية من ضواحيها، وفيها ضريح شهير يعظمه الإيرانيون، هو ضريح (شاه عبد العظيم)، وربما سميت الضاحية باسمه الآن. وقد كانت الري أجمع البلاد للمقالات، والاختلافات في المذاهب على تضادها وكثرة^(٥)، وقد نسب إليها خلق كثير في الأئمة والعلماء حتى إن النسبة إليها لم تعد خاصة بعلم من الأعلام^(٦)؛ فلا يكفي لتحديد علم من الأعلام المنسوبين إليها أن يقال: (الرازي)؛ وإنما لا بد من ذكر الاسم أو الكنية أو اللقب مع النسبة لتمييز المراد من بينهم.

(١) مثل دائرة المعارف الأمريكية

V. X, (P. 725).

راجع: فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية (ص ١٦).

(٢) دائرة المعارف الفرنسية

Encyclopedia Francaise Vol. 4, (P. 895).

(٣) هذا هو المشهور، وقيل: إنهم أضافوا الرازي إلى النسبة كما أضافوها في النسبة إلى مرو، فقالوا: مروزي. انظر: الوفيات (٥/١)، و (٣٠٠/١). واللباب في تهذيب الأنساب (٤٥٠/١). ولكن الخوانساري نقل ما يدل - لو صح - على أن النسبة إليها جارية على القياس، حيث قال في ترجمته لسليم الرازي: (في خزائن مولانا الرازي نقلاً عن صاحب فرهنگ اللغة، أنه قال: وجدت بخط الإمام فخر الدين الرازي: أن الرازي كان أخوين قد بنا هذه المدينة، فلما تمت أراد كل منهما أن تكون المدينة باسم نفسه وتنازعا في ذلك فجلس الحكماء والعقلاء وتشاوروا فيه؛ فاجتمعت آراؤهم على أن يكون الاسم لواحد منها، والنسبة للآخر؛ فصار الري اسماً للمدينة، وقيل: في المستب إليها الرازي. انظر: روضات الجنات (ص ٣٢٠) ط. أولى. وقال في (ص ٧٣١) بناها (هوشنج) بعد (كيومرث)، وقيل: بناها راز بن خراسان.

(٤) راجع: معجم البلدان لياقوت (٤/٣٥٥ - ٣٦٣)، ومراسد الاطلاع (٢/٦٥١)، واللباب في تهذيب الأنساب (٤٥٠/١).

(٥) انظر: نزهة الألباب (٣٩٢)، ودائرة معارف وجدي (٤/١٤١).

(٦) راجع: اللباب (١/٤٥٠).

وقد اتحد من هؤلاء الأعلام مع صاحبنا - الإمام الرازي - كثيرون. بعضهم اتحد معه بالاسم واللقب إضافة إلى النسبة، وبعضهم اتحد معه بالاسم والكنية.

وقد رأينا من المناسب أن نذكر بعض المشاهير من علماء الريّ لتمييز مترجما الفخر - رحمه الله - من بينهم من ناحية، ولإلقاء بعض الضوء على طبيعة البيئة التي ترعرع فيها، وكان لها أثرها في نشأته العلمية.

فمن هؤلاء العلماء: أبو عبد الله، جرير بن عبد الحميد الرازي^(١)، وأبو زرعة الرازي^(٢)، وأبو حاتم الرازي^(٣)، وابن أبي حاتم الرازي^(٤)، وابن أبي سريج الرازي^(٥)، وأبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي^(٦)، وأبو بكر محمد بن زكريا الرازي.....

(١) هو جرير بن عبد الحميد بن جرير الضبيّ الرازيّ، كوفي الأصل، رازي المولد والنشأة، توفي بالريّ سنة (١٨٨هـ). راجع طبقات ابن سعد (١/٧/٦٦٠)، وابن الجزري (١/١٩٠)، والجواهر المضية (١/١٧٧)، والصغوة (٤/٦٨)، وجامع المسانيد (٢/٤٢٠)، وهدي الساري (٢/١٢١)، والجمع (١/٧٤)، والنذرة (١/٢٥٠)، والتهذيب (٢/٧٥)، والخلاصة (ص ٥٢)، والميزان (١/١٨٢)، والأغنياء (ص ٨)، وتنقيح المقال (١/٢١٠)، وأخبار أصبهان (١/٢٥٠)، وتاريخ بغداد (٧/٥٣)، والجرح والتعديل (١/١٠٥)، وآداب الشافعي ومناقبه بتحقيق - شيخنا - عبد الغني عبد الحالق. حاشية (ص ٨١).

(٢) هو عبد الله بن عبد الكريم الرازيّ، المتوفى بالريّ سنة (٢٦٤هـ) أو (٢٦٨هـ). راجع: المنتظم (٥/٤٧)، والبداءة (١١/٣٧)، والشذرات (٢/١٤٨)، وتاريخ بغداد (١/٣٢٦)، والصغوة (٤/٦٩)، والإكمال (ص ٦٢)، والجمع (١/٣٠٦)، والنذرة (٢/١٢٤)، والتهذيب (٧/٣٠)، والخلاصة (ص ٢١٣)، والمستطرفة (ص ٤٨)، ومقدمة النخبة (ص ٢٢٩)، وطبقات الحنابلة (١/١٩٩)، ومختصرها (ص ١٤٤)، والعلو (ص ٢٣٦)، وآداب الشافعي ومناقبه بتحقيق - أساتذنا - عبد الغني عبد الحالق (١/٦٣).

(٣) هو محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران النطفانيّ الحنظليّ، المولود سنة (١٩٥هـ) والمتوفى سنة (٢٧٧هـ)، راجع: طبقات ابن السبكي (١/٢٩٩)، والوافي (٢/١٨٣)، وتاريخ بغداد (٢/٧٣)، وطبقات ابن أبي يعلى (ص ٢٠٦)، وتهذيب التهذيب (٩/٣١)، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص ١٢٣)، وآداب الشافعي ومناقبه بتحقيق - أساتذنا - عبد الغني (ص ٧-٩).

(٤) هو أبو محمد، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازيّ، المولود سنة (٢٤٠هـ) والمتوفى سنة (٣٢٧هـ)، راجع ترجمته والكلام عنه في التاريخ لابن الأثير (٨/١٢٦)، ط. بولاق، ولأبي الفداء (٢/٨٦)، وابن الوردي (١/٢٧١)، وابن كثير (١١/١٩١)، وشذرات الذهب (٢/٣٠٨)، والنجوم الزاهرة (٣/٢٦٥)، وطبقات الشافعية لابن السبكي (٢/٢٣٧)، وآداب الشافعي ومناقبه للمترجم بتحقيق - شيخنا - عبد الغني، حاشية (ص ٧-٨).

(٥) هو أحمد بن أبي سريج الرازيّ، الصباح، أو عمر. أبو جعفر أو أبو بكر النهشليّ الرازيّ المتوفى سنة (٢٣٠هـ)، راجع: تاريخ بغداد (٤/٢٠٥)، وطبقات القراء (١/٦٣)، وطبقات ابن السبكي (١/١٩٩)، والجمع (١/١٠)، أو بعد (٢٤٠هـ) والتهذيب (١/٤٤)، والخلاصة (ص ٧٠٦)، والتوالي (ص ٧٩)، وفتح المغيث (٤/١٠٣)، ومفتاح السعادة (٢/١٥٤)، وآداب الشافعي ومناقبه بتحقيق - شيخنا - عبد الغني، حاشية (ص ٣٤).

(٦) الواعظ أحمد رجال الطريقة الصوفيّة، توفي سنة (٢٥٨هـ)، راجع: الوفيات (٢/٢٢٤) والعبر (٢/١٧)، =

الطبيب^(١)، وأبو بكر الرازي الجصاص^(٢)، وقطب الدين الرازي^(٣) وكثيرون غيرهم.

الْمَحْضُ الرَّابِعُ: أَسْرَتُهُ

والده هو الإمام ضياء الدين عمر - وسيأتي الخديث عنه^(٤) - وله أخ أكبر منه سنًا، هو الملقب بـ « ركن الدين » وستقف على بعض أخباره^(٥). وكانت هذه الأسرة تعيش في « طبرستان »، ثم تركتها إلى الري كما تقدم.

وقد أفادت كتب التاريخ أنّ الفخر خلف ابنين: ذكرا بلقبهما، أحدهما الملقب بلقب جده - ضياء الدين - وله نظر واشتغال في العلوم^(٦). والآخر - وهو أصغر الاثنين - شمس الدين والذي لقب بعد وفاة والده الفخر بـ « فخر الدين »، وكنيته: أبو بكر، وهذا

= وتاريخ دول الإسلام (١ / ١٢٣)، وطبقات الصوفية (ص ١٠٧)، والصفوة (٤ / ٧١)، والطبقات الوسطى للشعراني مخطوط (ورقة ٥٨ ب)، والرسالة القشيرية بشرح الشيخ زكريا الأنصاري، وحاشية العروسي (١١٩ / ١)، وحنية الأولياء، (١٠ / ٥١) .

(١) الملقب بجالينوس العرب وطبيب المسلمين - فيلسوف وطبيب - توفي سنة (٣٢٠ هـ) على ما ذكره ابن أبي أصيبعة (١ / ٣١٤)، وله ترجمة طويلة فيها (١ / ٣٠٩ - ٣٢١)، وانظر: الوفيات (٢ / ٧٨)، والوافي (٣ / ٧٥)، ومذهب الدولة عند المسلمين: ترجمة أبو ريده (ص ٣٥)، وفي تحديد تاريخ وفاته خلاف كبير، راجعه في هامش كتاب: « تاريخ الفلسفة في الإسلام » لدي بور (ص ١٠٤)، ترجمة: أبو ريده، ولمعرفة مؤلفاته راجع: الفهرست (ص ٤١٥ - ٤٢٠) .

(٢) هو: أحمد بن علي بن حسين، إمام حافظ، إليه انتهت رئاسة الحنيفة في بغداد، تُقْبَلُ بالجصاص نسبة إلى العمل بالجص، له كتاب أحكام القرآن، وأصول الجصاص وغيرهما، توفي سنة (٣٧٠ هـ) عن خمس وستين سنة. راجع: الفوائد البهية (ص ٢٧، ٢٨)، والشذرات (٣ / ٧١)، وطبقات الأصوليين (١ / ٢٠٣)، والفهرست (ص ٢٩٣)، والمعبر (٢ / ٣٥٤)، والمنظّم (٧ / ١٠٥) .

(٣) هو محمد بن محمد أبو عبد الله قطب الدين الرازي، المعروف بـ « القطب التحتاني » تميزَ أنه عن قطب آخر كان ساكنًا معه بأعين المدرسة الظاهرية، له: شرح رسالة الشمسية في المنطق، وشرح الإشارات لابن سينا وغيرهما توفي في دمشق سنة (٧٦٦ هـ)، راجع: الفوائد البهية (ص ١٢٦)، وبغية الوعاة (٢ / ٢٨١)، وقد سُمّي فيها محمود ابن محمد، وطبقات الشافعية للأسنوي (١ / ٣٢٢)، وطبقات ابن السبكي (٦ / ٣١)، والشذرات (١ / ٢٠٧)، ومفتاح السعادة (١ / ٢٩٨) .

(٤) راجع. (ص ٣٨) من هذه الرسالة.

(٥) راجع: (ص ٤٥) من هذه الرسالة.

(٦) راجع: عيون الأنباء (٢ / ٢٦) .

هو الذي ذكر المؤرخون: أن له فطرة فائقة، وذكاء خارقاً، وكان الإمام كثيراً ما يصفه بالذكاء. ويقول: إن عاش ابنه هذا، فإنه يكون أعلم مني^(١).

وله ولد أكبر من الاثنين توفي في حياته، ورثاه بقصيدة سترد في شعره، وتوَجَّع عليه كثيراً في مواضع من التفسير - منها قوله: "وقد كان لي ولد صالح حسن السيرة، فتوفي في الغربة، في عنفوان شبابه، وكان قلبي كالمحترق لذلك السبب"^(٢). ولعل ولده - هذا هو الذي قيل بأنّه جند وخدم السلطان محمد بن تكش^(٣)، ولعله أكبر أبناء محمد - الذي أهدى إليه جملة من مصنفاته كالأربعين وسواها^(٤).

وقد تطرق صاحب الفوائد البهية إلى ترجمة الفخر وذكر أبنائه - وهو يترجم لمحمد ابن محمد بن محمد بن فخر الدين، جمال الدين، الأقصراني - بشيء من التفصيل لم نجده عند سواه حيث قال عن الأقصراني المذكور: وأما أبو محمد بن محمد بن الإمام فخر الدين الرازي فإنه سعى في تحصيل العلم لكنه لم يبلغ رتبة جدّه؛ فاقنع برتبة الوعظ. وأما جدّه محمد بن فخر الدين الرازي، فقد بلغ رتبة الفضل عند أبيه وكان الإمام فخر الدين يحبه كثيراً، وصنف أكثر مصنفاته لأجله، وذكر اسمه في بعض مصنفاته، ومات في عنفوان شبابه. وكان للإمام فخر الدين ابن غير محمد اسمه محمود، وله ابن اسمه مسعود، وهو جد محمد بن محمد بن مسعود بن محمود بن الإمام فخر الدين... وذكر ابنه المتوفى محمداً وأنه بعد وفاته ولد للفخر ولد آخر سماه محمداً أيضاً^(٥)، وأنه بلغ رتبة الكمال، وأنه خلف ولداً سماه محموداً، ومن صلالة محمود هذا علي الشهير بمصنفك^(٦).

وكانت له ابنة تزوجها الوزير علاء الملك النعلوي - وزير السلطان خوارزمشاه - واستوزره بعد دخول التتار هولاء، وبعض المصادر تشير إلى أن له ابنة انحازت مع أخويها إلى دار الفخر التي أخذ علاء الملك الأمان من هولاء لساكنيها؛ ولا ندرى

(١) راجع: عيود الأنبياء (٢/ ٢٦).

(٢) راجع: التفسير الكبير (٥/ ١٠٠، ١٧٤، ٢١٠).

(٣) راجع: الذيل (ص ٦٨)، والبداية (١٣/ ٥٥).

(٤) راجع: الأربعين (ص ٣).

(٥) وعلى هذا فيكون محمد الذي مات الفخر عنه هو حامل اسم أخيه المتوفى في حياة الفخر، وهو الذي ورث كنية الفخر ولقبه، وهو انشار إليه في وصيته.

(٦) راجع: الفوائد البهية (ص ١٩١ - ١٩٤).

ما إذا كانت الابنة المذكورة هي نفسها زوجة علاء الملك، ونخلقت عنه عند انحيازه للنتار أو هي ابنة أخرى غير زوجة الوزير^(١).

المبحث الخامس: نشأته

نشأ الرازي في بيت علم. فقد كان والده الإمام ضياء الدين عمر أحد العلماء الشافعية في الفروع، الأشاعرة في العقيدة، وكان خطيب الرّي وعالمها، وله مؤلفات أهمّها: كتاب (غاية المرام في علم الكلام) اعتبره ابن السبكي من أنفس كتب أهل السنّة، وأشدها تحقيقاً، وقال عن مؤلفه: كان فصيح اللسان، قويّ الجنان، فقيهاً، أصولياً، متكثراً، صوفياً، خطيباً، محدثاً، أديباً، له نثر في غاية الحسن تكاد تحكي ألفاظ مقامات الحريري من حسنة، وحلاوته، ورشاقه سيجعه^(٢).

وذكر ابن أبي أصيبعة عن نجم الدين يوسف من معاصري الإمام ضياء الدين عمر أنّه قال: كان الشيخ الإمام ضياء الدين عمر والد الإمام فخر الدين في الرّي، وتفقه، واشتغل بعلم الخلاف والأصول حتى تميّز تميّزاً كثيراً. وصار قليل المثل، وكان يدرس بالرّي، ويخطب في أوقات معلومة هنالك، ويجتمع عنده خلق كثير لحسن ما يورده، وبلاغته، حتى اشتهر بذلك بين العام والخاص في تلك النواحي، وله تصانيف عدة توجد في الأصول والوعظ وغير ذلك، وأنه خلف ولدين أحدهما يلقب بالإمام فخر الدين. والآخر وهو الأكبر ويلقب بالركن^(٣)... وكانت وفاته سنة (٥٥٩هـ)^(٤).

وقد نشأ الفخر في حجر والده - الإمام ضياء الدين عمر - فكان له الوالد والأستاذ الذي أغناه عن طلب العلم على يد سواه، حتى انتقل إلى جوار ربه، وكان الفخر يقرّ له دائماً بالفضل في الكثير ممّا تعلّمه، ويطلق عليه في كتبه: «الإمام السعيد» ويقول عنه إنه شيخه وأستاذه^(٥)، ويذكر السلسلة العلميّة التي تلقى عنها بكل اعتزاز.

(١) راجع: عيون الأنبا (٦٢/٢).

(٢) راجع: طبقات ابن السبكي (٢٨٥/٤)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شعبة، الطبقة الخامسة عشرة.

(٣) عيون الأنبا (٢٥/٢). (٤) راجع: هدية العارفين (٧٨٤/١).

(٥) انظر: مواضع متعددة من التفسير منها: (١٥٣/٤)، (١٨٤/٥)، ولرواع البيّنات (ص ٢٤٠)، ومناقب الشافعي (ص ١١).

قال ابن خلكان: وذكر فخر الدين في كتابه: «تحصيل الحق» أنه اشتغل في علم الأصول على والده - ضياء الدين عمر - ووالده على أبي القاسم سليمان بن ناصر الأنصاري^(١)، وهو على إمام الحرمين أبي المعالي^(٢)، وهو على الأستاذ أبي إسحاق الإسفرائيني^(٣)، وهو على الشيخ أبي الحسن الباهلي^(٤)، وهو على شيخ السنة أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري^(٥)، وهو على أبي علي الجبائي^(٦) أولاً، ثم رجع عن مذهبه ونصر مذهب أهل السنة والجماعة.

وأما اشتغاله في المذهب فإنه اشتغل على والده، ووالده على أبي محمد الحسين مسعود

(١) هو: سليمان بن ناصر بن عمران بن محمد بن إسماعيل - من أهل نيسابور فقيه صوفي، توفي سنة (٥١١هـ) أو (٥١٢هـ)، راجع: طبقات ابن السبكي (٢٢٢/٤)، وطبقات ابن هداية (ص ٧٣)، والشذرات (٢٣/٤)، وطبقات الأسنوي (٦٤/١)، والعبر (٢٧/٤).

(٢) هو: عبد الملك بن الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، الملقب بضياء الدين والمشهور بإمام الحرمين توفي سنة (٤٨٧هـ). راجع: الوفيات (٤٠٨/١) وطبقات ابن السبكي (٢٤٩/٣ - ٢٨٢)، والشذرات (٣٥٨/٣)، والبداية (١٢٨/١٢)، ومروءة الجنان (١٢٣/٣)، وطبقات الأسنوي (٤٠٩/١)، والمتنظم (١٨/٩)، واللباب (٢٥٦/١)، وتاريخ دول الإسلام (٦/٢)، وطبقات ابن هداية (ص ٦١)، والعبر (٢٩١/٣).

(٣) هو: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفرائيني نسبة إلى إسفرائين بلدة بخراسان بتواحي نيسابور متكلم أشعري، وأصولي وفقيه شافعي، توفي سنة (٤١٨هـ). راجع: الوفيات (٥/١)، والبداية (٢٤/١٢)، وطبقات اشعري (ص ١٠٦)، وابن هداية (ص ٤٥)، واللباب (٤٣/١)، وطبقات ابن السبكي (١١١/٣)، وطبقات النووي (ص ٣٨) مخطوطة دار الكتب، وتبيين كذب المفتري (ص ٢٤٣)، والشذرات (٢٠٩/٣)، وطبقات الأسنوي (٥٩/١)، وتاريخ دول الإسلام (١٩٢/١)، والعبر (١٢٨/٣).

(٤) العبد الصالح كان أحد أربعة من أخص أصحاب الأشعري به، شيخ الأستاذ أبي إسحاق الإسفرائيني وتلميذ الإمام الأشعري. راجع لمعركة شيعة من أخباره: تبين كذب المفتري (ص ١٧٨)، وطبقات ابن السبكي (٢٥٧/٢).

(٥) هو: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال أبي بردة - عامر - بن أبي موسى الأشعري الصنعائي، المتوفى سنة (٣٢٤هـ) على الأرجح وشهرته تغني عن الإطناب في التعريف به. راجع: كتاب تبين كذب المفتري، الوفيات (٤٦٤/١)، وطبقات ابن السبكي (٢٤٥/٢)، وما بعدها. ومعظم المراجع.

(٦) هو: محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن مهران بن أبان - مولى عثمان بن عفان ؓ - أحد أئمة المعزلة والد أبي هانم من أئمتهم أيضاً، توفي سنة (٣٠٣هـ). راجع: الوفيات (٦٨٥/١)، وطبقات ابن السبكي للاطلاع على مناقشات جرت بينه وبين تلميذه الإمام الأشعري (٢٥٠/٢) وما بعدها، وتاريخ دول الإسلام (١٢٥/١)، والعبر (١٢٥/٢)، واللباب (٢٠٨/٢).

الفراء البغوي^(١)، وهو على القاضي حسين المروزي^(٢)، وهو على القفال المروزي^(٣)، وهو على أبي زيد المروزي^(٤)، وهو على أبي إسحاق المروزي^(٥)، وهو على أبي العباس بن سريج^(٦)، وهو على أبي القاسم الأنطاقي^(٧)، وهو على أبي إبراهيم المزي^(٨)، وهو على الإمام الشافعي^(٩).

(١) محي السنة، الفقيه الشافعي، والمحدث المفسر للنفوي، المتوفى سنة (٤١٦هـ) راجع: الوفيات (٢٠٥/١)، وطبقات ابن السبكي (٢١٤/٤)، والبداية (١٢/١٩٣)، والتفسير والمفسرون (١/٢٣٤)، وطبقات ابن هداية (ص ٧٤)، والتعبر (٤/٣٧)، والشذرات (٤٣/٤٩)، ومرآة الجنان (٣/٢١٣)، وطبقات الأسنوي (١/٢٠٧)، وتاريخ دول الإسلام (٢٠/٢).

(٢) هو أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد المروزي، المشهور بالقاضي شيخ الشافعية في زمانه المتوفى سنة (٤٦٢هـ). راجع: الوفيات (١/٢٠٤)، وفيها يتعلق بنسبه (ص ٤٠٤)، وطبقات ابن السبكي (٣/١٥٥)، وطبقات ابن هداية (ص ٥٧)، والشذرات (٣/٣١٠)، وتاريخ دول الإسلام (١/٢٠٩)، والتعبر (٣/٢٤٩).

(٣) هو: أبو بكر عبد الله بن أحمد بن عبد الله المروزي، الفقيه الشافعي، المشهور بانتقال المتوفى سنة (٤١٧هـ). انظر: الوفيات (١/٣٥٧) وطبقات ابن السبكي (٣/١٩٨)، وطبقات ابن هداية (ص ٤٥)، والشذرات (٣/٢٠٧)، وطبقات الأسنوي (٢/٢٩٨)، والفهرست (ص ٣٠٣)، والبداية (١٢/٢١)، والتعبر (٣/١٢٤).

(٤) هو: محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد المروزي القاشاني بالقاء والشين، فقيه شافعي توفي سنة (٣٧١هـ)، راجع: الوفيات (١/٥)، وطبقات الشيرازي (ص ٩٤)، وطبقات ابن السبكي (٢/١٠٨)، وطبقات الأسنوي (٢/٣٧٩)، وتبين كذب المفترى (ص ١٨٨)، والتعبر (٢/٣١٠).

(٥) هو: إبراهيم بن أحمد بن إسحاق المروزي، المتوفى في رجب سنة (٣٤٠هـ)، راجع: الوفيات (١/٤)، وطبقات الشيرازي (ص ٩٢)، وابن هداية (ص ٩٢)، والفهرست (ص ٢٩٩)، وطبقات الأسنوي (٢/٣٧٥)، وتاريخ دول الإسلام (١/١٦٦)، والتعبر (٢/٢٥٢).

(٦) هو: أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج، المتوفى سنة (٣٠٦هـ) راجع: الوفيات (١/٢٤)، وطبقات الشيرازي (ص ٨٩)، وطبقات ابن السبكي (١/٢٢٣)، والفهرست (ص ٢٩٩)، وتاريخ دول الإسلام (١/١٤٦)، والتعبر (٢/١٣٢).

(٧) هو: عثمان بن سعيد بن بشر الأحول الأنطاقي، صاحب المزي والربيع، المتوفى سنة (٢٨٨هـ). راجع: الوفيات (١/٤٤٢)، وطبقات الأسنوي (١/٤٤)، وطبقات ابن السبكي (٢/٥٢)، وطبقات الثوري (ص ٦٩)، وتاريخ دول الإسلام (١/١٣٧)، والتعبر (٢/٨١).

(٨) هو: إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق المزي صاحب إمامنا الشافعي رحمه المتوفى سنة (٢٦٤هـ). راجع: الوفيات (١/٩٩)، وطبقات الشيرازي (ص ٧٩)، وطبقات ابن هداية (ص ٥)، وطبقات ابن السبكي (١/٢٣٨)، والأسنوي (١/٣٤)، والنجوم (٣/٣٩)، وهامش الفوائد البيهية (ص ٣٢)، وتاريخ دول الإسلام (١/١٢٥)، والتعبر (٢/٢٨)، ومنقب الفقهر (ص ١٣) والشذرات (٢/١٤٨)، واللباب (٣/١٣٣)، وهامش (ص ١٣٣) من كتاب آداب الشافعي، ومناقشه بتحقيق شيخنا عبد الغني، ولمعرفة مصنفاته انظر: المهرست (ص ٢٩٨).

(٩) هو: إمامنا الغني عن التعريف أبو عبد الله، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شاذي الحطلي القرشي.

ولما توفي والده قصد الكمال السمناني^(١٢)، واشتغل عليه مدة، ثم عاد إلى الري واشتغل على المجد الجيلي^(١٣). ولما طلب المجد إلى مراغة للتدريس بها صحبه الفخر وقرأ عليه مدة طويلة - الكلام والحكمة^(١٤).

وهكذا وجد إمامنا الرازي نفسه منذ نعومة أظافره في بيت علم، وبين يدي عالم من أعلام العلماء قضى الفترة الأولى من حياته ينهل من معين علومه؛ ولذلك شغف بالعلم، وأكب على الدرس والتحصيل. وحرص على أن لا يضيع من حياته وقتاً إلا في تعلم أو تعليم حتى أنه ليتمنى لو استطاع أن يستغني عن كثير من الحاجات الطبيعية ليجعل وقته المصروف فيها في طلب العلم؛ فيقول: والله إنني أناستف في النفقات عن الاشتغال بالعلم في وقت الأكل؛ فإن الوقت والزمان عزيز^(١٥). ولقد أمده الله تعالى - بالإضافة إلى بيته، وبيته، ورغبته - بذاكرة عجيبة، وذهن وقاد، وذكاء خارق، واستعداد للتعلم قل ما يتيسر مثله - في عصره - لسواه؛ ولذلك استطاع في فترة وجيزة استيعاب الكثير من كتب المتقدمين: كالشامل في علم الكلام لإمام الحرمين، والمستصفى للغزالي، والمعتمد لأبي الحسين البصري وأمثالها^(١٦)، ولذلك قال:

« ما أذن لي في تدريس علم الكلام حتى حفظت اثني عشر ألف ورقة »^(١٧).



يجمع مع رسول الله ﷺ في عبد مناف، وباني النسب الشريف معروف إلى عدنان ولد في غزة سنة (١٥٠ هـ)، وتوفي في القاهرة سنة (٢٠٤ هـ) وصرحه فيها مشهور بزار. فراجع مناقب الشافعي للفخر، وآداب الشافعي ومنقبه لابن أبي حاتم بتحقيق أستاذنا عبد الغني. قيل: إن التأليف في مناقبه تبلغ الأربعين مؤلفاً؛ فراجع: كشف الظنون (١٨٤٠/٢) وبالنسبة لهذه السلسلة الزكية راجع: الوفيات (٦٧٨/١)، ورواة الجنان (١١/٤)، وعقد الجنان مخطوط، دار الكتب المصرية (٢١٤/٢/١٧)، ومفتاح السعادة (١١٨/١) (٢٠١) ستاني ترجمته

(٣) راجع: الوفيات (٦٧٧/١)، ورواة الجنان (١١/٤)، وعقد الجنان، مخطوط، دار الكتب (٣٢٤/٢/١٧)، وتاريخ الإسلام (٦٤٣/٢٧)، وعيون الأنباء (٢٣/٢)، وابن الوردي (١٢٧/٢)، وابن قاضي شعبة، في طبقات اللغويين (في ٤٨/٢ ب)، وطبقات الشافعية - الطبقة التاسعة عشرة، وأبي الفداء (١١٢/٣)، وطبقات ابن السبكي (٣٥/٥).

(٤) انظر: عيون الأنباء (٢٣/٢).

(٥) راجع: الوفيات (٦٧٧/١)، ورواة الجنان (٨/٤)، والوفائي (٢١٩/٤)، وطبقات ابن قاضي شعبة (في ٤٨/٢ ب)، وعقد الجنان (ج ٢/١٧)، وتاريخ الإسلام (٦٤٤/٢٧).

(٦) راجع: البواقي والجواهر لشعراي (ص ١٧).

الْمَبْحَثُ السَّادِسُ: خَلْقُهُ وَخُلُقُهُ

أَمَّا خَلْقُهُ؛ فقد وصفته المراجع بأنه - عليه الرحمة - كان عيلاً البدن باعتدال عظيم الصدر والرأس، كث اللحية، أشمط شعرها، جهوري الصوت، في صوته فخامة، فإذا تكلم بذ القائلين^(١).

وَأَمَّا فِي وصف خُلُقِهِ وسلوكه، فقد اختلف المؤرخون في ذلك اختلافاً كبيراً؛ ذلك لأنه رحمه الله - كان كثير الأنصار، كثير الخصوم، ولكل من هؤلاء وهؤلاء موقف نابع عن محبة فيه، أو شئان له، فكثيراً ما ترى الأنصار يصفونه بأوصاف قل ما وصف بها عالم قبله أو بعده؛ مثل: الإمام المجتبي، أستاذ الدنيا، أفضل العالم، فخر بني آدم، حجة الله على الخلق، صدر صدور العرب والعجم، سلطان المحققين، أستاذ الوري، علم الهدى، أستاذ الشرق والغرب^(٢)، وانظر مسجوعة ابن السبكي؛ ومنها: إمام المتكلمين... بحر ليس للبحر ما عنده من الجواهر، وجبر سما على السماء وأين للسماء مثل ما له من الأزاهر، انتظمت بقدره العظيم عقود الملة الإسلامية، وابتسمت بدره التنظيم ثغور الثغور المحمدية... إلخ^(٣). ويقول ابن خلّكان: فريد عصره، ونسيج - وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل^(٤)، ويقول الياقعي: ومناقبه أكثر من أن تحصر به وتعد، وفضائله لا تحصى ولا تحمد^(٥). هذه بعض أقوال محبيه وأنصاره.

- أَمَّا أقوال خصومه فهي أشدّ تطرفاً من أقوال أنصاره:

يقول الخوانساري في كتابه روضات الجنات: إن الذين مدحوه - أي: الفخر - إنما مدحوه لاتحادهم معه في المذهب، وتعصبهم الشديد... ولذلك ذكر أهل التحقيق في حقه أنه لم يكن من أهل التحقيق، ولا كان قابلاً لفهم كلام الحكماء، وكان مصدر تصانيفه على الجمع لأقوال الناس وتهذيبها، وكشفها وتوضيحها، وربما أجملها، وربما فصلها،

(١) راجع: عيون الأنباء (٢٦/٢)، وطبقات ابن السبكي (٣٥/٥)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢٧: ٦٤١)، والشذرات (٢١/٥).

(٢) راجع مقدمة المحصول، مخطوط دار الكتب (ص ١)، ولسان الميزان (٤٢٨/٤).

(٣) راجع طبقات ابن السبكي (٣٣/٥).

(٤) راجع: الوفيات (١/٦٧٦).

(٥) راجع: مرآة الجنان (٩/٤).

فتصرف فيها بالتغيير والتبديل. ويستطرد قائلاً: وكان اشتهاره بالبحث والغلبة لسوء خلقه، وكان يشتم من يتباحث معه من الفضلاء، ويؤذيهم، ولتقريبه عند السلطان لم يقدر أحد على مناظرته، ومقابلته!! ويضيف إلى هذه العبارات المغرضة التافهة كثيراً من افتراءاته وترهاته وتناقضاته المموجة^(١).

ويذهب الشهرزوري إلى أبعد من هذا فيعتبر الفخر خطيئة زمانه، ويحاول أن يسلب الرجل كل فضائله، ويمحو كل مكارمه. فيتجمل له بيتين من شعر ركيك تافه زعم أنه قالهما في الشكوى من أخلاق نفسه - هما:

اشكو إلى الله من خلق يغيرني وبمحق النور من عقلي ومن ديني
حرارة في مزاج القلب محكمة تبدو فتنمو فتغويني وتردينني
وأنه كان كثير الأكل والمباذعة محباً للجاه^(٢).

وأما الفرق الضالة التي كشف الفخر زيفها وضلالها، واستنقذ من براثن غوايتها المئات من الناس؛ كالكرامية والحشوية والرافضة وأمثالها؛ فإنها بعد أن أسقط الفخر من أيديها كل أسلحة الحجاج المعقول، والجدل بالتي هي أحسن؛ عمدت إلى أشد الأساليب سوءاً في مقاومة الخصوم ألا وهي: تلفيق التهم الخلقية له، ولأهل بيته، ونسبته إلى كل فيبع في الفكر والسلوك والاعتقاد^(٣).

ولقد أثرت تلك الدعايات حتى في بعض أهل السنة؛ ولذلك وصفه صاحب البداية والنهاية: بأنه كان يصحب السلطان، ويحب الدنيا، ويتسع فيها اتساعاً زائداً، ويعقب بقوله: وليس ذلك في صفة العلماء^(٤).

(١) وروضات الجنات (ص ٧٣٠)، قلت: ومؤلف هذا الكتاب رافضي متعصب، ولا ينجل من الكذب، تكثر في كتابه الإحالات المبهمة مثل هذه، كما تكثر فيه الإحالات الوهمية الملفقة، ولقد ساءني أن أضطر لعدّه من مراجع بحثي؛ فإن الرجوع لمثل هذه الكتب نشر لها وإحياء، ولولا رجوع غيري إليه لما فعلت؛ ولكن عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه.

(٢) انظر: نزعة الأرواح، مخطوط دار الكتب (٢٩٤ أ). قلت: وهذا الشهرزوري قرين الخوانساري في هجاء الفخر وذمه للمخالفة في المذهب؛ فقاتل الله التعصب.

(٣) انظر: الفصلين السابقين وطبقات ابن السبكي (٣٥/٥)، ورواة الجنان (٩/٤)، والعبر (١٩/٥)، والنبأية (٥٥/١٣)، والوفاء (٢٥٠/٤)، والشذرات (٥ ب)، والذيل على الروضتين (ص ٦٨).

(٤) راجع: البداية (٥٥/١٣).

ويقول أبو شامة: ولا كلام في فضله، وإنما الشفاعات عليه قائمة بأشياء؛ منها: أنه كان يقول: قال محمد التازي - يعني العري - يريد النبي ﷺ وقال محمد الرازي يعني نفسه، ومنها أنه كان يقرر في مسائل كثيرة مذاهب الخصوم وشبههم بأتم عبارة، فإذا جاء إلى الأجوبة اقتنع بالإشارة. وذكر بعد ذلك أنه رأى جماعة من أصحاب الفخر في دمشق وكلهم كان يعظمه تعظيمًا كثيرًا وعقب على ذلك بقوله: ولا ينبغي أن يسمع فيمن ثبتت فضيلته كلام مشنع لعله صاحب غرض من حسد أو مخالفة في مذهب أو عقيدة رحمه الله تعالى^(١).

وقال الذهبي - بعد أن وصفه بكبير الأذكياء والحكماء والمصنفين -: وقد بدت منه - في تواليقه - بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه فإنه توفي على طريقة حميدة والله يتولى السرائر^(٢).

ونحن نرى أن الطرفين - أنصاره وخصومه - قد ركبا جانبي التفريط والإفراط في وصفه وبعدا عن الاعتدال. ولا شك أن مرد ذلك إلى أنه - رحمه الله - قد عاش حياة حافلة مليئة بالمناظرات والمجادلات مع سائر الفرق المخالفة لعقيدته الأشعرية. ولقي من جزاء ذلك الكثير من المتاعب والمشاق، وقاومته جميع الفرق التي جادلها وناظرها ويئن زيقها فأحبّه بعض الأشاعرة حبًّا جعلهم يصفونه بها أسلفنا من نعوت التقدير الذي لا يخلو من المبالغة: نكاية بخصومه - الذين هم خصوم أهل السنة - من ناحية، وحبًّا في عقيدتهم التي ناضل عنها من ناحية أخرى.

كما جعل المعارضين يبالغون في كراهيتهم له بقدر تعصّبهم لمذاهبهم وآرائهم، ولما وجدوا أنهم لا يستطيعون الوقوف له بالحجة والبرهان - وقد جرّدهم منها - عمدوا إلى الحرب النفسية بكل أسلحتها لعلهم يهزمونه ولما لم يلق - رحمه الله - سلاحه ولم ينهزم، حاولوا القضاء على حياته، كما سيأتي.

ويبدو أن الحرب النفسية عليه كانت من القوة، بحيث كان - رحمه الله - كثيرًا ما يضيق بها، ويتذمر منها، ويتمنى لو عرف هؤلاء فضله وقدره^(٣).

فإذا أضيف إلى ما تقدّم دواعي الحسد الكثيرة، فإن المرء لا يستغرب أنذاك

(١) الذيل (ص ٦٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣) (١/ ١١٥).

(٣) راجع: اعتقادات الفرق (ص ٩١ - ٩٣).

كثرة الشناعات التي نسبت إليه، بل يستغرب قتلها، ومهاقتها وتفاهتها، فقد كان - عليه الرحمة - ذا صلة ببعض السلاطين موقراً لديهم، عظيم الخطوة عندهم كما كان ذا ثراء عريض، وصيت ذائع، كثير التلاميذ والأصحاب، ذا سعادة عظيمة في تأليفه، وهذه الأمور كلها مدعاة للحسد، ومن شأن الحسد أن يدفع صاحبه إلى مجافاة العدل، والبعد عن الإنصاف، ولذلك استحل الكرامية دمه وقيل: إتهم سموه أو دسوا عليه من سموه^(١). واستباح الحشوية عرضه فكانوا لا يكتفون بالنيل منه، بل يتألون من زوجته وبنه وغلته^(٢)، وكرهه المعتزلة وحاولوا اضطهاده^(٣)، وناراه الشيعة وشايعوا أعداءه، ورأى بعض أهل السنة في أسلوبه في الرد على الخصوم أسلوباً مخالفاً لما ألفوه فتعد الكثيرون عن نصرته.

ولم يكن - رحمه الله - موضع حسد الأباعد فقط؛ بل كان أقرب الأقارب له من الخاسدين؛ فأخوه ركن الدين غاظه هو الآخر ما وصل إليه أخوه الفخر فأنحاز إلى خصومه، فكان لا يفتأ يطعن خلقه، وينذد به، ويشتم عليه. ويقول: ألسنت أكبر منه؟ وأعلم منه؟ وأكثر معرفة بالخلاف وأصوله؟ فما للناس يقولون: فخر الدين، فخر الدين، ولا يقولون ركن الدين؟

وكثيراً ما كان خصوم الفخر يستغلون هذا الركن، ويحرضونه على أخيه ليزيدوا في متاعبه، «وظلم ذوي القربى أشد مضاضة» ومع ذلك فقد كان الفخر يشفق عليه ويصله بالمال والزيارة^(٤).

وأما الشناعات التي توصل بها الخصوم للطعن على الفخر؛ فهي أنه من أن تقوم لنقاش...

أما قولهم: إنه كان يقرر شبهة اخصوم نقداً، ويرد عليها نسيئة، أو يقرر شبهة بسيط أو إطناب، ويقتصد في الرد عليها - فهذه شبهة لا تستحق كل هذا التشنيع ولا تقتضي أي اتهام للإمام في عقيدته أو سلوكه؛ فالمعروف عنه أنه شجاع جريء؛ لم يهب الحاكمين ولا من دونهم، وربما خاطب بعض الحاكمين بما لا يحتملونه من سواء؛ وكان يهاجم

(١) انظر: البداية (٥٥/١٣)، والبحر (١٩/٥)، والنجوم (٦/١٩٨).

(٢) انظر نفس المراجع مع الوافي (٤/٢٥٠).

(٣) انظر: العيقات (٣٥/٥).

(٤) انظر: عيون الأنباء (٢/٢٥).

الكرامية، ومن الحاكمين من يدين بمذهبهم^(١) ويعطف عليهم، ويجادل المعتزلة ويسفه آراءهم - وبعض الحاكمين منهم^(٢)، ولم يبال بشيء، فلو كان منحرفاً عن السنة لما احتال لتغطية انحرافه بهذا الأسلوب ولكن صرح بما يؤمن به ويعتقده فذلك هو الظن بمثله.

أما أسلوبه في الرد على الخصوم بتقرير جميع شبههم ثم هدمها مرة واحدة؛ فهو أسلوب علمي رصين، سلكه قبله الإمام الغزالي - رحمه الله - فهو حين أراد الرد على الفلاسفة كتب أولاً كتابه: «مقاصد الفلاسفة» ثم ألف كتابه: «تهافت الفلاسفة» ولم ينكر عليه أحد ذلك.

ولقد كان الفخر - رحمه الله - يريد بهذا الأسلوب أن لا يترك خصمه بعد الرد عليه أية تعلقة يمكن أن يدعي بأنها حجة لم يرد عليها، وأن يفهم الخصم، ومن يمكن أن يؤثر فيه: أن من يرد عليه عالم بكل وجوه رأيه، ودلائل قوله، وأن يضعف هذا الرأي ويرفضه مع استقراره لأدلة ووجوهها، وذلك أجدى في زلزلة قواعد آراء الخصوم ودك بنيانها.

وقد نقل ابن حجر عن الطوفي اعتذاراً معتدلاً عن هذا المسلك للفخر، حيث قال: ولعمري إن هذا دأبه في كتبه الكلامية والحكمية حتى اتهمه بعض الناس، ولكنه خلاف ظاهر حاله؛ لأنه لو كان اختار قولاً أو مذهباً ما كان عنده من يخاف منه حتى يستر عنه؛ ولعل سببه أنه كان يستفرغ أقوالاً في تقرير دليل الخصم، فإذا انتهى إلى تقرير دليل نفسه لا يبقى عنده شيء من القوى. وقد صرح في مقدمة كتابه: «نهاية القول» أنه مقرر مذهب خصمه تقريراً لو أراد خصمه أن يقرره لم يقدر على الزيادة على ذلك^(٣).

والحق: أن الأمر لا يعدو أن يكون أمر أسلوب. وصحيح أن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - كان ينكر هذا الأسلوب؛ فقد أنكر على الحارث المحاسبي رده على المبتدعة. وحين قال له المحاسبي: الرد على المبتدعة فرض. قال: نعم ولكنك حكيت شبههم أولاً، ثم أجبت عنها فلم يؤمن أن يطالع الشبهة من يعلق ذلك بفهمه، ولا يلتفت إلى الجواب،

(١) مثل السلطان ضياء الدين الغوري ابن عم غياث الدين. وغياث الدين نفسه الذي كان على مذهبهم قبل أن يصير شافعيًا.

(٢) لقد أخرجوا الفخر من غورازم بعد مجادته معهم فإن لم يكن السلطان منهم فإن لهم نفوذًا واسعًا هو الذي مكنتهم من إكراه الحاكم على إخراجه سنة (٥٩٥ هـ) راجع: تاريخ أبي الفداء (٩٧/٣)، ابن الوردي (٢/١١٥).

(٣) راجع: النسان (٤/٤٣٨).

أو ينظر إلى الجواب ولا يفهم حقيقته^(١).

ولا نريد مناقشة هذا الرأي للإمام أحمد - رحمه الله - ولكننا نريد أن نقول: إنه رأي الإمام غير ملزم لجميع المسلمين ولا متمسك للحشوية والمعتلة والمشبّهة به، فهو قائم على الاحتياط فقط، وغير مستند إلى نص يحرم هذا الأسلوب في مجادلة المخالفين. فنحن مأمورون بأن نجادل بالتي هي أحسن في إقناع الخصم، وإبعاده عن الكفر والضلال أو الانحراف. ولعل هذا الأسلوب هو الذي أحسن - بالنسبة لمخالف السنة في عصر الرازي - بل لقد ثبت علمياً أنه الأحسن برجوع الكثيرين من الكرامية والمعتزلة وسواهم إلى مذهب أهل الحق على يد الفخر.

وأما الشناعة القائلة بأنه - رحمه الله - كان يقول: قال محمد التازي؛ يعني: العربي، وقال محمد الرازي؛ يعني: نفسه^(٢)، فلا نراها إلا فرية افترها عليه خصومه وتناقلها عنهم المغرضون، فالذين نقلوا هذا القول لم يذكروا أين قاله الرازي ولا في أي كتاب من كتبه ذكره. وفيما اطلعنا عليه من كتبه لم نجد مثل هذا القول ولا قريباً منه.

وعلى فرض صحته فلعل العجم كانوا يطلقون كلمة: * التازي * ويريدون بها العربي وليس في هذا أية إهانة أن يقول: قال محمد التازي، ثم يشرح قوله ﷺ مبتدأ بقوله: قال محمد الرازي. وقد يكون قال هذا على فرض صحته في حديث أو موعظة بالفارسية. وإن كان أبو عبد الله أتقى وأعقل من أن يجعل نفسه لرسول الله ﷺ ندّاً.

أما أقوال اخوانساري والشهرزوري وأمثالهما: فهي من التفاهة والتهافت بحيث لا تستحق الوقوف عندها، والغرض والتعصب والتحامل فيها واضح، ولست أدري كيف يكون سين الخلق من يبلغ تلامذته وأصحابه الثلاثمائة وكلهم يحلّه ويوفّره ويعظمه، والله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَطًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفْقَعْنَا مِنْ حَوَاطِرِ﴾ !!! [آل عمران: ٦٥٩].

ولم يؤثر عنه - رحمه الله - أنه شتم من تباحث معه اللهم إلا ما كان من مجادلته مع ابن القدوة الكراي فقد ذكر المؤرخون أن الفخر شتمه^(٣).

(١) انظر: طبقات ابن السبكي (٢/ ٣٩)، وفخر الدين الرازي للبهاري (ص ١٠١).

(٢) راجع: الذليل على الروضتين (ص ٦٨)، والبداية (١٣/ ٥٥)، وفيها أنه كان يقول البهائي، بدل التازي. يعني ابن البهائية وهو تحريف. راجع: هوامش الذليل (ص ٦٨)، وفي مرآة الزمان: النادي ٤، وهو تصحيف أيضاً.

(٣) راجع: تفاصيل هذه المناقشة في حوادث سنة (٥٩٥ هـ) في معظم المراجع التاريخية.

ومهما قال حاسدوه عن خلقه؛ فَإِنَّ مَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُ كَانَ عَلَى جَانِبِ كَبِيرٍ مِنَ
التَّشْجَاعَةِ وَالشَّهَامَةِ وَالْخُلَمِ وَالْعَافِ، وَالْعُطْفِ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَالِدِينِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَى
اللَّهِ تَعَالَى، وَالْغَيْرَةِ عَلَى دِينِهِ وَحَرَمَاتِهِ.

أَنَّهُ حَقُّ النَّاسِ: عَقِيدَتُهُ وَمَذْهَبُهُ

الإمام الرازي أشعري العقيدة، شافعي المذهب؛ على هذا اتَّفَقَ معظم من ترجموا
له، أو كتبوا عنه، إِنَّ لَمْ نَقُلْ كُلُّهُمْ، وَلَكِنْ الْحَرْبُ الَّتِي شَنَّهَا عَلَيْهِ خَصُومُهُ تَنَارَلَتْ فِيهَا
تَنَارُلَتُهُ - مِنْ أَمْرِهِ - عَقِيدَتُهُ بِالتَّشْكِيكِ، فَلَقَدْ حَاوَلَ خَصُومُهُ إِخْرَاجَهُ مِنْ حُظْرَةِ أَهْلِ
السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَإِنْ كَانَتْ جَمِيعُ كُتُبِهِ وَمَوَاقِفُهُ زَاخِرَةً بِمَا يَشْهَدُ لَهُ بِأَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْ أَوْثَمَةِ أَهْلِ
السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

ومع تصرُّحه بذلك وإعلانه له، فِي نَحْوِ قَوْلِهِ: * وَقَدْ عَلِمَ الْعَالَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ مَذْهَبِي،
وَلَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ «^(١)» - فَإِنَّ خَصُومَهُ لَمْ يَكْفُوا عَنْ اتِّهَامِهِ
بِالانْحِرَافِ عَنِ السُّنَّةِ.

وَحِينَ تَرَامَى إِلَى مَسَامِعِهِ الْإِتِّهَامَاتُ بِمُخَالَفَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ تَحِيشُ نَفْسَهُ بِالْأَلَمِ،
وَيَذْكُرُ النَّاسُ بِجَهْدِهِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي بَذَلَهَا فِي نَصْرَةِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ هَذِهِ الْجُهُودُ
الْمُتَمَثِّلَةُ بِمُصْطَفَاتِهِ الْكَثِيرَةِ، وَتِلَاذَتِهِ الَّذِينَ رَبَّاهُمْ عَلَى اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ،
وَانْتَشَرُوا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ يَدَافِعُونَ عَنِ السُّنَّةِ، وَيَنْصُرُونَ أَهْلَهَا - وَيَقُولُ: * وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ
الْأَعْدَاءَ وَالْحَسَادَ لَا يَزَالُونَ يَطْعَنُونَ فِيْنَا وَفِي دِينِنَا، وَمَعَ مَا بَدَلْنَا مِنَ الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ فِي
نَصْرَةِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّنِي لَسْتُ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ..
وَلَمْ تَزَلْ تِلَاذَتِي وَتِلَاذَتِي فِي سَائِرِ أَطْرَافِ الْعَالَمِ يَدْعُونَ الْخَلْقَ إِلَى دِينِ الْحَقِّ،
وَالْمَذْهَبِ الْحَقِّ، وَقَدْ أَبْطَلُوا جَمِيعَ الْبِدْعِ «^(٢)».

وَلَقَدْ اتَّخَذَتْ الْإِتِّهَامَاتُ لَهُ فِي عَقِيدَتِهِ أَشْكَالًا مُخْتَلِفَةً، وَلَكِنَّهَا كُلُّهَا تَتَوَلَّى إِلَى هَدَفٍ
وَاحِدٍ وَهُوَ نَفْيُ كَوْنِهِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. أَمَا مَاذَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ؟ فَهَذَا مَا لَمْ يَهْتَمَّ بِهِ

(١) راجع: الاعتقادات (ص ٩٢).

(٢) نفس المرجع.

خصومه كثيرًا، فالمنهم في نظرهم هو إخراجهم من حظيرة الأشاعرة وحرمانهم من مناصرتهم. فإن وجدوا في كتبه ما يمكن حمله على مخالفة أهل السنة ولو بكثير من التعسف حملوه، وإلا ففي الكذب والافتراء مجال متسع.

يقول الخوانساري عنه: «وكان (يعني: الفخر) ينال أبا الحسن الأشعري، ويقول: كان الأشعري رجلاً جاهلاً مسكيناً متحيزاً في مذهب الجاهلية، وإن أكثر شبهاته كانت مأخوذة من أبي البركات اليهودي، وأنه قد صنف في علوم كان جاهلاً فيها»^(١).

وهذه الغيبة لم يتكلف الخوانساري الإشارة إلى مصدر نقلها عن الفخر؛ لأنه لا يمكن أن يكون لها مصدر غير افتراءات الرافضة الذين اعتادوا تلفيق الأكاذيب والافتراءات على خصومهم بشكل لا تجاريمهم فيه فرقة من الفرق الضالة. وهذا الذي نقله الخوانساري لم نجد - فيما اطلعنا عليه - أحدًا ذكره غيره، ولم نثر في كتب الفخر التي قرأناها على مثل هذا القول، ولا قريب منه، بل رأينا يذكر الأشعري بكل تبجيل وتوقير في سائر كتبه الكلامية ونحوها، ويذكره بقلبه الذي تعارف أتباعه على إصلاقه عليه (الشيخ)، وحين يذكر للأشاعرة قولاً فكثيراً ما يصدره بقوله: «قال أصحابنا».

ومن الواضح أن هدف مناوئته كان إبطال تأثيره في الناس، وتأليب العامة عليه، واشغاله بالمعارك الجائفة عن هدفه الأساسي في نصرة أهل السنة والجماعة؛ ولذلك كانت كل فرقة من الفرق المناهضة له تحاول أن تنسبه إلى أبغض الفرق إلى قلوب من تحاطبهم من انعماء، فطائفة تنسبه إلى الاعتزال، وأخرى تنسبه إلى الفلسفة والزندقة، وثالثة تنسبه إلى المجترقة، ورابعة تنسبه إلى القدرية، وهكذا. حتى ليكاد الباحث يجد منه منسوباً لكل فرقة من الفرق الثلاث والسبعين التي افرقت إليها هذه الأمة بوجه من الوجوه.

وحين يحاول المرء البحث في أدلة أي من كتائب الفرق على نسبته المزعومة إلى فرقة غير الأشاعرة لا يجد إلا مثل قولهم: إنه قرر أدلة هذه الفرقة في مسألة كذا ولم يرد عليها، أو ضعف أدلة الأشاعرة في الرد على هذه الفرقة، واختار عليها دليلاً من عنده^(٢)، وكان

(١) راجع: روضات الجنات (ص ٧٣٠)، قلت: وهذا الكلام رأيت نحوه لابن تيمية في كتبه موافقة صحيح المنقول، قاله في الرازي. فلعل الخوانساري اطلع عليه وحرفه في القائل والمنقول فيه.

(٢) راجع على سبيل المثال: موافقة صحيح المنقول (١/٩٥)، والعميقة الواسطة (من مجموعة رسائل ابن تيمية)، (١/٤١٨). ورسائل الاحتجاج بالقرآن (٢/١٠٢)، واللسان (٤/٤٢٨).

الرجل موكل بتقرير كل دليل، ودرا كل شبهة، والوقوف عند كل قول، أو نقل، ومناقشة كل رأي وهذا مما تنوء بالقيام به العصبية من العلماء.

الفخر والتشيع،

إن أقوى التهم التي وجهت إلى عقيدة الرازي، واعتبر بموجبها مخالفًا لأهل السنة والجماعة هي تهمة التشيع.

فهذه التهمة من دون التهم الأخرى حفل بها خصومه، واعتبروها بها حشدوا لها من دلائل بزعمهم هي التهمة التي لا فكاك لها منها؛ ولذلك فإننا سنتقصر على مناقشتها - وحدها - فإن سقطت كان سقوط ما عداها أولى؛ فنقول:

- نقل ابن حجر في اللسان عن المدعو ابن الطباخ^(١): «أن الفخر كان شيعيًا يقدم عبة أهل البيت لمحبة الشيعة. حتى قال في بعض تصانيفه: «وكان علي شجاعًا بخلاف غيره»^(٢).

- كما أنه كان كثيرًا ما يقرن اسم الإمام علي عليه بقوله: «عليه السلام» وإذا ذكر أهل البيت؛ فإنه يقول: «عليهم السلام»^(٣).

- وقال في المطالب العالية: «وهو يتحدث عن الإنسان الكامل»: «وجامعة من الشيعة الإمامية يسمونه «بالإمام المعصوم»، وقد يسمونه «بصاحب الزمان»، ويقولون: إنه غائب وقد صدقوا في الوصفين»^(٤).

وقال في التفسير - وهو يحتاج للشافعية في وجوب الجهر بالتسمية في الصلاة الجهرية - «وأما أن علي بن أبي طالب عليه كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى والدليل عليه قوله (عليه السلام): اللهم أدر الحق مع علي حيث دار»^(٥).

(١) هو: يحيى بن أبي الفتح بن الطباخ الحارثي الضرير - من الحنابلة - توفي بالأكلة - السرطان - سنة (٦٠٧هـ). راجع مرآة الزمان (٨/ ٥٥٤)، وليس هو ابن الطباخ البغدادي مدارك بن علي - تزيل مكة - المتوفى سنة (٥٧٦هـ). راجع المصدر السابق (ص ٣٦٥).

(٢) راجع لسان الميزان (٤/ ٤٢٩).

(٣) راجع: مواضع متعددة من التفسير منها: (١٠٤/١، ١٠٩/١)، وقد كررها أربع مرات، (٨/ ٤٤٥) وتكررت مرتين، (٨/ ٥٢٧، ٨/ ٥٩٢) والأربعين (ص ٤٨٣).

(٤) راجع المطالب (٢/ ٤٤٧).

(٥) راجع: التفسير (١/ ١٠٨)، ط. الحبرية.

- وفي نفس المسألة، قال وهو يستدل بعمل علي لما ذهب إليه الشافعية: «أن الدلائل العقلية موافقة لنا، وعمل علي بن أبي طالب عليه السلام معنا، ومن اتخذ عليًا إمامًا لدينه؛ فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه»^(١).

هذه جملة ما يمكن لنحو ابن الطباخ أن يستدل به على تشييع الفخر، وكلها لا تحتل شيئًا مما ذهب إليه ابن الطباخ ونحوه.

- أما كونه - رحمه الله - يقدم حجة أهل البيت لمحبة الشيعة فهو كلام مغرض متسع، وإلا فلم لا يقال: إنه يحب أهل البيت لمكانهم من رسول الله ﷺ ولله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ آيَاتٍ إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] وهل يمكن لقلب مؤمن بالله ورسوله أيًا كان مذهبه أن يخلو من حب آل بيت رسول الله ﷺ؟

وأما أنه يقرن اسم الإمام علي عليه السلام بقوله: «عليه السلام» وكذلك يفعل عند ذكر جملة آل البيت، فنقول فيه:

- إن هذه العبارات - بالذات - أكثر تعرضًا لتصرفات النساخ من غيرها؛ فالتناسخ كثيرًا ما يتصرف بهذه العبارات وفقًا لغرضه، ولم تسلم من ذلك عبارات الصلاة على رسول الله ﷺ؛ فإنك قد تجد ناسخًا يحمل ذكرها، وناسخًا يقتصر على قوله: «عليه السلام» وثالثًا ينحتها، ورابعًا يقول: «صلى الله عليه وسلم»، وخامسًا يكتب «صلى الله عليه» فقط، وآخر يكتب «عليه الصلاة والسلام»، ومنهم من يضيف كلمة الآل إليها.

- وإذا سلمنا أنها من المؤلف وليست من النساخ فلا خير في ذلك أيضًا، فإننا مأمورون بتوقير آل بيت رسول الله ﷺ وهذا التوقير من جملة مظاهره الترضي والتسليم عليهم، ولم نشرع لنا بصيغة معيته - فيها نعلم - من «رضي الله عنه» أو «عليه السلام»، بل شرعت لنا الصلاة النامة على رسول الله ﷺ وهي ما يذكر فيها آله معه، وإن كان المراد بأنه فيها جميع المؤمنين. أما الصحابة، أو آل البيت إذا ذكروا أو ذكر بعضهم - على سبيل الأفراد - فإن المطلوب ذكرهم بأسلوب التوقير والتبجيل فقط من غير إلزام بأن تقرأ أسماؤهم بصيغة ترضي، أو تسليم، ولكنه جرت عادة السلف من أهل السنة على ذكر أسماؤهم مقرونة بعبارته: «رضي الله عنه» أو «عليها» للمثنى أو «عنهم»، ولعله مستمد من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُوكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] ونحوه.

(١) راجع: التفسير (١/ ١٠٩). ط: الحيرية.

كما جرت عادة كتاب الشيعة باستعمال عبارة « عليه السلام » وهم غالبًا ما يرمزون إليها بحرف « ع » فقط.

والفخر قد استعمل العبارتين، وليس هناك ما يفرض استعمال إحدهما أو يحرم الأخرى.

- وأما العبارة التي نقلها ابن الطباخ فنصها كما في المعالم: « أحدهما: أن عليًا كان في غاية الشجاعة، وأبو بكر عليه السلام كان في غاية الضعف - هذا مذهب الروافض ^(١) ».

فَنَقُلْ ابن الطباخ إذن نقل محرف مبتور، حرّفه صاحبه لهوى في نفسه. ومثل هذه العبارة ما ورد في الأربعين من قوله: « والدليل أن عليًا كان في غاية الشجاعة والشهامة ^(٢) »، وهذه العبارة ذكرها في معرض الرد على الشيعة في قولهم إن رسول الله عليه السلام أوصى بالإمامة لعلي، واغتصبها أبو بكر عليه السلام. وليس فيها عبارة « بخلاف غيره » فلو أحسن الظن بابن الطباخ هذا، وسلمنا صحة نقله، لبقى لنا أن نقول: إن ناسخًا شيعيًا قد أضاف هذه العبارة.

- وأما عبارة المطالب العالية: « وقد صدقوا في الوصفين » فلا شك أنها زيادة ناسخ؛ ذلك لأن الفخر كسائر أهل السنة لا يرى العصمة للإمام شرطًا ^(٣)؛ فكيف يصدق على وصف لا يراه ولا يأخذ به؟

- وأما عبارته في التفسير فقد ثبت عنده بالتواتر أن عليًا عليه السلام كان يجهر بالنسبة قبل الفاتحة في الصلاة الجهرية، وهذا ما ذهب إليه الشافعي عليه السلام.

وذهب الحنفية ونحوهم إلى الإسرار بها، وامتلأوا بحديث أنس، وآخر عن عبد الله ابن المغفل. فرجح ما روى عن الإمام علي، على روايتيهما وأعلن أنه يسعه ويسع الشافعية معه ما يسع الإمام عليًا - كرم الله وجهه - ^(٤). ولا شيء في هذا كله يمكن أن يقوم أمانة على تشييع الفخر.

وكيف يكون الفخر شيعيًا وهو الذي ذب عن إمامه الشافعي عليه السلام تهمة التشيع، واشتد إنكاره لها، وبالغ في نفيها عنه، وذلك في كتابه: « مناقب الشافعي » فقد نسب هذه التهمة

(١) راجع: (ص ١٦٠).

(٢) راجع: الأربعين (ص ٤٣٣).

(٣) راجع هذا البحث كله في التفسير (١/ ١٠٧ - ١١٠)، ولعرفة اختلاف العلماء في النسبة، ومستند كل فريق منهم من السنة، راجع: « رسالة الإنصاف » لابن عبد البر المتوفى سنة (٤٦٣ هـ) ضمن مجموعة الرسائل الميمنية (٢/ ١٥٤ - ١٩٤).

للشافعي رحمه الله، على أمور بسيطة كالتي استدل بها المستدلون على تشيع الفخر، وافتخر الشافعي بحبه لآل بيت رسول الله ﷺ قائلا:

يَا زَاكِيَا قِفْ بِالْمُحَضَّبِ مِنْ مَنَى وَاهْتِفْ بِقَاعِدِ أَهْلِهَا وَالنَّاهِضِ
سَحَرًا إِذَا قَاضَ الْحَجِيجُ إِلَى مَنَى قَبْضًا كَمُلْتَظِمِ الْقَرَاتِ الْفَانِضِ
إِنْ كَانَ رَفْضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ فَلْيَنْهَدِ الثَّقَلَانِ أَنِّي زَاوِضِي

وردّد الفخر معه هذا في مناقبه^(١)، وافتخر بحب آل البيت كما افتخر، ثم بيّن الفرق بين حب آل البيت ومناصرتهم، مع حب أصحاب رسول الله ﷺ، وفي مقدمتهم الشيخان أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - والاعتراف بإمامتهما وتفضيلهما - كما هو مذهب أهل السنة، وبين التشيع والرفض بوصفها مذهبًا كلاميًا وفقهًا له قواعده ومقوماته.

كما ساق أدلة الشافعي على إمامة الصديق رضي الله عنه، وأورد آياته التي ذكر فيها اختلاف الراشدين بحسب قدمهم وسابقتهم في الإسلام وتسلسلهم في الخلافة. ونقل الكثير من المروني عن الشافعي في ذم الرفض والرافضة^(٢)، ومعلوم أنه لو كان شيعيًا لما فعل ذلك.

كما أنّ من البين أنّ ما يخالف فيه الشيعة جماهير المسلمين: الإمامة، والبيعة، والتقية، ونفضيل الإمام عليّ على سائر الصحابة، ورفض إمامة الشيخين، واعتبارهما غاصبين للخلافة.

وهذه الأصول الشيعية كلّها تجده - رحمه الله - ضم فيها مناقضًا بل لا تكاد تجد أحدًا من الأشاعرة أطنب في رد مذهبيهم في هذه الأمور إطنابه هو فيها^(٣).

وبعد: فإن هذه التهم لا يمكن أن تنفي كون الفخر علمًا من أعلام أهل السنة والجماعة، بل لقد عدّ مجدد المائة السادسة: فإن ابن السبكي روى في طبقاته حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن

(١) راجع: مناقب الفخر (ص ٥١)، ومناقب البيهقي (٧١/٢).

(٢) راجع: مناقب الفخر (ص ٤٩ - ٥٢)، وراجع ما قيل عن اتهام الشافعي بالتشيع في آداب الشافعي ومناقبه بتحقيق شيخنا عبد الغني (ص ٣١، ٧٨)، ومناقب البيهقي (١١٢/١، ١١٣، ١٣١)، وراجع غرقة رد الشافعي عن من أخذوا عليه حبه لآل بيت النبوة في الخلية (١٥٢/٩)، والانتفا، (ص ٩٠)، والتوالي (ص ٧٤) ونلاطلاع على ذمه لأهل الأهواء عامة، انظر: مناقب البيهقي (٤٥٢/١) وما بعدها ونرافضة خاصة (٤٦٨/١).

(٣) راجع: المعالم (ص ١٥٣ - ١٨٢)، والمحصل (ص ١٨١، ١٨٣)، والأربعين (ص ٤٢٦)، وما بعدها وتأمل ما قاله في (ص ٤٤٠، ٤٦٤)، والتفسير (٨/٨، ٩/٨، ٤٤٥، ٣/٢٩٥، ٤/٣٤، ٤٣٧)، ط. الحيرية.

رسول الله ﷺ أنه قال: « يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » وذكر أنّ الإمام أحمد بن حنبل قال - عقب ذكره الحديث - : إنّ مجدد المائة الأولى عمر بن عبد العزيز، وإنّ مجدد المائة الثانية إمامنا الشافعي - رضي الله عنهم - ثم ذكر ابن السبكي الآخرين إلى المائة السادسة - فقال: والسادس: الإمام فخر الدين الرازي، ويحتمل أن يكون الإمام الرافعي، إلا أنّ وفاته تأخرت إلى بعد العشرين وستائة، كما ذكرهم في منظومة منها قوله:

وابن الخطيب السادس المبعوث إذ هو للشريعه كان؛ أي مؤيد^(١)
وقال السيوطي في منظومته - تحفة المهتدين - بأخبار المجددين:

والسادس الفخر الإمام الرازي والرافعي مثله بوزاي^(٢)

فلا يضير الفخر إذن أن ينكر فضله مشتع أو صاحب غرض ما دام معروفاً لدى كل من لقوهم وزن بأنه أشعري العقيدة، شافعي المذهب.

ونكتفي بهذا القدر من الحديث عن عقيدته، وبهذا الرد الإجمالي، دون التفصيل الذي لا يتسع له المجال هنا، ويفتقر إلى وضع مؤلف خاص عن الفخر الكلامي^(٣).

(١) راجع: الطبقات (١/١٩٩ - ٢٠٣) ط. الحلبي، ومناقب البيهقي (١/٥٥، ٥٦)، وراجع: هامش الأخيرة لمعرفة من أخرج هذا الحديث من الحديثين، وانظر: تبين كذب الفخري لابن عساكر (ص ٥٢ - ٥٦)، وقد ذكر من المجددين خمسة آخرهم الإمام الغزالي؛ وذلك لأن ابن عساكر توفي سنة (٥٧١ هـ)، وإن كان الخواتماني قد زعم بأن ابن عساكر عدّ الفخر بمجدد المائة السادسة فراجع: ووضاؤه (ص ٧٣١).

(٢) راجع: فخر الدين الرازي حياته وأثاره للعماري (ص ٥٩)، والمجددون في الإسلام للصعدي (ص ١٣).
(٣) هذا ولا عبرة بما نقله صاحب «الرازي مفسراً» في (ص ٢٤) من أن بعض الكتاب قد اتهم الفخر بالانتماء إلى طائفة الإسماعيلية؛ ذلك لأننا لم نجد أحداً لكلامه وزن رماء هذه التهمة. وقد رجعنا إلى المصادر التي أشار إليها فلم نجد له فيها ذكراً، كما رجعنا إلى كتاب «تاريخ الدعوة الإسماعيلية» فوجدناه قد نسب زوراً الكثيرين من الصحابة والتابعين والأئمة إلى هذه الطائفة الضالة، ومع ذلك فإنه لم يذكر الفخر من بينهم. ولعل الأمر قد دخل على صاحب «الرازي مفسراً» عن طريق ما ذكره برون في كتابه: «تاريخ الأدب في إيران»، وإن لم يرجع إليه، فقد ذكر براون أن ملك الحشاشين نور الدين محمد بن الحسن الصباح المتوفى سنة (٦٠٧ هـ) استطاع أن يضم إلى جانبه الفيلسوف الكبير فخر الدين الرازي بواسطة الحجج الدامغة التي قدمها إليه: بواسطة الذهب والسياف؛ فجعله على الأقل يظهر شيئاً من الاحترام للمذهب الذي كان يتولى رئاسته. وزعم أن الفخر كان يتلقى مرتباً ضخماً لقاء سكوته عن الإسماعيلية. انظر: (ص ٥٧٨). قلت: وهذا دس واضح، فإن الفخر قد أعلن صراحة كفر ابن الصباح وعصابته وإخوانهم. راجع المناظرات - المسألة العاشرة (ص ٣٩ - ٤٢)، وتفسيره الكبير مشحون بالرد على تأويلات الباطنية.

الْمَبْحَثُ الثَّامِنُ: تَقَاهُ وَوَرَعَهُ

كما لم يسلم خلق الفخر - عليه الرحمة - من الغمز، كذلك لم يسلم له تدينه وتقاه من غمز الغامزين فقد ذكر بعضهم أنه: « كان يصاحب السلطان ويحب الدنيا، ويتسع فيها اتساعاً زائداً، وليس ذلك من صفة العلماء »^(١).

أنّا كون الفخر قد صحب السلطان فهذا تعبير متسع في بيان علاقة الفخر ببعض الحاكمين في زمانه، فالصحة شيء ووجود علاقة بالسلطان معدة شيء آخر، ولعل هذا لا ينطبق بشكل دقيق إلا على علاقة الفخر بخوارزم شاه علاء الدين تكش^(٢)، وولده السلطان محمد. وهذا أيضاً لا يقال عنه: إنّ الفخر صحبه، وإنّا هو الذي صحب الفخر فهو مستشار الأب الأمين، ومربي ابنه وخليفته.

كما اتصلت الأسباب بينه وبين السلطان شهاب الدين الغوري صاحب غزنة، وألف بعض التوالمف في مواضع طلبها؛ وعندما سار إلى شهاب الدين يستوفيه ما له عليه، أكرمه وبالح في الإنعام عليه.

وهذا السلطان هو محمد بن سام أبو المظفر الغزنوي أحد المشكورين من العلماء. قيل: هو الذي قال له الفخر: « يا سلطان العالم لا سلطانك يبقى ولا تلبس الرازي يبقى وأن مردنا إلى الله » ملك غزنة والهند، وكثيراً من بلاد خراسان، كان شافعي المذهب أشعري العقيدة، اغتائته الباطنية - أو الكوكر - في شعبان سنة اثنتين، وقيل: ثلاث وستائة^(٣).

(١) انظر: البداية والنهاية (٥٥/١٣)، هذا وقد زعم صاحبها أنه نقل قوله هذا عن أبي شامة في الذيل، وليس في الذيل ذكر لهذه العبارة وعلى فرض ورودها فلماذا أغفل تعقيب أبي شامة على ما نقل من شاعات بتناقلها خصوم الفخر، وهو تعقيب يدل على إنصاف صاحبه وتحفظه.

(٢) هو السلطان تكش بن أرسلان المعروف بخوارزم شاه تولى الحكم خلفاً عن أخيه سلطان شاه سنة (٥٩٠هـ). وبعد اتصال الفخر به في خراسان كلفه بترية ولده محمد، وكان يلقب بقلب الدين. وبعد وفاة السلطان المذكور في رمضان سنة (٦٩٦هـ) تولى السلطنة تلميذ الفخر محمد، وتلقب بعلاء الدين وقتل الأخير سنة (٦١٥)، أو (٦١٧)، أو (٦١٨هـ)، ويقال: إتيها من ذرية طاهر بن الحسين. راجع: البداية (٩/١٣)، (٢٢/١٣)، والتجوم (٢٢٤/٦)، والعبر (٦٩/٥)، وتاريخ دول الإسلام (٧٨/٢)، والجامع المختصر (٣٤/٩)، وتاريخ أبي الفداء (٩٨/٣)، وتاريخ ابن الوردي (١١٦/٢)، وتاريخ الأدب في إيران (٥٧٠)، والوافي (٢٤٩/٤)، ومراة الزمان (٤٧١/٨) والشذرات (٣٢٤/٤)، والكامل (٤٤/١٢)، (٦٦).

وقال الصندي: أظنه رأى الفخر توجه منه - أي من علاء الدين محمد - رسلاً إلى الهند. راجع: الوافي (٢٤٩/٤).

(٣) اغتيل وهو ساجد يصلّي العشاء. راجع: بعض أخباره في الكامل (٨٨ - ٩٠)، والتجوم (١٩١/٦)، =

وكان الفخر على صلة أيضًا بأخيه غياث الدين المتوفى سنة (٥٩٩ هـ). وهو ممن اهتم بدعوة الفخر وتحول عن مذهب الكرامية، وصار شافعيًا^(١)؛ ومن السلاطين الذين اتصل بهم الفخر السلطان أبو بكر بن أيوب^(٢) الذي ألف له كتاب: « أساس التقديس » وسيره إليه فكافأه بألف دينار أرسلها له وقد ذكره في مقدمته وأشاد بفضائله ثم قال: فأردت أن أحفه بتحفة سنيّة وهدية مرضية؛ فأتحفته بهذا الكتاب^(٣).

هؤلاء هم السلاطين الذين قامت بينهم وبين الفخر علائق اعتبرها خصومه وسيلة للطعن عليه في دينه.

ولمعرفة ما إذا كانت صلة الفخر بهؤلاء الحكام تمس ورعه، ونقدش نقاه أو هي ليست كذلك، لابد من بيان أمرين:

الأول: طبيعة علاقة الفخر بهؤلاء الحكام، وما إذا كان الفخر قد اتصل بأي من هؤلاء طالبًا لمال أو جاه. أو كانت صلته بكل منهم صلة العالم الناصح الأمين، على رسالته، المعتد بنفسه، الحافظ لكرامة علمه.

والثاني: سيرة كل من هؤلاء الحكام، وأسلوبه في حكم الرعيّة، وما إذا كانوا جبابرة طغاة، لا ينفع فيهم نصيح ولا يجدي معهم توجيه.

أما الأمر الأول فقد عرفنا أنّ السلطان تكمش قد اتخذ من الفخر له موجهًا وناصحًا، وأستاذًا مربيًا لولده والحاكم من بعده - محمد - ويذكر المؤرخون أنّ السلطان تكمش - خوارزم شاه - كان إذا أراد رؤية الفخر لم يكلفه الحضور إليه، وإتّما يقصده هو في مجلس درسه، وأنّ الفخر كان أثر الناس عنده. وأحيانًا يأتيه أمراؤه ووزراؤه فيقفون

- والبدية (١٣ / ٤٣)، وتاريخ دول الإسلام (٢ / ٨٦)، والعبير (٥ / ٤)، والشذرات (٥ / ٧)، ومرتة الجنان (٤ / ٣)، وابن الوردي (٢ / ١٢٣)، والجامع المختصر (٩ / ١٧٠)، وتاريخ أبي الفداء (٣ / ١٠٦).

(١) راجع: البدية (١٣ / ٤٣)، والكامل (١٢ / ٧٥)، والعبير (٤ / ٣٠٨)، ومرتة الجنان (٤ / ٤٩٦)، وتاريخ دول الإسلام (٢ / ٨٠)، والشذرات (٤ / ٣٤٢)، والجامع المختصر (٩ / ١٠٥)، وابن الوردي (٢ / ١٢١)، وأبي الفداء (٣ / ١٠٤) وعن نحوه إلى مذهب الشافعي راجع: تاريخ أبي الفداء (٣ / ٩٧)، وابن الوردي (٢ / ١١٥).

(٢) توفي السلطان المذكور سنة (٦١٥ هـ) راجع: البدية (١٣ / ٧٩)، والكامل (١٢ / ١٤٥)، ومرتة الجنان (٨ / ٥٩٤)، وتاريخ أبي الفداء (٣ / ١١٩)، وابن الوردي (٢ / ١٣٥)، وتاريخ دول الإسلام (٢ / ٨٩)، والعبير (٥ / ٥٨)، ومرتة الجنان (٤ / ٢٩)، والشذرات (٥ / ٦٥).

(٣) راجع: مقدمة « أساس التقديس » (ص ٣) ط الحلبي.

بين يدي الفخر لا يجلسون حتى يأذن لهم ويجلسهم على مراتبهم حيث شاء^(١).

وكان يعظ هؤلاء ويأمرهم وينهاهم ويوصيهم بالرعية، بل ويتعاضم عليهم^(٢).

ووعظ مرة بمحضر من شهاب الدين الغوري؛ فقال له: «يا سلطان العالم لا سلطانك يبقى، ولا تلبس الرازي يخفى، وإن مردنا إلى الله»، فبكى السلطان الغوري حتى رحمه الناس^(٣).

وطلب أحد هؤلاء الحكماء من الفخر أن يضع له شيئاً في الأصول يقرأه، فقال له الفخر: بشرط أن تحضر درسي، وتقرأه عليّ، قال: نعم، وأزيدك. فكان ذلك السلطان يجي، ويقف بين يديه ويأخذ يداس الإمام ويحمله في كفه. ويسمع الدرس من الكتاب، وكان ذلك الكتاب هو «المحصل»^(٤).

وقد أشرنا قبل ذلك إلى أن غيَّات الدين الغوري كان على مذهب الكرامية وبدعوة الفخر وتأثيره تحول إلى مذهب انشافعي^(٥)، وصلح حاله، وبنى الكثير من المساجد والمدارس والربط، وكان حسن الخط فكتب بخط يده جملة من المصاحف وأوقفها في المدارس والمساجد التي بناها^(٦). وذكر البعض أنه كان يغلف القول أحياناً للسلطان محمد الخوارزمشاه، ويكلمه بكلمات خشنة فيتحمل ذلك منه لكونه تلميذه^(٧).

ولم يؤثر عنه - رحمه الله - أنه تهاون مع أحد ممن عرفهم من هؤلاء أو مدح أحداً منهم بخير حق.

وقد أورد ابن أبي أصيبعة قصيدة نسبها لصاحبنا الفخر مطلعها:

الدُّبُّ ممدودٌ الرَّوَّاقِ موطَّئٌ والكفرُ محلولٌ النطاقِ ممدَّ

نقلها له بعض الفقهاء؛ وذكر أن الفخر قالها مدحاً في «علاء الدين علي خوارزم

(١) راجع: عبون الأنباء (٢/ ٢٤).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٣).

(٣) راجع: طبقات ابن السبكي (٥/ ٣٦)، ومعظم مراجع الترجمة. وقد أعمى الله بصيرة رجل يدعي التجديد فرغم أن هذا القول من الفخر اعتراف بالتلبس أو الدجل أو أنه سرع من التشنجات. راجع: المجددون في الإسلام للمصغيني (ص ٢٢٤) وما بعدها.

(٤) راجع: الوافي (٤/ ٢٥٤).

(٥) راجع (ص ٥٦) من هذه الرسالة.

(٦) راجع: روضات الخوارزمي (ص ٧٣٠) ط. أول.

شاه^(١)، ولم نجد من سلاطين الخوارزمشاهية الذين اتصل بهم الفخر من اسمه علي، ونحن نشك في نسبة هذه القصيدة للفخر، وإذا سلمنا صحتها - من حيث الجملة - فإننا نرجح أنه قالها - في تلميذه علاء الدين محمد الخوارزمشاه، ويكون ذلك جزء من أسلوبه في توجيهه: يعاتبه ويذمه إذا أساء، ويمدحه ويشجعه إذا أحسن.

هذه نقول موجزة توضح طبيعة علاقة الفخر بهؤلاء السلاطين، وتبين لكل منصف أنها علاقة لا غبار عليها، لا تنس ورع العالم، ولا تحدث نقاه، وإنما تزيد في فضله، وتدل على قوته في دينه، وإخلاصه لربه.

فإن كان هؤلاء الحكام طغاة جبابة - كما يزعم البعض - فهو لم يداهنهم، ولم يعط أحدا منهم الدنية في دينه؛ وإنما قال كلمة الحق عند سلطان جائر. وإن كانوا من الصالحاء فهو قد آزرهم لصالحهم، وزاد في اندفاعهم نحو الخير، وتوجيههم للخدمة الرعية.

هذا ما يتعلق بطبيعة علاقته بهم. وأما الأمر الثاني - وهو سيرهم - فنقول:

أما الخوارزمشاهية فقد أطبق المؤرخون على أنهم كانوا كالسد في وجه التتار، وأنهم ظلوا واقفين حماة لديار الإسلام من خطر المغول فترة طويلة من الزمن وبمجرد أن انهارت دولتهم تدفق التتار على ديار الإسلام كسيل عرم لم يقف في وجههم شيء.

وأما تلميذ الفخر منهم - محمد - فقد ذكر ابن الأثير: « أنه كان فاضلاً عالماً بالفقه والأصول وغيرهما، وكان مكرماً للعلماء، محباً لهم، محسناً إليهم يحب مناظرتهم بين يديه، ومعظم أهل الدين، ويتبرك بهم... وكان صبوراً على التعب، وإدمان السير (أو السهر)، غير متنعم، ولا مقبل على اللذات؛ وإنما همته في الملك وتديبه، وحفظ رعيته^(٢).

وأما شهاب الدين الغوري؛ فيقول ابن الأثير فيه: « كان شجاعاً مقداماً كثير الغزو إلى بلاد الهند عادلاً في رعيته، حسن السيرة فيهم، حاكماً بينهم بما يوجب الشرع المظهر... وكانت الأمور جارية في عهده على أحسن نظام^(٣).

وفي الجملة لم نجد في كل الحاكمين الذين توثقت بينهم وبين الفخر صلوات الود من فيه عيوب ظاهرة في دينه أو سيرته.

(١) راجع: عيون الأنباء (٢/ ٢٩).

(٢) راجع: الكامل (١٢/ ١٥٣)، ونحوه في البداية (١٣/ ٨٩)، وتاريخ أبي الفداء (٣/ ١٢٧).

(٣) راجع: الكامل (١٢/ ٩٠)، ونحوه في تاريخ أبي الفداء (٣/ ١٠٦)، والبداية (١٣/ ٤٣).

ولذلك؛ فإننا نرى أن صلات الفخر هذه هي صلات مقبولة شرعاً، لا يمكن لمنصف أن يتخذ منها ذريعة لاتهام الفخر في تقواه، ونفي صفة الورع عنه. والحق أننا لم نكن في حاجة إلى الإطناب في هذا البحث لولا أن واحداً من أولئك المحدثين - الذين جعلوا من النيل من علماء الأمة وأئمتها وسيلة سهلة وعاجلة للوصول إلى الشهرة - قد تناول الفخر فيمن تناوله من علماء الأمة، وجردّه من الكثير من فضائله لا شيء إلا لصلته بالسلطين، وحبه الدنيا - على حدّ زعمه - ذلك هو الشيخ عبد المتعال الصعيدي، في كتابه: «المجددون في الإسلام».

فقد قال المذكور - وهو يتحدث عن الفخر -: «فلم يصلح شيئاً من النكسة الرجعية الدينية، كما لم يصلح شيئاً من النكسة الرجعية الاجتماعية، ولا شيئاً من النكسة الرجعية السياسية، بل وضع يده في يد الجبابة من ملوك زمانه، وأثر أن يعقد معهم معاملات تجارية، ليزيد في ثروته، على أن يصلح شيئاً من أحوال ملكهم»^(١).

والقارئ لكلام الصعيدي تدهشه هذه الجرأة على المغالطة، وهذا التجاهل المقصود للتاريخ.. ويجد نفسه مرغماً على التفكير في هذا الذي نصب نفسه حكماً على علماء هذه الأمة؛ يسلك من يعجبه منهم في عداد المجددين، ويسقط منهم من لا يعجبه، ويسبغ أوصاف الطغيان والتجبر على حكام أطبقت كتب التاريخ على الثناء عليهم، ولا ذنب لهم إلا أن فقه ماركس ولينين جاء متأخراً عنهم كثيراً فلم يحفظوا بخزي التفقه فيه كما حظى الشيخ.

كما ترغمه جرأة الصعيدي هذا - على توزيع صفات التجديد وعدمه على العلماء، وصفات الطغيان والعدالة على الحكام - على البحث في حياته عن مواقف قد يكون وقفها، وغابت عن التاريخ، فإن من يتصدى للحكم بمثل هذه الأحكام وعلى نحو الفخر لا بد وأن يكون له من المواقف ما يؤهله للحكم عليه.

وينعي الشيخ الصعيدي على الفخر أنه لم يقد ثورة جاححة تطيح بهؤلاء السلطين متجاهلاً أوضاع الأمة آنذاك، وأنه لو حدثت هذه الثورة فعلاً؛ لكان اجتياح التتار ديار الإسلام قد حدث قبل الوقت الذي حدث فيه بكثير.

إنّ الفخر لم يفعل ما فعله أضراب الصعيدي من الذين أحلّوا الحرام وحرموا الحلال، وركنوا إلى الذين ظلموا، ومالّوا دعاة الكفر البواح، ولم يضع يده في أيدي جبابة طغاة،

(١) راجع: (ص ٢٢٧)، ط. دار الحماهي.

وإنما اتصل بحكام مقاتلين مرابطين على ثغور الإسلام ينصحهم ويوجههم ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، في ظرف هو من أخرج الظروف التي مرت بها أمة الإسلام. وأما المعاملات التجارية التي زعم الصعيدي أن الفخر عقدها مع السلاطين استناداً إلى بعض ما ورد في المصادر التاريخية من سير الفخر إلى شهاب الدين الغوري يستوفيه ما له عليه^(١)، فذلك ليس من قبيل المعاملات التجارية؛ إذ لا يعقل أن يكون لديه وقت للتجارة وعنده ثلاثمائة تلميذ ملازمين له، وترك عشرات المؤلفات في عمر لم يتجاوز اثنتين وستين سنة، ولكن ذلك لا يعدو أن يكون حق التأليف لكتب كان يؤلفها بناء على طلب من أولئك الحكام.

ولا نظن أن الشيخ الصعيدي قد تنازل عن هذا الحق في أي كتاب من كتبه وفي مقدمتها كتابه: «المجددون».

وهب أن الفخر اشتغل بالتجارة ليستغني بجده عن أموال الآخرين كما هو سلوك الغالبية العظمى من علماء الأمة، فمن ذا الذي حرّم الاتجار المشروع^(٢)؟

وعلى كل حال؛ فإن مطاعن نحو الصعيدي في الفخر تضاف إلى عناصر تركيته ولقد عده فضلاء العلماء وأمثالهم مجدد المائة السادسة - كما تقدم - وأغناه الله عن تركية من لم يزكو أنفسهم.

بقي مما نال خصوم الفخر به ورعه وثقاه: وصفهم له بحب الدنيا، وأنه يتسع فيها اتساعاً زائداً.

فأما حب الدنيا، فهو أمر قلبي لا يعلمه إلا الله. والحكم على الفخر بحب الدنيا مجازفة. وإسم لم يقل هؤلاء بأنه يبغض الدنيا وله في ذمها كتاب^(٣) ١٩ ولعلمهم رأوا

(١) راجع 'تاريخ الإسلام' (٢٧/٦٤٤)، والوفيات (١/٦٧٧).

(٢) جميع المؤرخين الذين اطلعت على ذكرهم لذهاب الفخر إلى شهاب الدين الغوري يستوفيه ما له عليه لم يذكروا عن هذا المال الذي للفخر على السلطان شيئاً، هل هو قرض أقرضه الفخر لسلطان قبل توليه السلطنة، أو لمن كتب ألفها أو سوى ذلك، ولكن أحافظ الذهبي - رحمه الله - قال: وكان لما أثرى لازم الأسفار والتجارة وعامل شهاب الدين الغوري في جملة من المال. انظر: تاريخه (٢٧/٦٤٤)، وقول الفخر المشهور: «إني لأتأسف في الفوات عن الاشتغال بالعلم في وقت الأكل فإن الوقت والزمان عزيز» يتنافى واشتغاله بالتجارة، فحلل الذهبي: «استنتج ذلك مما بلغه عن ثروته».

(٣) كتاب ذم الدنيا، انظر: ما سيأتي عنه في مصنفاته

في ثروته، وفي اتخاذه الخرس والماليك، ومظاهر النعمة ما يبرز لهم مثل هذا القول.

فأما ثروته ومصادرها فسيأتي حديثنا عنها.

وأما اتخاذه الماليك والخراس فإن جميع المؤرخين ذكروا أنه كان موضع نقمة جميع الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة، وهذه الفرق ما كانت تقف في عداوتها له عند حد، وأنه مع قربه من الحكام واتخاذه للخرس كان يشكو من قلة الأنصار من شدة ما يلاقى من خصومه من تأمر على حياته، وسب وتجريح^(١).

وكانت وفاته - كما سيأتي - بسبب دسه له الكرامة، أفلا يقوم هذا عذراً له في اتخاذه الخراس؟

وأما اتخاذه الماليك والخدم؛ فإن له ثلاثمائة تلميذ ملازمين له في حله وترحاله، ويقصده الناس من كل صوب وحذب - لا يستغني عن جملة من الخدم يقومون بمتطلبات منزله وجامعه ومدرسته.

ومهما يكن من أمر؛ فإن أبا عبد الله كان دائم الذكر للموت، ويؤثره على الحياة، وكثيراً ما كان يقول: «إنني حصلت من العلوم ما يمكن تحصيله بحسب الطاقة البشرية، وما بقيت أثر إلا لقاء الله، والنظر إلى وجهه الكريم»^(٢) وكلما أنه هذه تدل على الزهد بكل ما في الحياة، ومنه العلم الذي وهبه كل طاقته وجهده، كما تؤكد اتجاهه بكل قلبه إلى الله تعالى.

ولقد شهد له الكثيرون بالتقى والورع، وكان له في الوعظ اليد البيضاء، يعظ باللغتين العربية والفارسية، وكان كثيراً ما يلحقه الوجد في حال الوعظ؛ فيبكي كثيراً ويبكي^(٣).

وكانت له أوراد من صلاة وصيام لا يخل بها، ومع تبحره في سائر العلوم كان يقول: «من التزم دين العجائز فهو الفائز»^(٤). وكان يأخذ نفسه بالرياضة والزهادة^(٥).

(١) راجع: اعتقادات الفرق (ص ٩١).

(٢) راجع: عيون الأنباء (٢٦/٢).

(٣) راجع: الوفيات (١/ ٦٧٧)، والروضة البهية (ص ٧٠).

(٤) راجع: البداية (١٣/ ٥٥)، ولسان الميزان (٤/ ٤٢٧)، والجامع المختصر (٩/ ٣٠٧).

(٥) راجع: الجامع المختصر (٩/ ٣٠٨).

وكان من أهل التوكل على الله - تعالى - يقول: * والذي جربته من أول عمري إلى آخره: أن الإنسان كلما عول في أمر من الأمور على غير الله صار ذلك سبيلاً إلى البلاء والمحنة، والشدة والرزية، وإذا عَوَّل على الله ولم يرجع إلى أحد من الخلق حصل ذلك المطلوب على أحسن الوجوه. فهذه التجربة استمرت لي من أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت فيه إلى السابع والخمسين فعند هذا استقر قلبي على أنه لا مصلحة للإنسان في التحويل على شيء سوى فضل الله وإحسانه^(١).

وإن هذا ونحوه مع ما سيأتي في وصيته لأمانة من إمارات التقى المخلص والمراقبة الدائمة لله تعالى لا يباري فيها إلا مكابر.

أَمَّا بَعْدُ أَتَى ثَرَوْتُهُ وَمَصَادِرُهَا

لقد كان الفخر ذا ثراء عريض. فقد كان له خمسون مملوكاً يحملون السيوف، ويصحبونه في حلّه وترحاله^(٢)، ومات عن ثمانين ألفاً من الدنانير^(٣)، وقيل: مات عن مائتي ألف غير العروض، والعقارات والماليك الذين أعتقهم كلهم أو بعضهم حين حضرته الوفاة، وأعطى لكل مُعتق بعض المال^(٤).

وقد تجاوز البعض حدود المعقول في تقدير ثروته؛ فقال الخوانساري: * إن الفخر لما توجه إلى خراسان كان له ألف بغل (تحت اللثالي) - ولعلها تحمل اللثالي - ولا حصر لما كان عنده من الذهب والفضة، ولما وصلت مقدّمة حاشيته إلى خراسان كانت ساقيتها في خوارزم، ويبدو أن الخوانساري نفسه قد استكثر هذه الأكاذيب مع روايته لما فعقب بقوله: * وهو من الأمر الغريب بالنسبة إلى مثل هذا الرجل في الحسب كما لا يخفى^(٥).

ومعظم الذين تحدّثوا عن ثروة الرازي حاولوا الربط بين ثرائه وبين حبه للعالم وصحبته

(١) راجع: التفسير الكبير (٥/١٣٢)، وطبقات ابن السبكي (٥/٣٨)، ومفتاح السعادة (٢/١٢٢).

(٢) انظر: البداية (١٣/٥٥).

(٣) انظر: الذيل على الروضتين (ص ٦٨).

(٤) انظر: نزهة الأرواح للشهرزوري (١٢٩٤).

(٥) انظر: روّضات الجنّات (ص ٧٢٩).

للسلاطين^(١)، ومنهم من اعتنى بالحدِيث عن فقره بداية حياته ليحمل القارئ على الحكم بأن هذا الثراء؛ إنما هبط عليه من الحكام الذين صاحبهم أو من الطبيب الذي صاهره^(٢).

ومنهم من ذكر قصة الطبيب أو التاجر الذي صاهره الفخر، واستولى على ثروته ولكنه برّر هذا الاستيلاء بأنه استيلاء شرعي؛ كاليافعي الذي ذكر: «أن الفخر قصد خوارزم وقد تمهر في العلوم فجري بينه وبين أهلها كلام فيها يرجع إلى المذهب والاعتقاد فأخرج من البلد. فقصده ما وراء النهر فجري له أيضًا هناك كذلك، فعاد إلى الري، وكان بها طبيب حاذق له ثروة ونعمة، وكان للطبيب ابنتان، ولفخر الدين ابنتان فمرض الطبيب وأيقن الموت فزوج ابنتيه لولدي فخر الدين. ومات الطبيب، فاستولى الفخر على جميع أمواله كذا قاله ابن الخلكان، قلت: وعلى تقدير صحة ذلك يحمل على استيلاء شرعي في نحو وصاية أو وكالة»^(٣).

وأما ابن حجر فقد روى نفس القصة لكنه اعتبر الطبيب تاجرًا؛ فقال: «ومات التاجر فتقلب الفخر في ذلك المال وصار من رؤساء ذلك الزمان يقوم على رأسه خمسون مملوكًا بمناطق الذهب وحلل الوشي»^(٤).

وحديث المؤرخين عن ثراء الفخر أثار الكثير من الغبار حول سلوكه؛ ذلك لأن بعضهم ذكر فقر الفخر أول نشأته، ثم ذكر ثراءه المفاجئ فأوحى بذلك أن هذا الثراء إنما جاء في السلاطين الذين صاحبهم الفخر، أو من التاجر؛ أو الطبيب الذي زوج ابنتيه بابتنيه واستولى على أمواله، وأغفل معظمهم ذكر مصادر ثروته كان يمكن أن تعتبر مصادر رئيسية للثروة. وأشار بعضهم إليها بشكل عابر.

أما حكاية الفقر المدقع التي رواها القفطي عن المدعو داود الطبيب التاجر فهي رواية تثير تساؤلات كثيرة، فالطبيب الذي نقل عن القفطي يقول: «رأيت ابن الخطيب ببخارى مريضًا في بعض المدارس المجهولة وشكا إلي إقلاله فاجتمعت بالتجار المستعربين، وأخذت منهم شيئًا من زكاة أموالهم وأرفقته بذلك»^(٥)، وسيأتي أنه لم يترك الري إلا بعد

(١) كما في البداية والنهاية (١٣/ ٥٥)، والمذيل على الروضتين (ص ٦٨)، ولسان الميزان (٤/ ٤٢٧).

(٢) كالقفطي في تاريخ الحكماء (ص ١٩٠)، وأبي عذبة في الروضة البهية (ص ٧٠).

(٣) مرآة الجنان (٩/ ٤).

(٤) في لسان الميزان (٤/ ٤٢٧).

(٥) راجع: أخبار الحكماء للقفطي (ص ١٩٠).

وفاة والده حين قصد الكمال السمناني لطلب العلم، ثم عاد إلى الريّ ودرس على المجد الجليّ وحين قصد المجد - مراغة - صحبه إليها ولازمه فيها، ولما أتم دراسته وتعمّر في العلوم قصد بخارى، وما وراء النهر وغيرها وجرت له المناظرات التي سجل وقائعها في مناظراته، كما أنّ الرجل من كرام الأسر في الريّ ومن مشاهير أهلها، فهو ابن خطيب الريّ - الإمام ضياء الدين عمر - فليس من المعقول أن يلقى مريضاً مهملاً في مدرسة مجهولة ببخارى ينتظر صدقات هذا الطيّبي، وزكاة أموال أصحابه، والطيّبي يقول بأنّه خرج من بخارى بعد أن أرفقه بصدقاته وصدقات زملائه التجار إلى خراسان، وبينما يقول اخوانساري - كما أسلفنا - بأنّه حين خرج إلى خراسان وصلتها مقدّمة حاشيته، بينما كانت ساقيتها في خوارزم؛ فكيف يمكن التوفيق بين هذا وذاك؟

والأغرب من حكاية القفطي حكاية أبي عذبة في الروضة، حيث قال: * وكان أولاً فقيراً على الخصوص حين كان تبريز في المدرسة المعروفة بالبقرية، ففي هذا الوقت من شدة الفقر كان يطوف على دكان الرّؤاس الذي كان قريباً من المدرسة المذكورة، ويتقوى برائحة الرّؤوس المشوية، فعرف الرّؤاس حاله وعين له كل يوم رأساً مشوية ليؤدّي ثمنه إذا فتح الله عليه. قيل: كان يأكل لحية أول النهار، ودماغه آخره، ومضى على ذلك زمان، واشتهر بالعلم والنظر، وطلبه السلطان، وحصلت له ثروة ونعمة تضاهي نعم الملوك، وحكي أنّه أرسل (وقراً) من الذهب لأجل ذلك الرّؤاس، لما وصل تبريز كان الرّؤاس متوفياً فسلم إلى أولاده^(١).

وهذه الحكاية لم نرها عند غير أبي عذبة، وهي غير معزّوة لأحد ولا مسندة، كما لم يذكر أحد ممن ترجموا له واطلعنا على ما كتبه عنه أنّه رحل إلى تبريز أو درس في المدرسة البقرية. ولا أراها إلا من نوع الحكايات الخيالية التي يصوغها الناس عادة ليتندروا في مجالسهم على أهل اليسار من الناس، وليطلقوا العنان لأفهامهم في ثروة من غير أسباب.

ومهما كانت الأقوال في ثروة الفخر وفي تقديرها ومصادرها، فإنّه لا يمكن أن تغفل جملة من الحقائق منها:

.. أنّ الفخر ابن خطيب الريّ الإمام ضياء الدين عمر، وللعلماء في ذلك الزمان شأن كبير لا يجادل فيه، وهم موضع عناية الحاكمين ورعايتهم، فإن لم تكن أسرته غنية فلا أقل

(١) راجع: الروضة البهية (ص ٧٠).

من أن تكون من الأسر المتوسطة، وقد يكون ورث عن أبيه شيئاً أعانه على مواصلة الدرس؛ ولذا فإننا نستبعد حكاية الطيبي.

كما أن كتب الفخر - بعد أن شرع في التأليف - أصبحت أهم موارده، فقد اتفق المؤرخون على أنه - رحمه الله - نال فيها شهرة وسعادة عظيمتين، وأقبل الناس عليها وتركوا كتب المتقدمين حتى إن الكتاب الواحد كان يباع بخمسمائة وبألف دينار^(١). فإذا علمنا أنهم نسبوا إليه ما يزيد على مائتي مصنف^(٢)، نعلم أنذاك أي مصدر من مصادر الشراء يمكن أن تكون هذه المؤلفات!!

كما أنه قد عمل لبعض الحاكمين الذين عرفهم بعض مؤلفات طلبوها وقام بترية محمد بن خوارزمشاه بطلب من أبيه، وأن الخوارزمشاهية كانوا يتسابقون مع الخوريين في محاولة ضم الفخر إليهم، أو إرضائه عنهم. وهو لو ينضم بولائه إلى أيٍّ منهما؛ وإنما بقي الأمين على رسالته العلمية حتى حظي بحب الجميع وتقديرهم.

وقد تكون ثروة الطيب أو التاجر - الذي أشاروا إليه - قد عادت على الفخر بشيء ولكن لا يمكن أن نعتبرها - بحال - المصدر الأساسي لثروته.

وأيًا كانت ثروته، وأيًا كانت مصادرها؛ فقد كان - رحمه الله - متلاًفاً ينفق إنفاق الملوك^(٣)، ومونلاً لطلاب العلوم يقصدونه من أطراف الدنيا، فيلقون منه كل رعاية وتكريم، يذكر ابن عني: أنه استفاد من الفخر وبيجاهه نحواً من ثلاثين ألف دينار^(٤).

(١) راجع: جامع التواريخ للهمداني (ج ٢)، (ق ١)، (ص ١٥٩).

(٢) راجع: البداية (١٣/ ٥٥) وما سباني في بحثنا عن مصنفات الرازي.

(٣) راجع: أخبار العلماء (ص ١٩١).

(٤) راجع: الوافي (٤/ ٢٥٤)، ومقدمة ديوان ابن عني لخليل مرزم (ص ٨).

الْمَجْلَدُ الْعَاشِرُ: وصيته

حين مرض الفخر - رحمه الله - وأحس بدنوّ الأجل أملى وهو في شدة مرضه على تلميذه إبراهيم بن أبي بكر بن علي الأصفهاني وصيته، وذلك في يوم الأحد الحادي والعشرين من شهر محرم سنة (٦١٦ هـ) وامتد مرضه بعدها إلى أن توفي.

وقد رأينا أن نذكر هذه الوصية كما ذكرها ابن أبي أصيمة، لما فيها من العبرة والموعظة.. وهذا هو نصها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول العبد الراجي رحمة ربه، والواثق بكرم مولاه، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، وهو في آخر عهده بالدنيا، وأول عهده بالآخرة، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاس، ويتوجه إلى مولاه كل أبق:

إني أحمد الله تعالى بالمحامد التي ذكرها أعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجها، ونطق بها أعظم أنبيائه في أكمل أوقات مشاهداتهم؛ بل أقول كل ذلك من نتائج الحدوث والإمكان، فأحمده بالمحامد التي تستحقها ألوهيته ويستوجبها لكمال الموهبة، عرفتها أو لم أعرفها؛ لأنه لا مناسبة للتراب، مع جلال رب الأرباب.

وأصلي على الملائكة المقربين، والأنبياء المسلمين، وجميع عباد الله الصالحين.

ثم أقول بعد ذلك: اعلّموا إخواني في الدين، وإخواني في طلب اليقين أنّ الناس يقولون: الإنسان إذا مات انقطع تعلّقه عن الخلق، وهذا العام مخصّص في وجهين:

الأول: أنه بقي منه عمل صالح، صار ذلك سبباً للدعاء، والدعاء له أثر عند الله.

والثاني: ما يتعلق بمصالح الأطفال، والأولاد، والعورات، وأداء المظالم والجنايات.

أما الأول: فاعلموا أنّي كنت رجلاً محبّاً للعلم، فكنت أكتب في كل شيء شيئاً لا أقف على كمية وكيفية، سواء كان حقّاً أو باطلاً أو غثاً أو سميناً، إلا أن الذي نظرته في الكتب المعتبرة لي: أن هذا العالم المحسوس تحت تدبير مدير منزّه عن مماثلة المتحيزات والأعراض، وموصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة.

ولقد اخترت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم؛ لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا العلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل في تلك المضايق العميقة، والمناهج الخفية.

فلهذا أقول: كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبرأته عن الشركاء في القدم والأزلية، والتدبير والفعالية فذلك هو الذي أقول به، وألقى الله تعالى به. وأما ما انتهى الأمر فيه إلى الدقة والغموض فكل ما ورد في القرآن والأخبار الصحيحة المتفق عليها بين الأئمة المتبعين للمعنى الواحد فهو كما هو والذي لم يكن كذلك، أقول:

يا إله العالمين إني أرى اخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، فكل ما مر به قلبي، أو خطر ببالي، فأستشهد علمك وأقول: إن علمت مني أي أردت به تحقيق باطل، أو إبطال حق فافعل بي ما أنا أهله، وإن علمت مني أي ما سعيت إلا في تقرير ما اعتقدت أنه هو الحق، وتصورت أنه الصدق، فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلتي، فذلك جهد المقل، وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في الزلة فأعنتني، وارحمني، واستر زلتي، وامح حوبتي، يا من لا يزيد ملكه عرفان العارفين ولا يتقص بخطأ المجرمين.

وأقول: ديني متابعة محمد سيد المرسلين، وكتابي هو القرآن العظيم وتعويلي في طلب الدين عليهما.

اللهم يا سامع الأصوات، ويا مجيب الدعوات، ويا مقبل العثرات، ويا راحم العبرات، ويا قيام المحدثات والممكنات، أنا كنت حسن الظن بك، عظيم الرجاء في رحمتك، وأنت قلت: «أنا عند ظن عبدي بي»^(١)، وأنت قلت: ﴿أَمْ نَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، وأنت قلت: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فهب أي ما جئت بشيء فأنت الغني الكريم، وأنا المحتاج اللئيم.

وأعلم أنه ليس لي أحد سواك، ولا أجد محسناً سواك، وأنا معترف بالزلة والقصور والعيب والفتور فلا تخيب رجائي، ولا ترد دعائي واجعلني آمناً من عذابك قبل الموت، وعند الموت، وبعد الموت. وسهّل عليّ سكرات السموت وخفف عني نزول الموت، ولا تضيق عليّ بسبب الآلام والأسقام فأنت أرحم الراحمين.

وأما الكتب العلمية التي صنفها، أو استكثرت في إيراد السؤالات على المتقدمين فيها فمن نظر في شيء منها، فإن طابت له تلك السؤالات فليذكرني في صالح دعائه على سبيل التفضل والإنعام، وإلا فليحذف القول السيئ فإني ما أردت إلا تكثير البحث، وتشجيع الخاطر، والاعتماد في الكل على الله تعالى.

وأما المهم الثاني: وهو إصلاح أمر الأطفال والعورات؛ فالاعتماد فيه على الله تعالى ثم على نائب الله «محمد»^(١)... اللهم اجعله قرين محمد الأكبر في الدين والعلو - إلا أن السلطان الأعظم لا يمكنه أن يشتغل بإصلاح مهمات الأطفال فرأيت الأولى: أن أفوض وصاية أولادي إلى فلان^(٢)، وأمرته بتقوى الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾ [الحل: ١٢٨].

قال ابن أبي أصيبعة: وسرد الوصية إلى آخرها.

ثم قال: وأوصيه، ثم أوصيه، ثم أوصيه: بأن يبالغ في تربية ولدي «أبي بكر» فإن آثار الذكاء والنظنة ظاهرة عليه، ولعل الله تعالى يوصله إلى خير.

وأمرته وأمرت كل تلامذتي، وكل من لي عليه حق أني إذا مت يبالغون في إخفاء موتي، ولا يخبرون أحداً به، ويكفونني، ويدفونني على شرط الشرع، ويحملونني إلى الجبل المصائب لقربة (مزداخان)^(٣) ويدفونني هناك، وإذا وضعوني في اللحد قرؤوا علي ما قدروا عليه من إنبات القرآن، ثم يشرون التراب علي وبعد الإنعام يقولون: يا كريم جاءك الفقير المحتاج فأحسن إليه.

وهذا منتهى وصيتي في هذا الباب، والله تعالى الفعال لما يشاء، وهو على ما يشاء قدير، وبالإحسان جدير^(٤).

(١) السلطان محمد علاء الدين تكتش - تلميذه الذي تقوم تعريفنا به.

(٢) لم نستطع معرفة اسم الوصي؛ ولا يبعد أن يكون الوزير علاء الملك العلوي زوج ابنته، أو تلميذه المذكور إبراهيم.

(٣) كذا في عيون الأنباء (٢/ ٢٨)، والوفيات (١/ ٦٧٨)، وقال: بضم الميم وسكون الواو، وفتح الدال المهملة، وبعد الألف خاء معجمه مفتوحة، وبعد الألف الثانية نون - وهي قرية بالقرب من هراة وفي المجمل ذكر «مزداخان» بالثقاف وقال: مدينة صغيرة، من مدن فهستان، وذكر «مزداخان» بالألف واللام وقال: بلدة من نواحي الري معروفة. راجع: (٨/ ٤٥)، ونحوه في المراسد (٣/ ١٢٦٥)، ولعل الأقرب ما ذكره ابن خلكان.

(٤) راجع: عيون الأنباء (٢/ ٢٨، ٣٧)، وتاريخ الإسلام مع اختلاف طيف (٢٧/ ٦٥٠ - ٦٥٣)، وضبطات ابن السبكي (٥/ ٣٧)، ونبدأ منها في المصادر الأخرى.

الْحَدِيثُ الْحَادِي عَشَرَ: وفاته

بعد أن لاقى الفخر في حياته الحافلة ما لاقى من أذى الخصوم: من معتزلة وكرامية وشيعة وحشوية وسواهم. حط عصا الترحال في « هراة »، وسكن الدار التي كان السلطان خوارزمشاه قد أهدها إياها، وهناك لم يتركه خصومه بخلد إلى الراحة بعد ذلك الكدح الطويل، وإنما استمروا يعملون للنبيل منه ومن سمعته وهو يقابل ذلك كله بصبر العلماء، وحلم الحكماء وجلد الأنقياء.

ومما يروى في هذا الباب إن الحشوية كانوا يرفعون له وهو في مجالس وعظه رقاعاً تتضمن شتمه، ولعنه، والطعن في عرضه، حتى بلغ من فجورهم في الخصومة أن رفعوا إليه يوماً رقعة كتبوا فيها: أن ابنه يفسق ويزني، وإن أمرته كذلك، فما كان منه - رحمه الله - إلا أن قال: « إن هذه القصة تتضمن أن ابني يفسق ويزني؛ وذلك مظنة الشباب، فإنه شعبة من الجنون، ونرجو من الله تعالى إصلاحه والتوبة، وأما امرأتي فهذا شأن النساء إلا من عصمه الله. وأنا شيخ ما في للنساء مستمتع هذا كله يمكن وقوعه، وأما أنا فوالله لا قلت: أن الباري - سبحانه وتعالى - جسم، ولا شبهته بخلقه ولا حيزته. والله الحمد أن ابني لا يقول: إن الله جسم ولا يشبه به خلقه، ولا زوجتي تعتقد في ذلك، ولا غلامي فأبي الفريقين أوضح سبيلاً؟ »^(١).

وتحيش في نفسه - رحمه الله - مرة وهو على المنبر فينشد معاتباً:

الممرء ما دام حيّاً يستهان به ويعظم الرزء فيه حين يفتقد^(٢)

واشتد على الكرامية بخاصة ما كانوا يرونه من توقيف السلاطين له وحضور بعضهم مجالس وعظه، ومكانته لديهم خصوصاً بعد مجادلته مع شيخهم ابن القدوة^(٣)، فلم يزل بينهم وبين الفخر من يومها السيف الأحرر فيعمدون للتخلص منه بكل وسيلة حتى أنهم سمّوه^(٤)، أو دسّوا له من سمّه^(٥).

(١) راجع: الروافي (٥٠/٤)، وطبقات ابن السبكي (٣٧، ٣٦/٥).

(٢) راجع: الوفيات (٦٧٨/١).

(٣) انظر: هذه المناقشة أو حديثي في معظم المراجع التاريخية لحوادث سنة (٥٩٥ هـ).

(٤) انظر: شذرات الذهب (٢٦/٥)، و«مرآة الجنان» (٩/٤)، و«قلاعة النحر» (١٥/٥).

(٥) راجع: أخبار الحكماء (ص ١٩٢)، والذيل على الروضتين (ص ٦٨)، والنجوم (١٩٧/٦)، وطبقات =

أما ابن أبي أصيبعة: فقد ذكر أن الفخر قد مرض في خوارزم - من غير أن يحدد لمرضه سبباً من سم أو غيره - ثم توفي في هراة^(١١).

ويبدو أنه - عليه الرحمة - قد عانى من مرضه أشهرًا حتى لقي وجه ربه في يوم عيد الفطر من السنة نفسها كما ذكر ابن خلكان^(١٢)، وابن السبكي^(١٣)، وابن أبي أصيبعة^(١٤)، والياضي^(١٥)، وابن حجر^(١٦)، والذهبي^(١٧)، وابن قاضي شهبة^(١٨)، وابن الملقن^(١٩)، والدلاودي^(٢٠)، وأبو عذبة^(٢١).

ومن المؤرخين من ذهب إلى أنه توفي في ذي الحجة من السنة نفسها كالقفطي^(٢٢)، وأبي شامة^(٢٣)، وابن تغري بردي^(٢٤)، وسبط ابن الجوزي^(٢٥)..

وذكر بعضهم^(٢٦) أن يوم وفاته هو يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان سنة (٦٠٦ هـ)، واختلف الكتاب الغربيون كذلك في تحديد تاريخ وفاته، واضطربت أقوالهم تبعًا لاختلاف المصادر العربية.

وقد حددت بعض هذه المصادر وفاته بالسادس من تموز - يوليو - سنة (١٢٠٩ م)^(٢٧).

= ابن السبكي (٣٥/٥)، و امرأة الزمان (٣٥٣/٨)، ومفتاح السعادة (١١٧/٢).

(١) راجع: عيون الأنباء (٢/٢٦، ٢٧).

(٢) في وفيات الأعيان (١/٦٧٨).

(٣) في طبقات الشافعية (٥/٣٩).

(٤) في عيون الأنباء (٢/٢٧).

(٥) في امرأة الجنان (٤/٩).

(٦) في لسان الميزان (٤/٤٢٩).

(٧) في سير أعلام النبلاء (١٣/٩١٥)، وتاريخ الإسلام (٢٧/٦٥٣)، والتعريف (٥/١٩)، وتاريخ دول الإسلام (٢/١٤).

(٨) في طبقات الشافعية (ورقة ٤٤ ب)، وطبقات النحاة والمفكرين (١/٤٩).

(٩) في طبقات الشافعية (ورقة ٧٥ ب).

(١٠) في طبقات القسرين (ورقة ٢٧٤ ب).

(١١) في الروضة (ص ٧١).

(١٢) في إخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص ١٩١).

(١٣) في الذيل على الروضتين (ص ٦٨).

(١٤) في النجوم الزاهرة (١/١٩٨).

(١٥) في امرأة الزمان (٨/٥٤٢).

(١٦) راجع: الجامع المختصر (٩/٣٠٨).

(١٧) على ما في كشف المظنون ط. ليبسج (٧/٥٥١). انظر: فخر الدين الرازي وآراؤه (ص ٣٠).

وبعضها حددت وفاته بسنة (١٢٠٩ م) دون ذكر اليوم والشهر^(١). وبعضها اعتبرت سنة وفاته (١٢١٠ م). وكذلك اختلفوا في تحديد اليوم؛ فذهب البعض إلى أنه ٢٩ آذار - مارس - ١٩١٠ م^(٢) وبعضهم خير بين ٢٨ آذار أو ٢٩ منه من نفس السنة^(٣). ومنهم من نص على أنه ٢٨ نيسان - أبريل - من نفس السنة^(٤).

لَمَّا كَانَ فِي عَشْرِ: مَدْفَنِهِ

لقد خشي الفخر - رحمه الله - أن لا ينتهي حقد خصومه عليه بعد وفاته، وأن يحقدهم وشأنهم قد يدفعانهم إلى العبث بجسده بعد دفنه فطلب إلى خاصته أن يبألفوا في إخفاء نأب موتة، وأن لا يخبروا به أحداً وأن يحملوه بعد غسله وتكفينه على شرط الشرع إلى الجبل المصاقب لقرية «مزداخان» القريبة من هراة، ويدفنوه هناك.

ولا ندرى ما إذا كانوا قد نفذوا هذا الجزء من وصيته، فدفنوه حيث أوصى أم خالفوه خوف الفتنة فدفنوه في بيته؟ ذهب إلى الأول أكثر المؤرخين^(٥).

وذهب القفطي إلى أنه دفن في داره^(٦)، وكذلك ابن العربي^(٧).

وهكذا انتهت حياة الفخر الإنسان، ولم تنته حياة الفخر العالم الإمام؛ بل بقيت خالدة في مصنفاته وعلومه تتعالى على الأحداث.

(١) - Encyclopedia of religion and ethics. V.I. 326 (b).

(٢) - Encyclopedia Francaise. Vol. 4, P.859.

(٣) - Anoriental Biographical Diction P.124

(٤) - محمد تائب P. 216.

(٥) - The Encyclopedia Britanica, XIV, P.730. XI, P.42.

(٦) - Encyclopaedia Italiana XIV, P. 730.

(٧) - وستفيلد P. 113، وراجع: فخر الدين الرازي وآراؤه (ص ٣٠).

(٨) - مثل ابن خلكان (١/ ٦٧٨)، وصاحب عقد الجمان (١٧/ ٢/ ٣٢٤).

(٩) - أخبار الحكماء (ص ١٩٠).

(١٠) - مختصر تاريخ الدول (ص ٤١٩).



الفصل الثاني في حياة الفخر العلمية

المبحث الأول: في رحلاته في طلب العلم

كانت الرحلات الأولى في حياة الفخر تلك التي قام بها لطلب العلم فقد رحل بعد وفاة والده إلى « سمنان »^(١)؛ ليستغل على الكمال السمناني، ثم عاد منها إلى الري ليستغل على المجد الجيلي.

ولما طلب المجد الجيلي إلى « مراغة »^(٢) للتدريس فيها، صحبه الفخر إليها، وقرأ عليه فيها مدة طويلة علم الكلام والحكمة^(٣).

وهذه خلاصة ما ذكرته كتب التاريخ المعتمدة التي اطلعنا عليها عن رحلاته في طلب العلم. وقد انفرد أبو عذبة بذكر رحلة له إلى « تبريز »^(٤) للدراسة فيها في « المدرسة النبقرية »، وذكر أنه قضى فيها فترة طويلة^(٥). ولم نعتز على ما يعضد هذه الرواية، ويبين لنا ما فيها من إجمال.

كما انفرد ابن أبي أصيبعة بذكر رحلة له إلى « مرند »^(٦)، وإقامته في مدرستها واشتغاله بالفقهاء على قاضيهها^(٧).

(١) بكسر السين وسكون الميم؛ بلدة بين الري ودامغان، وتطلق على أماكن أخرى، راجع: معجم البلدان (١٢٨/٥ - ١٣٠). ومراصد الاطلاع (٧٣٦/٢)، والنياب (٥٦٥/١).

(٢) مراغة؛ بالنفع والغين المعجمة؛ أعظم وأشهر بلاد أذربيجان. انظر: المعجم البلدان (٨/٤ - ٦)، ومراصد الاطلاع (١٢٥٠/٣).

(٣) راجع: الوفيات (١٦٧/١)، وعيون الأنباء (٢٣/٢)، وابن الوردي (١٢٧/٢)، وأبو الفداء (١١٨/٣)، وابن قاضي شهبة (٤١ أ)، وطبقات ابن هداية (ص ٨٢)، ومراة الجنان (٨/٤)، والشذرات (٢١/٥)، وطبقات ابن السبكي (٣٥/٥).

(٤) بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر الراء وياء ساكنة بعدها زاي؛ أشهر مدن أذربيجان، راجع: المعجم (٣٦٢/٢).

(٥) راجع: التوضيح (ص ٧٠).

(٦) مدينة من مدن أذربيجان الشهيرة. راجع: المعجم (٢٩/٨)، والمراصد (١٢٦١/٣).

(٧) راجع: عيون الأنباء (٢٣/٢).

وقد تكون رحلات الفخر بالقياس إلى رحلات سواء قليلة، ولعل ما جعلها كذلك وأغناه عن كثرتها، اكتفاؤه بالتلقي عن والده في الفترة الأولى من حياته.

المبحث الثاني: في رحلاته بعد الطلب، ومناظراته

لم يستقر الرازي - رحمه الله - في مسقط رأسه كثيرًا بعد فراغه من طلب العلم، بل لازم الأسفار، وكانت أسفاره تلك عاملاً مهمًّا في ذبوع صيته وسمعته وطيران اسمه في الآفاق. وقد بدأ رحلاته تلك بالسفر إلى «خوارزم»^(١) فلم يمكث بها غير قليل؛ لأنه فتح باب الجدل والمناظرة مع «المعتزلة»^(٢)، وكانت لهم فيها شوكة، فسعوا به إلى إلحاقهم فأخرج منها، فسار إلى «ما وراء النهر»^(٣)، فجرى له فيها ما جرى له في خوارزم، فعاد إلى الري - هذا على ما ذكره بعض المؤرخين^(٤).

وقد ذكر القفطي^(٥)، وتبعه ابن العبري^(٦)، أنه بعد أن أخرج من خوارزم، عاد إلى الري فبعد

(١) خوارزم أوله بين الضم والفتح، مع كسر الراء، اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان. راجع: المعجم (٤٧٤ - ٤٧٩)، والمرصد (١/ ٣٦٨).

(٢) المعتزلة، أو القدرية كما يسميهم مخالفوهم، أو أصحاب العدل والتوحيد كما يسمون أنفسهم: طائفة من أهل القبلة قالوا بنفي الصفات القديمة عن الباري جل وعلا، وخلق القرآن الكريم، ونفوا رؤية الباري في الآخرة، كما قالوا لا يكون العبد خائفًا غنازًا لأفعاله. وغير ذلك من أقوال خالفوا فيها جمهور المسلمين، واعتزلوا عن أهل السنة والجماعة.

قبل: سموا بالمعتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن البصري، وقيل لاعتزالهم الإمام عليًّا عليه السلام في حروبه، وقيل: لاعتزالهم الحسن بن علي ومعاوية - رضي الله عنهم - بعد اصطلاحهما وتنازل الحسن عن الخلافة، وقيل: لقولهم بالمتزعة بين المنزلتين. وهم فرق.

ذكر الفخر منهم سبع عشرة فرقة. فراجع: الاعتقادات (ص ٤٠ - ٤٥)، وذكر الإسفراييني في التبصير منهم عشرين فرقة فراجع: تفاصيل أقوالها فيه (ص ٣٧ - ٥٩)، والحوار العين (ص ٢٠٤ - ٢١٢)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٥٣ - ١٠٨). ط. أولى بهامش الفصل، والفصل في الملل والنحل لابن حزم (٤/ ١٩٢ - ٢٠٤).

(٣) براد بها ما وراء نهر جيحون بخراسان، فيما كان في شرقية يقال له: ما وراء النهر وما كان غربية فهو خراسان، وخوارزم راجع: المعجم (٣٠٧/ ٣٧٢)، والمرصد (٣/ ١٢٢٣).

(٤) كاتب خلكان في الوفيات (١/ ٦٧٧)، والياضي في امرأة (٤/ ٨).

(٥) في تاريخ الحكماء (ص ١٩٠).

(٦) في تاريخه - مختصر الدول - (ص ٢١٩).

فيها فقيرًا غير أنه لم يصبر على ما هو فيه من العدم، فقصده بني مازة في «بخارى»^(١) في حدود سنة ثمانين وخمسمائة عساه يجد عندهم شيئًا، وفي الطريق إليها مرّ على «سرخس»^(٢)، وكان فيها طبيب يدعى: عبد الرحمن بن عبد الكريم المرخسي فأكرم الرازي، فأراد الرازي أن يجزيه بشيء يستفيد منه، فشرح له «القانون»^(٣) لابن سينا - وهذا يدل على أنه - رحمه الله - وهو في السادسة والثلاثين من عمره كان طبيبًا ماهرًا. ويستطرد المؤرخان المذكوران قائلين: ثم وصل إلى «بخارى»، ولكنه لم يجد عند من قصدهم خيرًا^(٤).

ثم روي عن المدعو داود الطيبي قوله: «رأيت ابن الخطيب ببخارى مريضًا في بعض المدارس المجهولة فشكيا لي إقلاله؛ فاجتمعت بالتجار المستعربين، وأخذت منهم شيئًا من زكاة أموالهم فأرفعته بها وخرج من بخارى»^(٥).

ولقد كتب الإمام - رحمه الله - كتاب «المناظرات» لتكون بمثابة سجل، وتاريخ لنشاطه العلمي، ورحلاته، فهي مذكراته الشخصية عن هذه الفترة من حياته، فلندعه يحدّثنا بنفسه عن رحلاته هذه قال - رحمه الله -:

لما دخلت بلاد ما وراء النهر وصلت أولاً إلى بلدة «بخارى» ثم إلى «سمرقند»^(٦)، ثم انتقلت منها إلى «خجند»^(٧)، ثم انتقلت إلى البلدة المسماة بـ «بناكت»^(٨)، ثم إلى «غزنة»^(٩)، وبلاد الهند. وانفقت لي في كل واحدة من هذه البلاد مناظرات ومجادلات مع

(١) بضم الباء من أعظم مدن ما وراء النهر. انظر: المعجم (٢/ ٨٠ - ٨٦)، والمراسد (١/ ١٦٩).

(٢) سرخس: بفتح فسكون مع فتح الحاء، أو بالتحريك، مدينة قديمة من نواحي خراسان بين نيسابور ومرو. راجع: المعجم (٥/ ٦٦، ٦٥)، والمراسد (٢/ ٧٠٥).

(٣) كتاب طبي لابن سينا، له نسخ خطية في إستانبول، ومشهد، وظهرية دمشق، راجع: بحثنا في مصنفات الرازي، ومؤلفات ابن سينا للأب قنوازي (ص ٢٠٤).

(٤) راجع: أخبار الحكماء (ص ١٩٠)، وتاريخ ابن العربي (ص ٤١٩).

(٥) المصدرين السابقين.

(٦) بفتح حين فسكون ففتح: بلد معروف مشهور، قيل: أنه من بناء ذي القرنين تقع على جنوب وادي الصد، راجع: المعجم (٥/ ١٢١ - ١٢٦)، والمراسد (٢/ ٧٣٦).

(٧) بضم فسكون ففتح وتون ساكنة فдал مهملّة: بلد مشهور فيها وراء النهر على شاطئ سيمون، راجع: المعجم (٤/ ٤٠٢ - ٤٠٣).

(٨) بالفتح وكسر الكاف وآخره تاء: مدينة بيا وراء النهر. راجع: المعجم (٢/ ٢٨٨)، والمراسد (١/ ٢٢٣).

(٩) بفتح أوله وسكون ثانيه ثم نون، قال ياقوت: هكذا ينلفظ بها العامة والصحيح عند العلماء «غزني» ويعربونها فيقولون: «جزنة»، وهي مدينة عظيمة تعتبر الحد الفاصل بين خراسان والهند. راجع: المعجم (٦/ ٢٨٩).

من كان فيها من الأفاضل والأعيان^(١).

وحين نتابع قراءة المناظرات نجد أنه كان ذا شأن كبير عند الخاصة والعامة في «بخارى» وغيرها من البلاد التي زارها، وأن سمعته وشهرته بالعلم كانتا تتقدمانه إلى كل بلد زاره، كما أن الكثير من مصنفاته التي كان قد كتبها في تلك الفترة كـ «المباحث المشرقية» و «شرح الإشارات» و «الملخص» و «شرح القانون» - كانت تدرس في تلك البلاد قبل قدومه إليها، وهذا يحمل على الشك في صحة ما ذكره القفطي، وابن العبري عن داود الطيبي، في وصف حالة الفخر في بخارى^(٢).

وقد ذكر - رحمه الله - أنه زار مدينة «طوس»^(٣)، وأنه أنزل في صومعة الغزالي، واجتمع الناس عنده للمناظرة^(٤).

وبعد جولاته، ومناظراته تلك اتصل بملك الغوريين - شهاب الدين - واشتغل مؤلفاً لديه مقابل مال معين، وعندما سار إلى السلطان المذكور يستوفيه أكرمه، وبالع في الإنعام عليه^(٥). ثم ترك بلاد الغور واتجه إلى «خراسان»^(٦)؛ حيث اتصل بالسلطان علاء الدين تكش المعروف بخوارزم شاه، فكلفه السلطان المذكور بتربية ولده وولي عهده «محمد»، ولما ولي محمد الحكم بعد أبيه قرب الفخر، وأعلى منزلته^(٧).

وبعد أن طوف الإمام بكثير من مدن إيران، وتركستان، وأفغانستان والجزء الغربي من الهند، حط عصا الترحال في هراة، وسكن دار السلطنة التي أهداها إليه خوارزم شاه^(٨). تلك جملة رحلاته التي اطلعنا عليها فيما رجعنا إليه من المصادر.

(١) راجع: المناظرات (ص ٧).

(٢) راجع في المناظرات نصوصاً تحمل على الشك في رواية الطيبي في (ص ٧، ١٥، ٢٣، ٣٩، ٤٥) وراجع ما كُتِبَته عن هذه الرواية في حديثنا عن ثراء الرازي في (ص ٦٣، ٦٤) من هذه الدراسة.

(٣) ثاني مدن خراسان، تألف من بلدين: الصابرين، ونوقان ودمرها التتار في (٦١٧هـ)، وقامت على أنقاضها مدينة مشهد الحالية. راجع: المعجم (٣/ ٥٩٠)، والمراصد (٢/ ٨٩٧)، والوفيات (١/ ٨١).

(٤) راجع: المناظرات (ص ٤٥).

(٥) راجع: الوفيات (١/ ١٧٧)، و «مرآة الجنان» (١/ ٤).

(٦) تطلق على بلاد واسعة تشمل رقعة إيران الحالية، مع بعض نواحي أفغانستان، وتركستان، وأفند. راجع: معجم البلدان (٣/ ١٠٧)، والمراصد (١/ ١٤٥٥).

(٧) راجع: الوفيات (١/ ١٧٧)، و «مرآة الجنان» (٤/ ٩)، وقد تقدم الحديث عن مدى تقديره وتقدير أبيه للفخر.

(٨) عيون الأنباء (٢/ ٢٦).

هل له رحلات أخرى؟

ذكر ابن الساعي الحازن أن الرازي كان يؤثر الوصول إلى بغداد، فحالت دون ذلك العوائق والأقدار^(١).

وقد ذكر أرنست رينان عن ليون الإفريقي: «أن فخر الدين ابن الخطيب الرازي الشهير سمع في القاهرة أحاديث عن شهرة ابن رشد فاستأجر سفينة في الإسكندرية ليزوره في الأندلس، ولكنه عدل عن رحلته حينما علم خبر النكبة التي جلبها إليه انحرافه عن الدين، والواقع أن الرازي أصيب بمثل هذه المكاء في بغداد بآرائه الفلسفية». ويكفي رينان نفسه مؤنة مناقشة ليون هذا في تعقيبه على قوله ذلك بقوله: «غير أن ترجمة ليون لابن الخطيب هذا زاخرة بالمتناقضات الغليظة التي تحمل على عدم الثقة بهذه القصة، ومن ذلك: أن ليون جعل بعد ذلك بفضعة أسطر وفاة الرازي هذا بعد وفاة ابن رشد بـ (١٧٤) سنة»^(٢).

ولعل ما جعل الإفريقي هذا يتوهم أن الفخر زار بغداد ما ذكره في آخر تفسير لسورة إبراهيم بأنه أتم تفسيرها في «صحراء بغداد» سنة (٦٠١هـ)^(٣).

ولعل كلمة «بغداد» هنا تصرف أو تحريف من الناسخ لـ «بغ» بليدة بين هراة ومرو الروذ في صحراء ليس فيها شجرة^(٤).

وابن الساعي الحازن قريب العهد بالفخر توفي سنة (٦٧٤هـ)، ولو كان للفخر رحلة إلى بغداد لما فاتته وفات المؤرخين الآخرين ذكر ذلك.

كما أخطأ الفاضل ابن عاشور^(٥) في قوله: بأن الفخر زار الشام والعراق ورجح أنه وقع في هذا الخطأ تأثراً بقول الإفريقي المذكور أو بما جاء في التفسير من قوله: «المسألة الثالثة - في فضيلة السبحة والحمدلة في المساء والصباح - ولندكرها من حيث الثقل والعقل:

أما النقل فأخبرني الشيخ الورع الخافظ الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان

(١) انظر: في الجامع المختصر (٣٠٧/٩).

(٢) راجع: ابن رشد والرشدية لأرنست رينان ترجمة عادل زعير (ص ٥٦).

(٣) راجع: التفسير الكبير (٢٥٠/٥). ط. الحيرية.

(٤) راجع: المعجم (٢٤٥/٢).

(٥) راجع: التفسير ورجائه (ص ٦٩).

يعلم مستنداً عن النبي ﷺ أنه قال لبعض أصحابه: «أتعجز عن أن تأتي وقت النوم بألف حسنة؟» فتوقف. فقال النبي ﷺ: «قل سبحان الله والحمد لله والله أكبر مائة مرة، يكتب لك بها ألف حسنة». ثم نقل عنه حديثاً آخر^(١).

ومع أن هذا يشير إلى أن المفسر سمع من عبد الرحمن المذكور بعلمه ولكنه لما لم تكن للفخر رحلة إليها ولم يشر أحد من المؤرخين إلى ذلك، فإننا نرجح أن تكون هذه المسألة إضافة من إضافات تلميذه الخوري على تفسيره فإن الخوري الدمشقي لا يبعد أن يلتقي بعالم من حلب^(٢).

البحث الثالث: في مصادر ثقافته

يمكن القول بأن أهم مصدر لثقافة الفخر الواسعة والمتشعبة جهده الشخصي، والاستعداد الذي منحه الله تعالى له لاستيعاب كل ما يقرأه، ويطلع عليه.

وقد اتفقت المصادر التي أرخت له على أنه - رحمه الله - أوتي ذاكرة عجيبة ووهب ذكاءً خارقاً، وذهناً متوقداً، هياً الله تعالى لالتهام كل ضروب المعرفة.

كما أوتي رغبة ملحة في العلم جعلته يهب كل وقته، وجهده له ويتحسر على الوقت الذي لا بد للإنسان أن يصرفه في أموره الطبيعية؛ كتناول الطعام والشراب والنوم، ويتمنى لو استطاع الاستغناء عن ذلك كله ليجعل كل وقته في العلم والتعلم والتأليف والتعليم فيقول بأسف ظاهر: «والله إني لأسف في الفوات عن الاشتغال بالعلم في وقت الأكل، فإن الوقت والزمان عزيز»^(٣).

فإذا أضيف إلى ذلك عامل البيئة التي كانت تتنافس في العلم بشكل يدعو إلى العجب، وكون صاحبنا في أهم بيت من بيوت هذه البيئة - بيت خطيب الري وعالمها - والده الإمام ضياء الدين، الفقيه، الأصولي، المتكلم، الخطيب؛ يتضح آنذاك أن جميع ما يُمكن الفخر من أن يكون إماماً - بحق - في سائر العلوم التي عالجها - قد تهيأ له.

(١) راجع: التفسير (٦/٤٧٢)، ط. الخيرية.

(٢) راجع ما سبأني عن تلاميذ الرازي وتفسيره.

(٣) راجع: عيون الأنبياء (٢/٢٣).

لقد حفظ الفخر من الكتب الكلامية وحدها « اثني عشر ألف ورقة » قبل أن يشرع في التدريس والتأليف في علم الكلام^(١)، وحفظ من كتب أصول الفقه أهم كتابين للمتكلمين فيه: المستصفى للغزالي، والمعتمد لأبي الحسين البصري^(٢)، وحفظ من كتب المتقدمين والمتأخرين في سائر العلوم^(٣) ما يمكنه من أن يكون موثلاً لطلاب مختلف العلوم في جميع أنحاء ديار الإسلام، وأن يترك تلك المؤلفات الخالدة في جميع العلوم التي كانت في وقته^(٤).

ولقد اجتمع له خمسة أشياء ما جمعها الله لغيره: سعة العبارة في القدرة على الكلام، وصحة الذهن، والاطلاع الذي لا مزيد عليه، والحافظة المستوعبة التي تعينه على ما يريد في تقرير الأدلة والبراهين^(٥).

ولم نر فيما اطلعنا عليه من مصادر تحدثت عنه مخالفاً في تقرير هذه الحقائق غير ابن تيمية^(٦)، والخوانساري.

أما ابن تيمية: فقد حصر مصادر ثقافة الفخر بيضعة كتب؛ فقال: « أبو عبد الله الرازي غالب مادته في كلام المعتزلة ما يجده في كتب أبي الحسين البصري، وصاحبه محمود الخوارزمي^(٧)، وشيخه عبد الجبار الهمداني^(٨) ونحوهم، وفي كلام الفلاسفة: ما يجده في

(١) انظر: الثواقيت والجواهر للشعراني (ص ١٧).

وهذا يشبه ما قيل عن إمام الحرمين من أنه لم يولف في الكلام حتى حفظ من كتب القاضي الباقلاني أكثر من ثلاثة عشر ألف ورقة. انظر: طبقات ابن السبكي (٣/٢٥٩).

(٢) هو: أحد أئمة المعتزلة محمد بن علي الطبيب البصري، ولد في البصرة ونشأ بها، صاحب المعتمد من أهم كتب الأصول لدى المتكلمين، عليه وعلى المستصفى اعتمد الفخر في تأليف كتاب: «المحصول». توفي سنة (٤٣٦هـ)، انظر: الوفيات (١/٦٨١)، والشذرات (٣/٥٩)، والعبر (٣/١٨٧)، وطبقات الأصوليين (١/٢٣٧).

(٣) راجع: الففطي (ص ١٩١) وبعض المراجع الأخرى.

(٤) راجع: بحثنا في مؤلفاته.

(٥) راجع: الوافي (٤/٢٤٨).

(٦) ابن تيمية، هو: تقي الدين أحمد بن عبد الخليم بن عبد السلام المعروف بابن تيمية. ولد في حران - في الشام سنة (٦٦١هـ)، وتوفي سنة (٧٢٨هـ).

راجع كتاب: ابن تيمية لأبي زهرة، ومقدمة كتاب موافقة صحيح المنقول لعبد الرحمن الوكيل.

(٧) لم أعثر له على ترجمة. ولعله يريد الزعشمري فلقد وجدته كثيراً ما يشير إليه بهذه النسبة.

(٨) هو: عبد الجبار بن أحمد - أبو الحسن - الهمداني، الأسد آبادي، شافعي في الفروع، وإمام من أئمة الاعتزال في الكلام توفي سنة (٤١٥هـ)، راجع: طبقات ابن السبكي (٣/٢١٩)، وتاريخ دول الإسلام (١/١٩١)، والشذرات (٣/٢٠٢).

كتب ابن سينا^(١)، وأبي البركات^(٢)، ونحوهما، وفي المذهب الأشعري: على كتب أبي المعالي كالشامل ونحوه، وبعض كتب القاضي أبي بكر^(٣) وأمثاله، وهو ينقل أيضًا من كلام الشهرستاني^(٤) وأمثاله.

وأما كتب القدماء كأبي الحسن الأشعري، وأبي محمد بن كلاب^(٥)، وأمثالهما، وكتب قدماء المعتزلة، والتجارية^(٦)، والضرارية^(٧) ونحوهم. فكتبه تدل على أنه لم يكن يعرف ما فيها وكذلك مذهب طوائف الفلاسفة المتقدمين^(٨).

(١) هو: أبو علي الحسين بن عبد الله الفيلسوف المشهور، والملقب بالرئيس توفي سنة (٤٢٨هـ). راجع: الوفيات (١/٢١٤)، ومرآة الجنان (٣/٤٧)، والشذرات (٣/٢٣٤)، والبدية (١٢/٤٢)، وعيون الأنباء (٢/٢).
(٢) هو: أبو البركات، هبة الله ابن ملكا البغدادى، طبيب، حكيم تحول من اليهودية إلى الإسلام، وتوفي سنة (٥٤٧هـ)، راجع: أخبار العلماء (ص ٢٢٤)، وعيون الأنباء (١/٢٧٨)، ومقدمة كتابه والمعتبر والمطبوع في حيدرآباد.
(٣) هو: محمد بن الطبيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصري المعروف بالقاضي الباقلاني، متكلم أصولي فقيه توفي سنة (٤٠٣هـ). راجع: الوفيات (١/٦٨٦)، والوفائي (٣/١٧٧)، واللباب (١/٩١)، ومرآة الجنان (٦/٣)، وتبيين كذب المفتري (ص ٢١٧)، والشذرات (٣/١٦٨)، وتاريخ دول الإسلام (١/١٨٨)، وتاريخ بغداد (٥/٣٧٩)، والديباج المذهب (ص ٢٦٧).

(٤) هو: محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح - صاحب الملل والنحل - توفي سنة (٥٤٨هـ). راجع: طبقات ابن السككي (٤/٧٨)، وطبقات الأسنوي (٢/١٠٦)، والوفيات (١/٦٨٨)، والوفائي (٣/٢٧٨)، والشذرات (٤/١٢٩)، والعبر (٤/١٣٢)، وتاريخ دول الإسلام (٢/٤٥)، وتاريخ أبي الفداء (٣/٢٧)، وابن النوردي (٢/٥٥)، ومرآة الجنان (٣/٢٨٩)، وتاريخ حكما، الإسلام (ص ١٤١). وراجع شيئًا من نقد الفقهر لكتاب الملل والنحل في مناظراته (ص ٣٩) وستجد فيه الرد على ما ادعاه ابن تيمية.

(٥) هو: عبد الله بن سعيد، أو ابن محمد، المعروف بابن كلاب القطان التيمي أحد الأئمة المشكلمين وكتاب كخطاف لفظًا ومعنى. توفي بعد الأربعين ومائتين بقليل. راجع: طبقات ابن السككي (٢/٥١)، وطبقات الأسنوي (٢/٣٤٤)، والفهرست (ص ٢٥٥)، وزعم أنه من الحشوية.

(٦) التجارية: هم أتباع الحسين بن محمد التجار - من المعتزلة - وإليه نسبهم وهو من أصحاب الميرسي الذي ناظر النظام ولم يقطع في مناظرته فوات متأثرًا بحال سنة (٢٣٠هـ). وهم يوافقون أهل السنة في بعض الأصول، ويوافقون القدرية في أصول أخرى، ويتسمون إلى ثلاث طوائف: البرغوثية، والزعفرانية، والمستدركة. راجع: التبصير في الدين (ص ٦١، ٦٢)، واعتقادات الفرق (ص ٦٨، ٦٩)، والملل والنحل (١/١١٢).

(٧) الضرارية: هم أتباع ضرار بن عمرو الغطفاني - من المعتزلة - قال أبو الحسين الملقب: إن المجلس كان له بالبصرة قبل أبي الغضيل. انظر: التبصير في الدين (ص ٤٣)، قيل: شهد عليه أحمد بن حنبل عند سعيد بن عبد الرحمن الجمحي القاضي فأمر بضرب عنقه فهرب. لكن الجمحي توفي سنة (١٧٦هـ)، ولم يكن أحمد في عهده في سن الشهادة. راجع: الملل للشهرستاني (١/١٢٠) طم الحسين التجارية، والتبصير في الدين (ص ٦٢)، واعتقادات الفرق (ص ٦٩)، والفصل (٤/١٩٥)، والحوار العين (ص ٢٥٥).

(٨) راجع: موافقة صحيح المنقول (٢/٨٧).

ولا يكتفي ابن تيمية بنفي معرفة الرازي بكتب الأقدمين، بل يضيف إلى ذلك قوله: «وأما قول أئمة الفقه والحديث، والتصوف، والتفسير، وغيرهم من علماء المسلمين فكلام الرازي يدل على أنه لم يكن مطلعاً على ذلك، وكذلك كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان»^(١).

ولقد أطلق ابن تيمية - عفا الله عنه - أقواله هذه عن مصادر ثقافة الفخر من غير أن يكلف نفسه عناء التدليل على ما قال، ولو جازينا ابن تيمية في ادعائه فإنه يعني: أن الفخر - رحمه الله - قد درس من كتب كل طائفة أهمها؛ ذلك لأنه وإن كان أبو الحسين البصري والخوازمي، والقاضي عبد الجبار من متأخري المعتزلة إلا أنه مما لا مرء فيه أنهم درسوا آراء قدمائهم، وضمنوها مؤلفاتهم وما يقال عن المعتزلة يقال عن سواهم، هذا إذا سلمنا لابن تيمية ادعائه بأن مصادر ثقافة الرازي محدودة بما ذكر، ولكن هذا مما لا يمكن أن يسلم له: فكتب الفخر ملأى بآراء المتقدمين والمتأخرين في كل ما عالج من علوم وفنون، يدرك ذلك كل من يقرأ شيئاً منها، وإذا كان الفخر قد حفظ في علم الكلام اثني عشر ألف ورقة، وفي أصول الفقه حفظ أهم كتابين فيه كما أسلفنا، وفي التفسير كتب تفسيره الكبير الذي حوى كل غريب وغريبة، وترك عشرات المؤلفات في مختلف العلوم، كما سنبين، فهل يعقل أن تكون مصادره تلك التي ذكرها ابن تيمية فقط؟!.

إننا لو أسلفنا لابن تيمية صحة ما ذكر: لكان ينبغي أن يعلو الفخر في نظرنا أضعافاً مضاعفة عما هو عليه؛ ذلك لأن معنى التسليم بمدعى ابن تيمية أن الفخر قام بكل ذلك النشاط العلمي الهائل الذي ما عُرف مثله إلا لعدد قليل من علماء الإسلام - يقف الفخر في مقدمتهم - دون أن يكون له من مصادر الثقافة إلا تلك المصادر القليلة التي أشار إليها، وأن تلك التصانيف الجليلة في جميع العلوم، ما كان يستقيها إلا من ذكائه وسليقته!!

أغلب الظن: أن ابن تيمية - رحمه الله - قضى على الفخر هذا قضاء المجحف من غير أن يقرأ من كتبه إلا اليسير الذي احتاج إليه في مناقشاته الكلامية، ولعله كان يتحرج من قراءة كتبه ويتأثم، وينظر إلى الفخر نظرتة إلى واحد من أولياء الشيطان^(٢)!! ويذكر أن من أسباب دخول النار ديار المسلمين: «ظهور الإخاد، والنفاق، والبدع حتى أنه صنف

(١) موافقة صحيح المقول (ص ٩٣).

(٢) انظر - مواضيع متعددة من رسالة الفرقان في مجموعة رسائله (ج ١).

الرازي كتابًا في عبادة الكواكب والأصنام، وعمل السحر سياه: السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم^(١).

ويقول عن كتاب الفخر - الاختيارات العلانية - وهذه الاختيارات لأهل الضلال^(٢)، ويصفه في العقيدة الواسطية بالكذب، والافتراء على الناس^(٣). وما أصاب الفخر من حملات ابن تيمية لم ينفرد به الفخر، فقد تناول ابن تيمية الكثيرين من الأئمة، وعلماء الأئمة؛ أمثال: الإمام الأشعري، وإمام الحرمين، وأبي بكر الباقلاني، والإمام الغزالي، والأمدي وغيرهم^(٤).

ولكن حصّة الفخر من حملاته كانت أكبر الحُصص وأهمها، مما يشير بوضوح إلى أن اهتمام الناس بكتب الفخر وآرائه بعد وفاته لم يكن أقل منه في حياته، وإن تلك انفجرات التي تعرض الفخر لها من مخالفه من: حشوية، وكرامية، ومعتزلة، ونحوهم، إنما كانت ضمن محاولة للتقليل من شأنه، ومحاولة صرف الناس عن كتبه، وما فيها من آرائه، وكنا نتمنى ألا ينضم ابن تيمية إلى هذه الحملة التي شنت على الفخر من قبل جيل الطوائف المخالفة لأهل السنة، وأن يعرف له قدره.

وإذا كان لا بد له من النيل منه، فلا ينبغي له أن ينال منه بشكل يجعله يقع تحت طائلة النهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّكَاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥].

إننا حين حاولنا العثور على تفسير نظمّن إليه حملة ابن تيمية على الفخر وأمثاله لم نجد لذلك تفسيرًا إلا ما يراه ابن تيمية ونحوه في أهل الكلام والمشتغلين به من أنهم «زنادقة حكمهم: أن يضربوا بالجريد والتعال، ويُطاف بهم في القبائل، والعشائر، ويقال: هذا جزء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام»^(٥).

(١) مجموعة رسائل ابن تيمية (١/ ١٣٥)، وراجع ما سيأتي عن كتاب السر المكتوم في الباب الثالث من هذه الرسالة.

(٢) مجموعة رسائل (١/ ١٣٥).

(٣) نفس المصدر (١/ ٤١٨).

(٤) راجع: مواضع كثيرة من مجموعة رسائله، وكتابه: موافقة صحيح العقول والشقول، وانظر على سبيل المثال: الموافقة (٢/ ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥٣ وغيرها).

(٥) راجع: موافقة صحيح النقول (٢/ ١١٢). قلت: وهذا القول ذكره البيهقي في مناقبه (١/ ٤٦٢)، عن إمامنا الشافعي رحمه الله وحكى نحوه عن بعض الأئمة. إلا أنه محمول على كلام المبتدعة وأهل الأهواء، لا على كلام من يناصر السنة، ويحارب البدعة؛ كالنفس ونحوه.

ولكن كم من علماء الإسلام من يشارك ابن تيمية في إطلاق هذا القول. وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا كتب ابن تيمية في الكلام أكثر كتبه وأهمها^(١)!!؟

إن ابن تيمية يكثر من الإشارة إلى أنه اطلع على كتب المتقدمين والمتأخرين، من الفلاسفة والمتكلمين، وأنه حين يناظرهم يناظر عن علم واطلاع ويعيب على الفخر قلة اطلاعه، وقلة مصادره، فإن كان الفخر قد استحق ذلك منه لاشتغاله بعلم الكلام والفلسفة؛ فإن ابن تيمية لم يكن أقل منه اشتغالا بهذه العلوم فكيف يبيح لنفسه ما يحرم على غيره؟!؟

وإذا كان ابن تيمية قد اشتغل بالكلام والفلسفة ليرد على أهلها، فإن الفخر يعلن صراحة أن ذلك كان هدفا؛ فيقول: «وكتنا في ابتداء اشتغالنا بتحصيل علم الكلام تشوقنا إلى معرفة كتبهم لنرد عليهم، فصرنا شطرا صالحا من العمر في ذلك، حتى وفقنا الله تعالى في تصنيف كتب تتضمن الرد عليهم»^(٢).

إن الفخر لم يدع علما من العلوم المعروفة في زمانه إلا ودرسه، وألف فيه، بل وأضاف إليه من قابلياته الكثير كما سيأتي.

ولقد نقل الفخر في كتبه من آراء المتقدمين وغيرهم في سائر العلوم ما يستعصي على الحصر. كما اشتمل تفسيره، وكتبه الأخرى على الكثير من الأحاديث، وأقوال الصحابة والتابعين، والأئمة المجتهدين ومن بعدهم، وابن تيمية واحد ممن استفاد من علوم الرازي وكتبه وهو يستقي منها الكثير من مناقشاته للفرق، فهلا عرف للرجل حقه!!!

وأما ثاني من أنكر على الفخر سعة اطلاعه فصاحب «روضات الجنات» الخوانساري، فقد قال في روضاته المذكورة: «إن الذين مدحوه إنها مدحوه لاتحادهم معه في المذهب، وتعصبهم الشديد، ولذلك ذكر بعض أهل التحقيق في حقه أنه لم يكن من أهل التحقيق، ولا كان قابلا لفهم كلام الحكماء، وكان مدار تصانيفه على الجمع لأقوال الناس، وعهذبيها، وكشفها وتوضيحها، وربما أجهلها وربما فصلها فتصرف فيها بالتغيير والتبديل»^(٣). ولا نرى الوقوف مع الخوانساري، ولا مناقشته؛ فهو رافضي متعصب، بعيد عن التحقيق، لا يُسمع كلام مثله في مثل الفخر، إضافة إلى تناقض كلامه بشكل لا يخفى على أحد.

(١) مثل: منهاج السنة، وموافقة صحيح المتقول، ومجموعة رسائله.

(٢) راجع: اعتقادات الفرق (ص ٩١).

(٣) راجع: روضات الجنات (ص ٧٣١) ط. أول، وانظر (ص ١٢) من هذه الرسالة.

وفيما عدا ابن تيمية ونحوه، والخوانساري وأضرابه - لم نجد فيها اطلعنا عليه - من ينكر على الفخر سعة اطلاعه، وتنوع مصادر ثقافته.

لَمَّا بَحَثْنَا أَزْوَاجَ: فِي عُلُومِ الرَّازِي الْمَخْتَلَفَةِ

نظرة الرازي للعلوم:

كان الفخر يرى أن تعلم العلوم جميعاً فرض من الفرائض الشرعية؛ ولذلك أحب العلوم كلها^(١)، وأقبل عليها بدون تفریق إلا ما يكون من فرق بين الفاضل والمفضل. والعلوم - في نظره - لا تخرج عن كونها واجباً، أو مما لا يتم الواجب إلا به، أو مما لا بد منه لتحقيق مصلحة من المصالح الدنيوية، أو مما لا بد من تعلمه لمعرفة أضراره وأخطاره، والدعوة إلى اجتنابها^(٢).

ولم يكن الفخر في شغفه بالعلم مجرد هاوٍ يتصفح الكتب تصفحاً، أو يأخذ من العلم ما يناسب رغبته وهواه، أو يكتفي بالتعرف على عناوين المسائل، ورؤوس الموضوعات، وإنما كان مثلاً للباحث المدقق، والعالم المحقق يغوص وراء دقائق المسائل، ومعضلات الأمور، يستجلي الغامض، ويستكشف المجهول، يساعده على ذلك جلد عجيب على التبع، وصبر لا يجارى فيه على البحث.

وكان يتمنى أن لا يفوته من العلم شيء، وقد تحقق له ما غنى، فاستعت معارفه، وتنوعت علومه، حتى كادت تشمل كل علم من العلوم المعروفة في عصره فكان أصولياً من كبار الأصوليين، وفقهياً من الفقهاء، ومتكلاً من فحول المتكلمين، ومفسراً من أئمة أهل التفسير، وفيلسوفاً من جهابذة الفلاسفة، وطبيباً من أحذق الأطباء، ولغوياً، ونحوياً، وشاعراً، وخطيباً، وصوفياً، ومربياً.

ولقد ترك في كل هذه العلوم مؤلفات، وتلامذة وآثاراً تشهد له بالتفوق في كل منها. وفي هذه الفقرة من البحث سنتناول بإيجاز أهم العلوم التي مهر فيها - رحمه الله -

(١) راجع: الوصية.

(٢) راجع: التفسير (٢٠٧/١)، وما بعده، و (٢٢٦/١).

تاركين التفصيل لمصنفاته وآثاره؛ فهي خير دليل على هذا:

١ - الرازي والأصول والفقه:

الرازي أصولي وفقه شافعي، وأصحابه الشافعية يعرفون له قدره، وطول باعه في الأصول خاصة، ويضعونه في مقدمة أهل التحقيق من الأصوليين، وخصوه بلقب «الإمام». فإذا أُطلق لقب الإمام في كتبهم فالمراد به الرازي^(١).

ولقد استوعب وهو لا يزال في مقتبل العمر أهم الكتب الأصولية لسابقه فدرس «البرهان» لإمام الحرمين، و«العهد» للفاضل عبد الجبار. وحفظ «المستصفى» للغزالي، و«المعتمد» لأبي الحسين البصري.

- ولذا استطاع أن يؤلف في الأصول، هذا ولم يسر وراءهم سير مقلد يجمع ما قالوه، ثم يلخصه ويقرره، كما قد يتصور البعض. ولكنه نظر في كل ذلك نظرة الفاحص المدقق، والناقد البصير وله على سابقه وخاصة الإمام الغزالي، وأبي الحسين البصري مؤاخذات وملاحظات تدل على تبحره في هذا العلم، وإحاطته بمسائله. وسنطعن على الكثير من ذلك في المحصول^(٢).

ولعل هذه أهم مزاياه التي امتاز بها على صنوه الأمدي - صاحب الأحكام - في تلخيص كتب الأصول الأربعة المذكورة.

- وأما في الفقه: فقد ذكر المؤرخون أنه ألف فيه شرحاً «لوجيز» الغزالي لم يتمه. كما بث في كتبه المختلفة وخاصة «التفسير» الكثير من الآراء الفقهية^(٣) التي تدل على طول باعه في هذا الباب، كما ألف في الفقه كتاب «البراهين البهائية» بالفارسية ذكر فيه سبعين ومائة مسألة اختلفت فيها آراء الشافعية والحنفية، مرجحاً في كل تلك المسائل رأي إمامه الشافعي، والترجيح - في الفقه - من أعلى مراتب الفقهاء.

٢ - الرازي والتفسير:

نال الرازي كمفسر شهرة واسعة، وحظى تفسيره الكبير - «مفاتيح الغيب» -

(١) راجع: (ص ٣٢) من هذه الرسالة.

(٢) راجع: نقده لكتاب الغزالي «المستصفى»، و«شفاء الغليل» في المناظرات (ص ٤٣ - ٤٨).

(٣) راجع - عن سبيل المثال - المسائل الفقهية التي ربطها بأية التوضوء في سورة المائدة في التفسير

(٣/ ٣٦٦ - ٣٧٠)، وقد أوصلها إلى إحدى وأربعين مسألة، ونجد نحو ذلك في معظم آيات الأحكام.

منذ تأليفه له حتى اليوم باهتمام بالغ، وتناوله الكثيرون بالدرس والتعليق والنقد، حتى جاء وقت لم يكن يطالع فيه أكثر المتعلمين سواء^(١). وقد جمع الفخر في تفسيره هذا كل غريب وغريبة^(٢).

وبالرغم من النقد الكثير الذي وجهه مخالفوه^(٣) إلى تفسيره؛ فإن المعجبين به وبصاحبه كانوا دائماً أكثر بكثير من منتقديه.

وفي التفسير تتجلى بوضوح وفرة علوم الرازي، وسعة اطلاعه؛ لأن الرازي يعتقد أن القرآن الكريم مشتمل على جميع العلوم، وأن من الممكن استنباط آلاف المسائل من الآية أو الآيات القليلة، فيقول في أول التفسير: «اعلم أنه مر على لساني في بعض الأوقات أن هذه السورة الكريمة يمكن أن يستنبط من فوائدها، ونفائسها عشرة آلاف مسألة، فاستبعد هذا بعض الحساد، وقوم من أهل الجهل والخي والعناد وحملوا ذلك على ما ألفوه من أنفسهم من التعليقات الفارغة عن المعاني، والكلمات الخالية عن تحقيق المعاهد والمباني، فلما شرعت في تصنيف هذا الكتاب قدمت هذه المقدمة لتصير كالتنبيه على أن ما ذكرناه أمر ممكن الحصول، قريب الوصول»^(٤) ثم يستطرد للتدليل على أن قولنا: «أعوذ بالله» وحده يشتمل على عشرة آلاف مسألة^(٥).

وتسيطر عليه هذه الفكرة في تفسيره كله؛ ولذلك نراه يذكره الآية، ثم يبين مناسبتها لما قبلها وما بعدها، ويستطرد بعد ذلك في بيان ما يمكن أن تدل عليه، أو يدل عليها من المسائل الرياضية والطبيعية والفلكية مسنداً أو معارضاً مذاهب علماء تلك العلوم

(١) راجع: بيان زغل العلم والطب للمحافظ الذهبي (ص ١٩).

(٢) راجع: وفيات الأعيان (١/ ٦٧٦).

(٣) مخالفوه؛ مثل ابن تيمية الذي قال عنه: فيه كل شيء إلا التفسير. نقله الصفدي في الوافي (٤/ ٢٥٤)، وأبي حيان الذي انتقده في البحر المحيط (١/ ٢٦١)، والسميحي سراج الدين المغربي الذي ألف كتاب: «المأخذ» في نقد تفسير الفخر، وكذلك الطوفي في كتابه: «الإكسير» إلا أنه كان ناقداً من المعتدلين المتصفين، انظر: لسان الميزان (٤/ ٤٢٧، ٤٢٨).

قال الصفدي: قلت يوماً للشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة أبي الحسن علي السبكي: قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وقد ذكر تفسير الإمام: فيه كل شيء إلا التفسير، فقال قاضي القضاة: ما الأمر كذا. إنها فيه مع التفسير كل شيء. فراجع: الوافي (٤/ ٢٥٤)، وراجع في نفس الموضوع قول فتح الدين ابن سيد الناس في صاحبنا الفخر كمفسر ورد الصفدي عليه.

(٤) راجع: التفسير (١/ ٢).

(٥) نفس المصدر: (١/ ٢).

بإستدلال عقلي قائم على الآية الكريمة.

ثم يعالج المسائل الكلامية، أو الأصولية، أو الفقهية المتعلقة بالآية مرجحاً في الكلام مذهب أصحابه الأشاعرة غالباً، وفي الأصول والفقه مذهب الشافعي رحمه الله، إلا ما ندر.

ولا ينسى وهو يتناول كل هذه الأمور المسائل اللغوية فيعطئها من بحثه قسطاً كبيراً فيغوص وراء دقائق نحوية، وبلاغية، وغيرها قل ما تنبه إليها سواء، وإذا ما أحس أنه ابتعد عن جو الآية التي يفسرها فإنه سرعان ما يستدرك عائداً لربط ما استنبطه، وما أورده من مسائل بالآية الكريمة، وهو لا يتوقف عن الاستنباط والاستطراد ما دام يستطيع إيجاد صلة ولو كانت يسيرة ما بين المستنبط أو المستطرّد إليه واللفظ القرآني^(١).

والرازي يعارض حشو التفسير بالقصص، والأخبار التي ينقلها بعض المفسرين عن أصحاب السير والتاريخ عند ذكر الأنبياء أو الملوك أو الأمم السابقة إلا إذا وردت عن طريق القرآن أو السنة الثابتة^(٢).

ولذلك نراه كثيراً ما يورد الأحاديث النبوية المفسرة للآية، أو ذات العلاقة بها، وكذلك أقوال الصحابة أو التابعين قبل أن يبدأ هو في استطراداته.

ويرى الفخر كذلك: أن على المفسر أن لا يكتفي بإيراد الأقوال الواردة في الآية، وردها

(١) راجع: التفسير والمفسرون للذهبي (١/ ٢٩٦).

(٢) انظر قوله في أقوال المفسرين في وصف سفينة نوح: «واعلم أن أمثال هذه المباحث لا تعجني؛ لأنها أمور لا حاجة إلى معرفتها البتة، ولا يتعلق بمعرفتها فائدة أصلاً، وكان الخوض فيها من باب الفضول، لا سيما مع القطع بأنه ليس ها هنا ما يدل على الجانب الصحيح، والذي نعلمه: أنه كان من السعة بحيث يتسع للمؤمنين من قومه ولما يحتاجون إليه، ولحصول زوجين من كل حيوان؛ لأن هذا القدر مذكور في القرآن، فأما غير ذلك القدر فعبر مذكور». راجع: التفسير (٥/ ٥٦) ط. الخيرية.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَاهُ بِمَنبَرٍ مِّنْ سَمَوَاتٍ﴾ (١ يوسف: ٢٠) ينقل أقوال المفسرين المختلفة، في مقدار الثمن، واسم الذي اشتراه، واسم امرأة العزيز وغير ذلك من روايات، ثم يعقب عليها بقوله: «واعلم أن شيئاً من هذه الروايات لم يدل عليه القرآن، ولم يثبت أيضاً في خبر صحيح، وتفسير كتاب الله تعالى لا يتوقف على شيء من هذه الروايات؛ فالأليق بالتعاقل أن يحترز من ذكرها». انظر: التفسير (٥/ ١١٣).

وبعد أن ينقل أقوال أهل التفسير في بعض البقرة الذي أمر به إسرائيل أن يضربوا به القليل يعقب على تلك الأقوال بقوله: «ولا شك أن القرآن لا يدل عليه فإن ورد خبر صحيح قبل وإلا وجب السكوت عنه». راجع: (١/ ٢٨٠).

وهكذا نجده يتعقب مثل هذه الروايات التي خشيت بها تفاسير كثيرة بمثل هذا التقدر. ومثل هذا التعقيب نجده في تفسير سورة الم نشر، فيقول بعد ذكر الأقوال في نوعية وكعبة المال المملود: «وهذه التحكيمات مما لا يميل إليها الطبع السليم». راجع: (٨/ ٢٦٧).

إلى أصحابها فحسب، مع قطع النظر عن كونها متعارضة أو متوافقة بل عليه أن يرجع، ويختار، ويبين ما هو خطأ، أو صواب بالدليل الذي يمكنه الاستدلال به من الشريعة، أو اللغة^(١).

والرازي المفسر حين يسلك هذا المسلك في أسلوبه في التفسير يسلكه بناء على اعتقاده - الذي أشرنا إليه - من أن القرآن الكريم أصل العلوم كلها؛ فهو يقول: «إن القرآن أصل العلوم كلها، فعلم الكلام كله في القرآن، وعلم الفقه كله مأخوذ من القرآن، وكذا علم أصول الفقه، وعلم النحو واللغة، وعلم الزهد في الدنيا، وأخبار الآخرة، واستعمال مكارم الأخلاق»^(٢).

وجماع القول أن الرازي المفسر ربط على وجه التقريب كل علومه بالقرآن الكريم، وحاول في تفسيره أن يعيدها إليه، وتفسيره أشبه ما يكون بموسوعة جامعة في سائر العلوم حوت كل غريب وغريبة، كما قال ابن خلكان.

٣ - الرازي والحديث:

لم يكن الرازي من أئمة هذا الشأن، كما كان في التفسير، ولم يكن كذلك من المتخصصين فيه، اتفق على هذا معارضوه ومناصروه. ولكن هذا لا يعني أنه - رحمه الله - لم يعن ألبتة بالحديث، فإنه قد أورد في تفسيره الكبير، وفي سائر كتبه: الكثير من الأحاديث؛ منها أحاديث أحكام، ومنها ما هي في أغراض أخرى، وهو حين يورد الحديث يولييه ما يولي الأية الكريمة من الدراسة، ويستخرج منه كل ما يمكن له الوصول إليه. من أحكام أو غيرها. ولكنه ليس من أهل الرواية.

وقد عدّه الحافظ الذهبي في الضعفاء^(٣)؛ فقال: «الفخر بن الخطيب صاحب التصانيف رأس في الذكاء، والعقليات، ولكنه عري من الآثار».

وقد عارضه في هذا تلميذه ابن السبكي معارضة شديدة؛ حيث قال: «واعلم أن شيخنا الذهبي ذكر الإمام في كتاب الميزان في الضعفاء، وكتب أنا على كتابه حاشية مضمونها: أنه ليس لذكره في هذا المكان معنى، ولا يجوز من وجوه عدة، أعلاها: أنه ثقة جبر من أجبّار الأمة، وأدناها: أنه لا رواية له، فذكره في كتب الرواة مجرد فضول،

(٢) راجع: (١/١٦٦).

(١) راجع: (١/١٦٦).

(٣) راجع: الميزان (٣/٣٤٠).

وتعصب، وتحامل، تقشعر منه الجلود»^(١).

ولعل ما ذكره نحو الذهبي هو الذي حمل ابن تيمية ونحوه على القول: «بأن الفخر لا يجهل الحديث فقط؛ بل ويجهل كذلك أقوال أئمة الفقه والحديث والتصوف»^(٢). وإذا كان ابن السبكي يرى في قول الحافظ الذهبي تعصبًا، وتحاملًا تقشعر من الجلود، فإذا يكون رأيه في كلام ابن تيمية والتحامل والتعصب فيه أوضح، وأشد؟

إن صاحبنا الفخر لم يكن من رجال الحديث، هذا قدر مسلم، أما أن يقال بأنه يجهل الحديث وعلومه، فهذا ما لا يمكن التسليم به لابن تيمية ونحوه؛ ذلك لأن كتب الفخر تنفي مثل هذه الدعوى، وتؤكد بأن الرجل عني بهذا العلم عناية لا تقل عن عناية ابن تيمية - رحمه الله - به ولكنه كان يرى أن القليل من الحديث يؤخذ عن رجاله المقبولين لدى الأمة يكفي؛ فالمجتهد مثلاً يكفيه منها: ما يتعلق بالأحكام، وحال الرواية^(٣)، والمفسر: يكفيه من الأحاديث ما يفيد في التفسير، والكلامي تكفيه الأحاديث المتعلقة بهذا العلم، ولم يكن بدعًا من العلماء في هذا؛ فالرافعي مثلاً يقول: «يكفي المجتهد في علم السنة أن يكون عنده سنن أبي داود»^(٤). وسواء سلمنا له هذا القول أم لم نسلّمه فإنه يدل على أن كثيرًا من العلماء ما كانوا يشترطون في العالم ليكون عالمًا بالإحاطة بعلوم السنة كلها إضافة إلى ما اتجه إلى دراسته من علوم.

٤ - الرازي وعلم الكلام^(٥) والفلسفة:

شهرة الرازي بعلم الكلام تنافس شهرته بالتفسير؛ فهو متكلم من متكلمي الأشاعرة المعدودين، ولقد اعتبره بعضهم إمامًا لطريقة المتأخرين الكلامية^(٦).

والرازي صرف شطرًا صالحًا من عمره في اختبار الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، وأحاط بها يمكن للطاقة البشرية أن تحيط به، وكل ذلك فعله في سبيل نصرة اعتقاد أهل

(١) راجع: طبقات ابن السبكي (٣٦/٥).

(٢) راجع: موافقة صحيح المنقول (٩٣/٢).

(٣) راجع: المحصول (١ - ٣٤/٢) مخطوطة الجامع الكبير.

(٤) راجع: التمهيد للأسوي (ص ٣).

(٥) عرفة العضد في المواقف بأنه: علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية، بإيراد الحجج، ودفع الشبه. راجع:

المواقف (ص ١١).

(٦) راجع: مقدمة ابن خلدون (١١٣٢/٣).

السنة والجماعة، والرد على مخالفهم^(١). وبعد أن اكتمل علمه به، حفظ ما يزيد عن اثني عشر ألف ورقة فيه شرع بكتابة تأليفه المهمة في هذا العلم. هذه التأليف التي تعتبر من أهم مراجع أهل هذا العلم. وسأتي على ذكرها في بحثنا لمصنفاته.

ولم يقصر الفخر نشاطه في هذا العلم على التأليف، والتدريس، بل سافر إلى البلدان التي توجد فيها فرق مخالفة لأهل السنة؛ كالمعتزلة، والكرامية وغيرهم، وعقد مع علمائهم مناظرات كثيرة ما كان يفلح فيها بإعادة الكثيرين من أصحاب تلك المذاهب إلى حظيرة أهل السنة والجماعة^(٢).

والفخر - رحمه الله - يمزج بين علم الكلام، والفلسفة، والحكمة ويسميتها جميعاً بالعلم الإلهي^(٣).

والرازي رائد المتكلمين المتأخرين في طريقتهم في إدخال الفلسفة ومباحثها في علم الكلام، يقول ابن خلدون: «ثم خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بموضوع الإلهيات، ومسائله بمسائلها، فصارت كأنها فن واحد، ثم غيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعيات والإلهيات وخلطوها فتاً واحداً، قدموا الكلام في الأمور العامة، ثم أتبعوه بالجنسيات وتوابعها، ثم بالروحانيات وتوابعها إلى آخر العلم، كما فعله الإمام ابن الخطيب في «المباحث المشرقية» وجميع من بعده من علماء الكلام»^(٤).

ويبدو أنه - رحمه الله - بعد أن طالت به الرحلة مع الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، وسائر العلوم العقلية شعر بوحشة روحية، وأخذ يتمنى لو أنه صرف كل جده وجهده إلى المنهل العذب (كتاب الله وحده) إذن لبلغ منه غايته، ولأدرك فيه كل طلبته، فينظم قصيدته المشهورة - نهاية إقدام العقول^(٥).

ويقول القطب الطوغاني: أنه سمع الفخر مرتين يبكي ويقول: يا ليتني لم اشتغل بعلم الكلام^(٦).

(١) راجع: (ص ٩١) من اعتقادات الفرق.

(٢) راجع: مناظرات الفخر، واعتقادات الفرق، ومعظم المراجع التي ترجمت له.

(٣) راجع: المحصل، وانظر: فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية (ص ٦١٣).

(٤) راجع: المقدمة (٣/ ١٦٤٦)، ومفتاح السعادة (١/ ٢٨).

(٥) سنودها في شعره.

(٦) راجع: الوافي (٤/ ٢٥٠).

ويقول في كتابه: « أقسام اللذات »، أو « لذات الدنيا »: « ولقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلًا، أو تروي غليلًا، ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن. أقرأ في التنزيه: ﴿ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ [محمد: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [النور: ١١]، و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١]، وأقرأ في الإثبات: ﴿ أَرْخُنْ عَلَى الْعَرْشِ أَمْتَوْنِ ﴾ [طه: ٥]، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿ إِلَيْهِ يَسْعَدُ الْكَلِمُ الْقَلْبُ ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ في أن الكل من الله قوله: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [النساء: ٧٨] ^(١).

وفي وصيته يكرر نحو هذا القول ويؤكد به بقوله: « ثم أقول، وأقول من صميم القلب، من داخل الروح: إني مقر بأن كل ما هو الأكمل الأفضل الأعظم الأجل فهو لك، وكل ما هو عيب ونقص فانت مزه عنه ^(٢). وهذا يزيل كل شبهة في سلامة معتقده، ونبل مقصده، وصدق يقينه، وقوة إيمانه.

٥ - الفخر وعلوم العربية:

الفخر ممن جمعوا بين أدب القول، وأدب الكتابة، فهو خطيب الري وواعظها، وصاحب التصانيف التي أوتي فيها من التوفيق ما لم يؤته عالم، وله في هذين الفنين من فنون القول اليد الطولي، يقصد مجالس وعظه، وخطابته، السلاطين والأدباء، والفقهاء فيؤثر، ويتأثر، ويكي، ويكي.

ولا شك أن تمكنه في هذين الفنين دليل على تبحره في علوم العربية، وإحاطته بدقائقها. والفخر يرى أن تعلم علوم العربية واجب شرعي، لا يختلف عن وجوب تعلم القرآن والسنة، بل هو يرى أن تعلم العربية مقدم على تعلمها من حيث كونها وعاء للكتاب والسنة لا يمكن فهمها قبل الإلمام بالعربية ^(٣).

ويبدي استغرابه وعجبه من الأصوليين كيف لم يعنوا بضبط اللغة وإخضاع رجالها، وطرق نقلها إلى نفس القواعد التي أخضعت لها السنة؛ فيقول: « والعجب من الأصوليين: أنهم أقاموا الدلالة على خبر الواحد أنه حجة في الشرع ولم يقيموا الدلالة على ذلك في اللغة، وكان هذا أولى؛ لأن إثبات اللغة، كالأصل للتمسك بخبر الواحد، ويتعذر أن يقيموا الدلالة على ذلك فكان من الواجب عليهم: أن يبحثوا عن أحوال رواة اللغات

(١) راجع: مقدمة النشار في اعتقادات الفرق (ص ٢٣).

(٢) راجع: الوصية. (٣) راجع: المحصور (١/ ١٨) - مخطوطة - دار الكتب: (١٣٠) أصول.

والنحو، وأن يفصحوا عن أسباب جرحهم وتعديلهم، كما فعلوا ذلك في رواية الأخيار، لكنهم تركوا ذلك بالكلية مع شدة الحاجة إليه؛ فإن النحو واللغة يجريان مجرى الأصل للاستدلال بالنصوص»^(١).

وقد قدم لتفسيره ببحث قيم في اللغة تناول فيه الكثير من الدقائق، كما كتب في المحصول بحثاً في الأحكام الكلية للغات، وله مؤلفات خاصة بفروع لغوية تدل على إلمامه التام بعلوم اللغة.

ولقد اعتبره بعض الكتاتيب أول من قعد علوم البلاغة، وأنه هو الذي أوصل ما بين البلاغة الأدبية، والبلاغة ذات القواعد والقوانين^(٢)، وكتابه: «نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز» يعتبر من المراجع البلاغية المهمة.

أما في النحو فله مؤاخذات جيدة على النحاة^(٣) بثها في كتبه وفي مقدمتها: «التفسير»، وفي «المحصول» آحال على كتاب له في دقائق النحو سماه: «المحرر» وهو من كتبه المفقودة.

ومن مؤاخذاته الجيدة على النحاة: عدم تجويز جمهورهم دخول «رب» على المستقبل، ويرى هو تجويز ذلك، لوروده في قوله تعالى: ﴿رَبِّمَا يَرُدُّ الْقُرْآنُ كَكُفْرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [آخر: ٢]. وينعى على من جوز ذلك استدلالاً بقول الشاعر: «ربما تكره النفوس من الأمر» وليس لوروده في القرآن الكريم - فيقول: «ولو أنهم وجدوا بيتاً مشتملاً على هذا الاستعمال لقالوا: إنه جائز!! وكلام الله أقوى، وأجل، وأشرف فيلزم لم يتمسكوا بوروده في هذه الآية على جواز صحته»^(٤)!!

ومنها أيضاً ما قاله في انتصاره لقراءة حمزة، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]؛ حيث قرأ حمزة بالجهر، وذهب أكثر النحاة إلى فساد هذه القراءة، قالوا: لأنها تقتضي عطف المظهر على المضمير المجزور، وذلك غير جائز لوجوه كثيرة ذكرت في كتب النحو.

(١) راجع: المحصول (١/ ٢٥).

(٢) راجع: البلاغة عند السكاكي لأحمد مطلوب (ص ٢٤٣)، وفخر الدين الرازي للعماري (ص ٥٧).

(٣) الوقيبات (٧/ ٦٧٦).

(٤) راجع: التفسير (٥/ ٢٥٠).

وقد ناقش الفخر هذه الوجوه جميعاً، ثم ذكر لهذه القراءة توجيهها عند مجوزها من النحاة استندوا فيه لبيتين من الشعر، وعقب على ذلك بقوله: «والعجب من هؤلاء النحاة أنهم يستحسنون إثبات هذه اللغة بهذين البيتين المجهولين، ولا يستحسنون إثباتها بقراءة حمزة ومجاهد مع أنها كانا من أكابر علماء السلف في علم القرآن»^(١).

وهو يرى أن اللغة العربية أفضل اللغات، وأجملها، وأكملها، لا لمجرد كونها لغة القرآن؛ وإنما لأدلة عقلية كثيرة يشترك في التسليم بها المؤمن وغيره، وتحمله على الاعتقاد بأن هذه اللغة أفضل اللغات مادة، وهيئة، أفراداً وتركيبات وصوراً، ومقاطع، ونحارج حروف، وشمولاً لكل ما يريد الإنسان التعبير عنه.

وهو لهذا ولغيره يقطع بأن القرآن لم يشتمل على أية كلمة غير عربية^(٢).

٦ - الفخر الشاعر:

الفخر ذواق للشعر، محب له، مكرم لأهله، يطرب له، ويتأثر به، ولقد تأثر بأشعار شاعر المعرفة - أبي العلاء - الحكومية، واهتم بها، وكتب على «سقط الزند» له شرحاً لم يتم. وقيل: إنه شرح ديوان المتنبي^(٣).

ولازمه ابن عنين الشاعر؛ فاستفاد منه علماً ومالاً، وقال فيه كثيراً من عيون شعره^(٤). وكثيراً ما كان يقترح عليه قصائد ذات خواص معينة فيجيبه إلى ذلك^(٥).

كما أن له عناية فائقة في إيراد الشواهد الشعرية، لمختلف الشعراء من جاهليين وإسلاميين تدل على اطلاع واسع على أشعار العرب، وتذوق خاص لها. وقد عالج بعض أغراض القول بشعر حسن.

ولم يقتصر اهتمامه على الشعر العربي وحده، بل تعداه إلى النظم الفارسي - يقول ابن أبي أصيبعة: وللشيخ فخر الدين أيضاً أشعار كثيرة بالفارسي ودوبيت^(٦).

(١) راجع: التفسير (٣/ ١٣١).

(٢) راجع: التفسير (٧/ ٢٣٣، ٢٣٤) ط. الخيرية.

(٣) راجع: الباب الثالث من هذه الرسالة في مصنفاته.

(٤) راجع: ديوانه (ص ٥٣، ٩٥).

(٥) راجع: المصدر نفسه (ص ٩٦، ٩٨).

(٦) راجع: عيون الأنباء (٢/ ٢٩).

وقال ابن خلكان: «وكان له مع كل هذه العلوم شيء من النظم»^(١).

ومن نظمه قصيدته المشهورة:

نَهَائِيَّةُ إِقْدَامِ الْعَقُولِ عَقَالُ وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جَسْمِنَا وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أَذَى وَوَبَالُ^(٢)
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طَوْلَ عَمْرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِبَلَ وَقَالُوا
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ جِبَالٍ وَدَوْلَةٍ فَبَادُوا جَمِيعًا مَسْرَعِينَ وَزَالُوا
وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ قَدْ عَلَتْ شُرَفَانِهَا رَجَالٌ فَنَزَلُوا وَالْجِبَالُ جِبَالُ^(٣)

وهذه القصيدة من الطويل، تغلب عليها نزعة الزهد في الحياة. ومنه من نفس البحر،

وفي نفس الغرض مع شيء من الفخر قوله:

فَلَوْ قَنَعْتُ نَفْسِي بِمَيْسُورٍ بَلْفَةٍ لِمَا سَبَقَتْ فِي الْمَكْرَمَاتِ رَجَالُهَا
وَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا مَنَاسِبَةً لَهَا لِمَا اسْتَحَقَرَتْ نَقْصَاتُهَا وَكَمَالُهَا
وَلَا أَرْمَقُ الدُّنْيَا بِعَيْنِ كِرَامَةٍ وَلَا أَتَوَقَّسُ سُوءَهَا وَاخْتِلَالُهَا
وَذَلِكَ لِأَنِّي عَارِفٌ بِفَنَائِهَا وَمُسْتَيَقِنٌ تَرَحُّالُهَا وَانْحِلَالُهَا
أَرُومُ أُمُورًا يَصْفُرُ الدَّهْرُ عِنْدَهَا وَنَسْتَعْظِمُ الْأَفْلَاقَ طَرَا وَصَالُهَا^(٤)
وَمِنْ بَحْرِ الْبَسِيطِ رَوَا لَهْ قَوْلُهُ:

أَرْوَاحُنَا لَيْسَ نَدْرِي أَيْنَ مَذْهَبُهَا وَفِي التَّرَابِ تَوَارَى هَذِهِ الْجَبْتُ
كَوْنُ يَرَى وَفَسَادُ جَاءَ يَنْتَبَهُ اللَّهُ أَعْلَمُ مَا فِي خَلْقِهِ عَبَثُ^(٥)

ومن أرق شعره وأجوده ما قاله في رثاء ولده - محمد - مثل قوله:

فَلَوْ كَانَتْ الْأَقْدَارُ مُنْقَادَةً لَنَا فَدَيْنَاكَ مِنْ نُحَاكَ بِالرُّوحِ وَالْجَسْمِ
وَلَوْ كَانَتْ الْأَمْلاَكُ تَأْخُذُ رُشُوءَ خَضَعْنَا لَهَا بِالرِّقِّ فِي الْحَكْمِ وَالْإِسْمِ

(١) راجع: الرقيات (١/ ٦٧٧).

(٢) نسب صاحب الشذرات هذا البيت والذي قبله إلى إمام الحرمين فراجع (٣/ ٣٦١).

(٣) راجع: القصيدة في معظم المراجع التي ترجمت له.

(٤) راجع: عيون الأنباء (٢/ ٢٨)، والروافي (٤/ ٢٥٧).

(٥) راجع: المصدرين السابقين.

ولكنه حكّم إذا حان حينه
سلام على قبر دفنت بترابه
وما صدني عن جعل جفني مدقنا
وأقسم إن مسوا دفاتي ورميتي
حياتي وموتي واحد بعد بعدكم
رضيت بما أنقضى الإله يحكمه
ومن مراثيه فيه أيضًا قوله:

أرى معالم هذا العالم القاني
خيرائه مثل أحلام مضرّعة
وله قصيدة نونية طويلة مطلعها:
يا طالب التوحيد بالإيمان
ومن شعره أيضًا قوله:

إليك إله الخلق وجهي وجهي
وأنت غيبي عند كل ملّة
ومنه أيضًا قوله:

تنفتح أبواب المعادة للخلق
مدبر كل الممكنات بأسرها
أجل جلال الله عن شيء خلقه
إله عظيم الفضل والعسل والعلی

سرى من مقر العرش في لجة اليم
وأثقت الرحمن بالكرم الجسم
لجسمك إلا أنه أبدًا يهومي
أحسوا بنار الحزن في مكني العظم
بل الموت أولى من مداومة الغم
يلعجي يأتي لا يجاوزني حكمي^(١)

ممزوجة بمخافات وأحزان
وشره في البرايا دائم دائمي^(٢)

أبشّر بكل كرامة وأمان^(٣)

وأنت الذي أدعوك في السرّ والجهر
وأنت معادي في حياتي وفي قفري^(٤)

بذكر جلال الواحد الأحد الحق
ومبديها بالعدل والقصد والصدق
وانصُر هذا الذنب في الغرب والشرق
هو المرشد المغوي هو المسعد المشقي^(٥)

وواضح أن الرجل ليس بشاعر مطبوع، ولكنه ذو ثروة لغوية، وخيال خصب، وعلوم غزيرة، والملم بأوزان الشعر وقوافيه يتمكن معه حين يشاء أن يقول شعراً، إن لم يكن

(٢) نفس المرجع (٥/ ٢١١).

(٤) راجع: الجامع المختصر (٩/ ٣٠٧).

(١) راجع: التفسير (٥/ ١٧٤).

(٣) راجع: الوافي (٤/ ٢٥٨).

(٥) راجع: الوافي (٤/ ٢٥٨).

بالتفاق الحسن فليس هو بالردىء، بل هو شعر جيد مقبول. ولو لم يكن الشعر طبعاً وسليقة قبل أن يكون تعلماً وتطبعاً، لكان الفخر من أجود الشعراء وأبرعهم، شأنه في ذلك شأنه في سائر العلوم التي برز أهل عصره في إتقانها.

وما نقل من شعره كافٍ في الدلالة على هذا.

٧ - الطب^(١) والفراصة^(٢):

كان الفخر طبيباً من أحنق أطباء زمانه وأشهرهم، قوي النظر في هذه الصناعة ومباحثها^(٣)، شرح وهو في مقتبل العمر « قانون ابن سينا »، وحظيت تأليفه في التشريح باهتمام أهل هذه الصناعة، قال طاش كبرى زاده: « كتب التشريح أكثر من أن تحصى، ولا أنفع من تصنيف ابن سينا، والإمام الرازي^(٤). وتلمذ على يديه تلاميذ اشتهروا بالمهارة في الطب، مثل قطب الدين المصري^(٥).

والرازي يجعل الطب والفراصة فرعاً للعلم الطبيعي؛ فيقول: « إن أصول هذا العلم مستندة إلى العلم الطبيعي، وتفاريعه مقرررة بالتجارب، وكان مثل الطب سواء بسواء^(٦).

وهو يجعل من الفراصة طباً نفسانياً بالمفهوم الحديث، ويرى أنه كما تعالج أمراض الجسد بالأدوية والعقاقير؛ فإن الفراصة: علم تعالج به أمراض النفس، ويضع لأطباء النفس شروطاً يرى أنه لا بد منها لمن يريد المهارة في هذا المجال: كالعناية بجمع الظواهر النفسية لدى المريض، وقوة الملاحظة، والمواظبة على العمل، وإجراء التجارب الكثيرة^(٧).

وقد كان علم الفراصة قبل الفخر علماً ملتصقاً بالدجل يصعب فصله عنه

(١) هو علم يبحث فيه عن بدن الإنسان من جهة ما يصح به ويمرضه لصيانة صحته ومقاومة الأمراض التي تعرض له. راجع: إرشاد القاصد (ص ٦٥).

(٢) الفراصة في تعريفات الجرجاني: الثبوت والنظر (ص ١١٠). وفي المصباح: تفرست فيه الخبر، تعرفته بالظن الصائب (٧٦٦/٢). وعرفها صاحب الإرشاد بأنها: علم يتعرف منه الأخلاق الإنسانية من هيئة الإنسان ومزاجه وثوابه (ص ٦٨). وفي مفتاح السعادة (١/٣٣٣) هي: الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن.

(٣) راجع: عيون الأنباء (٢/٢٣).

(٤) راجع مفتاح السعادة (١/٢٨٥)، ومؤلفاته في الطب في بحثنا لمؤلفاته.

(٥) راجع ما سباني عن تلاميذ الفخر.

(٦) راجع: الفراصة (ص ٦).

(٧) راجع: الفراصة (ص ٢٧، ٢٨).

حتى جاء - رحمه الله - وميزه، وأخرجه من هذه الدائرة ليدخله في دائرة العلوم كفرع من الطب، واعتبره علماً يقيني الأصول، ظني الفروع^(١).

وقد ألف كتابه: «الفراسة» بناءً على رسالة صغيرة لأرسطو لم يقف عند ما جاء فيها، بل وسعها وزاد عليها، مما جعله بحق المعلم الأول في هذا الباب^(٢).

٨ - الرازي والعلوم الرياضية والطبيعية:

اهتم الرازي بهذا النوع من العلوم اهتماماً بالغاً، واعتبر تعلمها بكل أنواعها: من التكليف الشرعية؛ لأنها «مما لا يتم الواجب المطلق إلا به».

ومعرفة المسائل الهندسية بصورة خاصة يعتبرها فرض عين؛ لأن كل مكلف مأمور باستقبال القبلة، والغائب عن القبلة لا سبيل له إلى تحصيل اليقين بجهة القبلة إلا بالدلائل الهندسية، فيلزم من هذا أن يكون تعلم الدلائل الهندسية فرض عين على كل أحد، ثم يقول: «ولكن الفقهاء قالوا: إن تعلمها غير واجب، بل ربما قالوا: إن تعلمها مكروه أو محرم، ولا أدري ما عذرهم في هذا؟»^(٣).

وكتب مؤلفاً خاصاً في «الهندسة» إضافة إلى ما به من المسائل الهندسية في كتبه.

أما في الفلك: فقد ألف «رسالة في علم الهيئة» وأراد الكثير من المسائل الفلكية في تفسيره؛ لأنه كان كثير الاعتماد عليها في إثبات وجود الله تعالى، وصفاته. وهو يقول: «وربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال: أنت أكثر في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم، وذلك على خلاف المعتاد؛ فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرت، وتقديره من وجوه...»^(٤).

كما أنه كان كثيراً ما يركن إليها في الرد على أقوال الفلاسفة وتفنيدها^(٥).

وقد أصر في أكثر من موضع من التفسير على القول بـ «كروية الأرض»، ولكنه قال: «أنها ساكنة»^(٦).

(١) راجع: الفراسة (ص ٧).

(٢) راجع: إرشاد المقاصد (ص ٦٨)، وصبح الأعشى (١/ ٤٧٤)، ومفتاح السعادة (١/ ٢٧٣).

(٣) راجع: التفسير (١٩/ ٢)، ط. الخيرية.

(٤) التفسير (٢٢٩/ ٤)، ط. الخيرية.

(٥) التفسير والمفسرون للذهبي (١/ ٢٩٤).

(٦) راجع: التفسير (١/ ٢١٨)، (٢/ ٦٥، ٦٤)، (٥/ ١٧٧)، ط. الخيرية.

وأما في العلوم الطبيعية: فله أثر ظاهر ينبئك عنه الكثير مما كتبه في التفسير، وآراؤه التي أوردتها في كتبه الفلسفية كـ «المباحث الشرقية» و «الملخص»^(١).

٩ - الرازي والمنطق^(٢) والجدل:

أما المنطق؛ فقد كان الرازي أول من نظر إليه باعتباره فنًا قائمًا بذاته، قال ابن خلدون: «ثم جاء المتأخرون فغيروا اصطلاح المنطق، ونظروا إليه من حيث إنه فن برأسه، لا من حيث إنه آلة للعلوم، فطال الكلام فيه واتسع، وأول من فعل ذلك الإمام فخر الدين، ومن بعده أفضل الدين الخوننجي»^(٣).

وأما الجدل^(٤): فمع أنه يعتبر جزءًا من المنطق - فإننا نجد الرازي قد ميّزه عنه، وأفرده بالتأليف، ووضع فيه كتبًا خاصة اعتبرت زبدة هذا الفن، وأهم المراجع فيه^(٥).

١٠ - الفخر وعلم التاريخ:

أخذ الفخر من هذا العلم قسطًا حسنًا، وهو واحد من العلوم التي اشتملت عليها موسوعته: «حدائق الأنوار في حقائق الأسرار»^(٦). التي ألفها بالفارسية وقد عده في هذه الموسوعة العلم الثالث عشر، وتناوله بالبحث بعد بحثه لعلم الحديث، وعلم رجاله.. وقد تناول مباحثه في تسعة فصول: أَرخ فيها للملوك العجم قبل الإسلام ثم تحدث عن ظهور رسالة الإسلام، وسيرة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين، ثم وقائع الإمام علي عليه السلام، ثم كيفية انتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين.

ثم تناول التاريخ القريب لعصره والمعاصر له؛ فأَرخ للسلاجقة، والخوارزمشاهية^(٧). هذا بالنسبة لعلم التاريخ العام.

(١) وراجع: الباب الثالث - العالم - من كتاب «فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية».

(٢) عرف بأنه آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر. راجع: تعريفات الجرجاني (ص ١٥٧)، وعرف أيضًا بأنه: قوانين تعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعرفة للجهات، والحجج المقيدة للتصديقات، راجع: المقدمة (٢/ ١٢٣٦).

(٣) المقدمة (٣/ ١٢٤١).

(٤) عرف بأنه إثبات أي وضع كان، وهدم أي وضع، وهو من العلوم العقلية، لكنه فرع من علم أصول الفقه أيضًا. راجع: مفتاح السعادة (٢/ ٥٩٩).

(٥) راجع: المصدر السابق.

(٦) راجع: مصنفاته.

(٧) راجع: علم التاريخ عند المسلمين (ص ٥٦، ٥٥).

أما الفروع الخاصة من علم التاريخ، فقد كتب في مناقب الإمام الشافعي رحمه الله كتاباً يعتبر من أهم كتب المناقب التي كتبت فيه.

ونُسب إليه كتاب في « فضائل الأصحاب »^(١). كما نُسب إليه خطأ كتاب: « تاريخ الدول »^(٢).

١١ - الرازي وعلم السحر^(٣) والطلاسم^(٤):

هذا العلم هو الآخر قد حظي باهتمام الفخر مع ما للعلماء من أقوال فيه، ويبدو أن الفخر قد ألم به بشكل جيد، وتعلم سائر ضروبه وأقسامه. وهو يعتبر تعلمه واجباً غير قبيح ولا محظور، وينقل اتفاق المحققين على ذلك.

وتبريره: « أن العلم لذاته شريف، وأيضاً لعموم قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]... لأن السحر لو لم يكن يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجز، والعلم بكون المعجز معجزاً واجب، وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب.

فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجباً، وما يكون واجباً كيف يكون حراماً وقبيحاً؟! »^(٥).

وهو يقسمه إلى أقسام ثمانية يفصل كل قسم منها تفصيل الجدير^(٦).

وحين يأتي لبيان حكم من يتعاطى السحر شرعاً؛ فإنه لا ينازع في كفر من اعتقد أن الكواكب هي المدبّرة للعالم، وفي وجوب قتله إذا لم يتب - عند أصحاب الشافعية - ومع التوبة وبدونها - عند مالك وأبي حنيفة^(٧).

وحديثه في هذا الباب غير قاصر على ما كتبه في التفسير بمناسبة، ولكن له مؤلفاً فيه هو: كتاب « السر المكتوم »^(٨).

(٢١) راجع: المصنفات في - الباب الثالث - من هذه الرسالة.

(٣) عَرَفَ بأنه علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة بأسباب خفية. وفائدته: أن يعلم ليحذر وتعلمه مباح، وذهب البعض إلى أنه فرض كفاية لجواز ظهور من يدعي النبوة في الأمة من يكشفه. أمّا العمل به فلا خلاف على تحريمه. راجع: إرشاد القاصد (ص ٧٠).

(٤) عرف بأنه علم يتعرف به كيفية تمزيج القوى العالية الفعالة بالقوى السافلة المتضعة لإحداث أفعال غريبة كالتي تحدث عن السحر. راجع نفس المرجع (ص ٧٣).

(٥) راجع: التفسير (٢٤٤/١) ط. الحيرية.

(٦) راجع: المصدر نفسه (٤٢٨/١ - ٤٣٤).

(٧) راجع ما سيأتي في بحث مصنفاته.

(٨) نفس المصدر (٤٣٥/١).

وهو مع إلمامه بهذا العلم وكتابته فيه فإنه يضعفه، ويبطل الاعتقاد بتأثيره؛ لأنه - عنده - فرع من فروع « علم الأحكام ». وهذا العلم ضعيف عنده نقلاً وعقلاً^(١).

وحين حكم المنجمون بأن سنة: (٥٨٢ هـ) سنة الطوفان الرميحي الذي سيهلك العالم لم يجد الناس في تلك البقاع غير الفخر ينادي ببطلان هذا القول، وبطالان العلم الذي استند إليه بأدلة من ذلك العلم نفسه^(٢).

ولقد اشتد نكير ابن تيمية على الفخر لتأليفه في هذا العلم، حتى أدرجه في زمرة من أظهر الإلحاد والتفاق والبدع، واعتبر « السر المكتوم » كتاباً في عبادة الكواكب والأصنام. وقد أبى ابن تيمية إلا أن يربط بين تأليف الفخر لهذا الكتاب وبين دخول التتار ديار المسلمين^(٣). كما أنكروا عليه الحافظ الذهبي ونحوه^(٤).

وابن تيمية - عفا الله عنه - لم يلاحظ ما إذا كان الفخر تعلم هذا العلم ليعمل به ويدعو إليه، أو تعلمه ليحذر منه، ويعترف بضرره وشره، وإنما أطلق القول مع قطع النظر عن أي من الاعتبار التي ينبغي الالتفات إليها عند الحكم بتكفير أحد من أهل القبلة.

وابن تيمية يضيق صدرًا بكتاب يعلن الفخر في مقدمته: أن المهدف منه تعريف الناس بما اجتمع لديه من هذا العلم، مع التبرؤ إلى الله من كل ما يخالف الإسلام منه^(٥)، ولكنه لا يضيق صدره عن إطالة الحديث عن استخدام الإنس للجن، واستخدام الجن للإنس بالاستمتاع وغيره^(٦)، وتأثير الجن في الإنس بالصرع وسواء^(٧) كما يذكر أن له - نفسه - جنياً بحبه ويتمثل بصورته ويخاطب البعض باسمه، ويتوب عنه في بعض المهام: إكراماً له^(٨).

وهو يقرر كل هذا ولا يرى فيه تصادمًا مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ بَرَنَكُمْ هُوَ وَقِيلَهُ مِنْ حَيْثُ لَا مَوْجِبُهُمْ ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وقوله حكاية عن إبليس: ﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

(١) راجع: المناظرات (ص ٣٢).

(٢) راجع: المصدر نفسه (ص ٣٢ - ٤٢).

(٣) راجع: رسالة الفرقان ضمن مجموعة رسائله الكبرى (١ / ١٣٥).

(٤) راجع: سير أعلام النبلاء (١ / ١١٥).

(٥) راجع: مقدمة « السر المكتوم ».

(٦) راجع: الفرقان (ص ٦١).

(٧) المصدر نفسه: (ص ٦٢ - ٧٠).

(٨) المصدر نفسه (ص ٧٠).

ورحم الله الخافظ الذهبي؛ إذ يقول في رسالته إليه: « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس... إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك، إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك، وعبارتك وتذم العلماء، وتتبع عورات الناس...؟ »^(١).

لقد نقل أن الإمام الشافعي رحمه الله كان ملماً بعلم النجوم^(٢)؛ وهو من فروع السحر، ولم ينقل عن أحد نسبته إلى الإلحاد فجرد معرفته بهذا العلم. أفلا يسع الفخر ما وسع الإمام؟

١٢ - موسوعات الرازي:

ليس ما ذكرناه من العلوم هو كل ما أتقنه الرازي ومهر فيه من العلوم، فإن له - إضافة إلى كل ما تقدم - دائرتي معارف كتبها باللغة الفارسية؛ هما: « جامع العلوم » وقد تناول فيه أربعين علماً، والثاني: « حقائق الأنوار » وضمته الكلام في ستين علماً، ولعل هذه العلوم التي اشتملت عليها موسوعته هي جملة العلوم التي كانت في عصره - رحمه الله - ولم يدع شيئاً منها يفوته تعلمه، وتعليمه، والكتابة فيه.

ولقد كنا نتمنى لو أن أبا عبد الله قَصَرَ جهوده، وعبقريته الفذة على علمين أو ثلاثة، ولا نقول على علم واحد إذن لآتى فيها بما لا ينقصي منه العجب، ولكن رغبته الفائقة في العلم بكل ما يمكن للإنسان تعلمه هي التي حالت دون تخصصه ببعض العلوم^(٣). وإلا فهو القائل: « إنَّ إنسانين يستويان في قوة الخاطر إذا اشتغل أحدهما بصناعة واحدة، واشتغل الآخر بصناعتين؛ فإنَّ ذا الفن الواحد يكون أقوى من ذي الفنين »^(٤).

(١) راجع: النصيحة الذهبية لابن تيمية (ص ٣٢).

(٢) راجع: مناقب الفخر (ص ١٢٠)، ومناقب البيهقي (١٢٩/٢).

(٣) راجع: النوصية.

(٤) راجع: التفسير (١/ ٤٣١) ط. الحيرية.

الباب الثاني

في

شيوخ البرازيل وتلاميذه

وفيه فصلان:

الفصل الأول: في شيوخه.

الفصل الثاني: في تلاميذه.



الفصل الأول

في شيوخه



تمهيد:

حين وضعنا خطة البحث عزمنا على عقد باب للحديث عن شيوخ الفخر وتلاميذه، آمليْن أن نختار من درس عليهم أو درسوا عليه المبرزين في كل علم، وترجم لهم ترجمة وافية، تسهم في إيضاح مدى تأثيره وتأثيره في الحركة العلمية في عصره.

وكنا نظن أن السبيل لهذا مُمهد، وأتينا سوف نجد في كتبه ذكراً للكثيرين من مشايخه خاصة، فإن لم نعثر على ذلك فيها، فإن كتب التاريخ التي تناولت الفترة التي عاشها، ستزودنا بما يكفي منهم.

ومما زاد في رجائنا في تحقيق ذلك ما ذكره صاحب: «منتخب المختار»^(١)، وأكد حاجي خليفه^(٢)، وجيل العظم^(٣) من أن للفخر - رحمه الله - كتاب: «المشيخة الفخرية وذيلها».

وبعد الشروع في جمع مادة البحث تبين لنا ما يلي:

١ - لم نعثر فيما اطلعنا عليه من كتبه على ذكر لأحد نص الفخر على تتلمذه عليه غير والده الإمام ضياء الدين عمر - رحمه الله -.

٢ - لم تسعفنا كتب التراجم والسير بغير أسماء قليلة سنأتي على ذكرها.

٣ - لم نجد للمشيخة الفخرية ذكراً في أي فهرس من فهارس المكتبات العربية والعالمية - التي اطلعنا عليها - وقد تكون فقدت، أو أنها موجودة في أية مكتبة من المكتبات، لكنها أدمجت في التجليد والفهرسة مع كتب أخرى، فضاع اسمها، ولم يعد العثور عليها من الأمور المتيسرة.

ولما تقدم لم يعد لنا من مرجع لمعرفة أسماء شيوخ الفخر وتلاميذه غير كتب

(١) في (ص ١١٥).

(٢) في الكشف (٢/ ١٦٩٧).

(٣) في عقود الجواهر (ص ١٥٤)، ونرجع أنه نقلها عن صاحب الكشف.

التاريخ والتراجم، ولنا على ما ورد في هذه الكتب مما يتعلق بصاحبنا الملاحظات التالية:

١ - إن الفترة التي عاش فيها الفخر كانت فترة اضطراب خطير في حياة الأمة الإسلامية فالحروب الصليبية كانت قائمة، واستعدادات التتار على قدم وساق، والاضطرابات الداخلية كانت من الكثرة بحيث شغلت المؤرخين عن الكثير مما عداها.

٢ - إن مراجع التاريخ التي تحدثت عنه لا تخلو إما أن تكون من نوع كتب الوفيات التي تهتم بذكر من توفي في سنة من السنين، وتذكر شيئاً عن حياته استطراداً، أو تكون من كتب الوقائع والحوادث فتذكر بعض الحوادث المهمة التي قد تكون وقعت للمترجم، أو من كتب الطبقات فتذكره ضمن طبقة من الطبقات، وهذه كلها أطنبت فإن ما تذكره عن المترجم محدود.

٣ - لم نعثر على كتاب خاص بترجمته ومناقبه، وإن كان السخاوي قد ذكر بأن في مناقبه كتاباً خاصاً جمعه بعضهم^(١). وهذا لو عثرنا عليه لكان من المحتمل أن نجد فيه بغيتنا كاملة أو بعضها.

ولما تقدم لم يعد أمامنا إلاّ الاختصار على ما استطعنا معرفته من شيوخه وتلامذته في الوقت الحاضر لعلنا نوفق أو بوفق غيرنا إلى إتمام هذا الجانب من ترجمة صاحبنا في المستقبل.

شيوخه الذين ثبت تلمذه عليهم:

نشأ الرازي - كما قدمنا - في بيت من أهم بيوت العلم، وتربى على يد والده الإمام الجليل ضياء الدين عمر الذي شهد له المؤرخون بالتقدم في علوم كثيرة في مقدمتها علم الكلام والأصول والفقه^(٢). وأنه كان قليل المثل في هذه العلوم^(٣).

ويبدو أن صاحبنا قد استغنى في بداية حياته بوالده عن الشيوخ، وأنه عليه وحده تلقى ما يمكن لمن في مثل سنه أن يتلقاه، ولم يشعر بالحاجة إلى الرحلة إلى أساتذة آخرين إلا بعد وفاة والده - رحمه الله - سنة (٥٥٩ هـ) على ما ذكره البغدادي^(٤).

(١) راجع: الإعلان بالتوبيخ للسخاوي (ص ٧٥٦) ضمن كتاب: علم التاريخ عند المسلمين ٢.

(٢) راجع: ما كتبه عن نشأة الفخر، وراجع: أيضاً: طبقات ابن السبكي (٣٥/٥)، (١/٢٨٥، ٢٨٦)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، الطبقة الخامسة عشرة.

(٣) راجع: عبود الأنباء (٢/٢٥).

(٤) راجع: هدية العارفين (١/٧٨٤).

وعلى هذا يكون والده قد توفي والفخر في سن الخامسة عشرة، وأن الفخر قد أخذ عن والده الأسس التي شاد عليها صروح علومه فيما بعد. فلا غرابة إذا ما وجدنا الرازي يشيد بأستاذية أبيه له، ويكاد يقتصر على ذكره وحده كشيخ له وأستاذ^(١).

وبعد أن توفي والده قصد «الكهال السمناني»؛ وهو: كهال الدين أحمد بن زيد، وكنيته: أبو نصر.

قال التفليسي: تفقه على محمد بن يحيى، وكان رئيس أصحابه، ومعيد درسه. مات بنيسابور سنة (٥٧٥هـ)^(٢).

وفي طبقات ابن السبكي: «أحمد بن زرين كم بن عقيل. أبو رز بكسر الزاي بعدها راء مشددة. وجدّه كُثم، بضم الكاف بعدها ميم مشددة - قال: كذا أحفظه.

وسمعت من يقول: بل والده * زرين كم * بفتح الزاي ثم الراء الساكنة الخفيفة، ثم آخر الحروف ساكنة ثم نون ثم كاف مضمومة ثم ميم مشددة. قال: هو اسم أعجمي، على هيئة مضاف ومضاف إليه، وجدّه عقيل»^(٣). ا.هـ.

وذكر المؤرخون أن الفخر قرأ على أبي نصر الفقه^(٤)، فلعله استكمل على يديه ما كان أخذه عن والده. ولم أعثر له على ترجمة في غير هذين المصدرين.

وأما ثالث أساتذته؛ فهو: «المجد الجيلي». وقد أطبقت مراجع ترجمة الفخر على أنه قرأ الحكمة على المجد الجيلي، وأنه لازمه فترة طويلة حتى أنه لما طلب المجد إلى مراغة صاحبه إليها، وقرأ عليه فيها مدة طويلة علم الكلام والحكمة^(٥).

كما اتفقت سائر مصادر الترجمة على أن المجد كان من أكابر أصحاب محمد بن يحيى، وأنه كان من الأفاضل العظماء في زمانه، وله تصانيف جليلة^(٦)، والذين ترجموا

(١) راجع: مواضع متعددة من النص؛ منها (٤/١٥٣)، (٥/١٨٤)، ولوامع البينات (ص ٢٤٠)، ومناقب الشافعي (ص ٦١).

(٢) راجع: طبقات الأستوي (٢/٥٧).

(٣) راجع: طبقات ابن السبكي المحققة (٦/١٦، ١٧).

(٤) راجع: معظم مراجع الترجمة.

(٥) راجع: عبود الأنباء (٢/٢٣)، وطبقات ابن السبكي (٥/٣٥)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢٧/٦٤٣، ٦٤٤)، وغيرها.

(٦) راجع: المصادر السابقة.

للسهب السهروردي اتفقوا على أنه زامل الفخر في الدراسة على المجد الجلي^(١).

وعلى هذا فلا بد وأن يكون المجد من أعيان القرن السادس، وكبار علمائه ومع ذلك فإننا لم نستطع العثور له على ترجمة غير هذه التفت التي ذكرها المؤرخون في تراجمهم للفخر، والسهروردي باعتباره شيخاً لهما في الحكمة.

وفي نزعة الأرواح للشهرزوري، ذكر المجد في ترجمة السهروردي وأضاف بأنه كان والي أصفهان^(٢).

وعبارة الشهرزوري هذه زادت في غموض شخصية المجد عندي بدل أن توضحها. ولقد تبعت ما تحت يدي من المظان التي يمكن أن تذكر ولاية أصفهان لتلك الفترة من غير أن أفوز بظائل.

ولقد ساقنتي الرغبة بالعثور على ما يعرف بالمجد الجلي - هذا - إلى مراجعة وفيات النصف الثاني من القرن السادس مع النصف الأول من القرن السابع، فهذه الفترة هي مظنة وجود ذكر للمجد في وفيات أية سنة من سنواتها، فعثرت على بعض التراجم التي يمكن اعتبار المفصود بها هو المجد الجلي بشيء غير قليل من التكلف.

وأخيراً وقفت على ترجمة عالم فاضل توفي في نفس السنة التي توفي فيها الفخر تنطبق جل أوصاف المجد عليه ماعدا النسبة، ذلك هو: الإمام مجد الدين يحيى بن الربيع النواسطي، المولود بواسط سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، تفقه أولاً على أبي النجيب السهروردي، ورحل إلى محمد بن يحيى فتفقه عنده سنتين ونصفاً، ثم قدم بغداد، وتولى الإعادة بالنظامية، ورحل إلى خراسان وهرات وغزنة ونيسابور وغيرها. وكان إماماً كبيراً وقوراً نبلاً، حسن المعرفة بمذهب الشافعي محققاً مدققاً مجيداً لعلوم وفنون كثيرة منها: الأصول والكلام والحكمة والحساب والتفسير والخلاف والحديث، أوفده الخليفة رسولاً إلى السلطان شهاب الدين الغوري - صاحب الفخر - فعاد إلى بغداد من سفارته تلك سنة (٦٠٣هـ) وبقي فيها إلى أن توفي في ذي القعدة سنة (٦٠٦هـ)^(٣).

(١) راجع: ترجمتنا للسهروردي في معاصري الرازي (ص ٢٥)، وانظر: كتاب السهروردي لسامي الكياني (ص ١٦).

(٢) مايكرو فيلم دار الكتب (٣٢٧٦) عن نسخة بني جامع في إستانبول.

(٣) راجع: ترجمته في العبر (٢٠/٥)، وطبقات ابن السبكي (١٦٥/٥)، وقد لقبه فيها بـ "فخر الدين"، والنشدرات (٢٣/٥)، والذيل على الروضتين (ص ٦٩)، وطبقات الأستوي (٥٤٨/٢)، والنجوم (١٩٩/٦).

والذي حملني على الميل إلى أن صاحب هذه الترجمة قد يكون هو المقصود بمجد الدين الجيلي أمور:

١ - تلقيه « مجد الدين ».

٢ - إتقانه لعلوم كثيرة؛ منها الحكمة، ونحوه للتعليم في مختلف المدن الفارسية.

٣ - كونه من أصحاب محمد بن يحيى.

٤ - مناسبة سنة ليكون واحداً من شيوخ الفخر.

٥ - كونه من نسل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد نقلنا في أول البحث أن البعض نقلوا بأن الفخر صرح في بعض كتبه بأنه عمري، أو فاروقي^(١)، فلعله صرح بهذا لتلمذه على واحد من ذرية الفاروقي رضي الله عنه هذا إذا سلمنا صحة النقل عنه.

وليس هناك ما يدعو إلى التوقف عن القطع بأن المذكور هو مجد الدين نفسه إلا نسبته، فإنه منسوب إلى واسط وبغداد، وقد يكون دَرَسَ أو دَرَسَ في جيلان وأطلق عليه « الجيلي » كما هو الحال بالنسبة لكثيرين؛ ومنهم: صاحبنا الفخر الذي ينسب إلى بلدان ثلاثة، فهو « رازي »، و « هروي » و « طبرستاني »، فقد يكون صاحبنا اشتهر بالواسطي والبغدادي، ولم يشتهر بالجيلي إلا في الفترة التي درس فيها لنحو الرازي والسهرودي، ثم نُسبت هذه النسبة أو أُهملت.

وعلى هذا فيبقى للمجد الجيلي - على الوجه الراجح - عندي هو: مجد الدين يحيى بن الربيع الواسطي، إلى أن أعثر أو يعثر سواي على ما ينفي هذا أو يؤكد.

شيوخ نشك في تلمذه عليهم:

هؤلاء الثلاثة المتقدمون: والده الإمام ضياء الدين، والكمال التسماني، والمجد الجيلي هم الأساتذة الذين اتفقت المصادر على تلمذه عليهم، وهناك أربعة آخرون ورد ذكرهم في روايات منفردة؟ وهم:

١ - والد قاضي مرند^(٢). وهذا ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء (٢٣ / ٢)، وعنه نقله الذهبي في تاريخ الإسلام (٦٤٢ / ٢٧)؛ حيث قال ابن أبي أصيبعة:

- والبداءة (٥٣ / ١٣) وقال عنه: الواسطي البغدادي؛ وطبقات المفسرين للسيوطي (ص ٤٣).

(١) راجع: هامش رقم (٢)، (ص ٣١) من هذه الرسالة.

(٢) هي من مشاهير مدن أذربيجان بينها وبين تيريز مسيرة يومين. راجع: المارصد (١٦٦١ / ٣)، والمعجم (٢٩ / ٨).

« حدثني محيي الدين - قاضي مرند - قال: لما كان الشيخ فخر الدين بمرند، أقام بالمدرسة التي كان أبي مدرستها، وكان يشتغل عنده بالفقه، ثم اشتغل بعد ذلك لنفسه بالعلوم الحكمية حتى لم يوجد في زمانه أحد يضاهيه. واجتمعت به أيضًا بهمدان^(١)، وهرأة واشتغلت عليه ».

٢ - ذكر الصفدي في الوافي (٤٩ / ٤)، أنه قرأ بعد والده على الكمال السمناني، وقيل على الطيبي صاحب « الخاتر في علم الروحاني »، ولم ينسب هذا القول ولم نجده في مراجع أخرى، كما لم نعثر للطيبي هذا على ترجمة - فيما اطلعنا عليه - وأما كتاب الخاتر فقد قال صاحب كشف الظنون ما نصه: « الخاتر للعون الناجز مختصر في التسخير والاستخدام للشيخ عبد الخالق بن أبي القاسم المصري... »^(٢).

٣ - انفرد الخوانساري بذكر شيخ شيعي للفخر أسماء: « محمود بن علي بن الحسن الجهمي الرازي » وقال: إنه من متكلمي الشيعة^(٣).

٤ - ذكر طاش كبرى زاده أن الإمام أخذ التصوف عن شيخ من الصوفية اسمه: « نجم الدين الكبرى » كان منقطعًا في زاوية « هراة » على عهد الفخر^(٤).

ويبدو أن قصة هذا الشيخ قد وصلت ابن تيمية قبل وصولها لطاش كبرى بكثير، ولكنه ذكر القصة بشكل مخالف لما أورده؛ فهو يقول: قال الشيخ الملقب بالكبرى للرازي ورفيقه - ولم نعلم من هو الرفيق - وقد قال له: يا شيخ بلغنا أنك تعلم علم اليقين فقال: نعم. فقالا: كيف تعلم ونحن نتناظر من زمان طويل كلما ذكرت شيئًا أفسدته وكلما ذكرت شيئًا أفسدته؟ فقال: هو، واردات ترد على النفوس تعجز النفوس عن ردها، فجعلنا يعجبان

(١) بالتحريك والذال المحجمة آخرها نون، وهي من أهم مدن فارس. راجع: المعجم (٤٧١ / ٨).

(٢) راجع: الكشف (٦٦٩ / ١).

(٣) راجع: روضات الجنات (ص ٧٢٩). وقد ذكر الخوانساري للجهمي المذكور ترجمة قال فيها: « له تصانيف في مذهب الشيعة: التعليق الكبير، والتبيين والتفقيح في التحسين والتفسيح. » وقال: إنه يلقب: « بسديد الدين »، كما ضبط الجهمي « بكسرتين مشددتين من غير أن يذكر وجه ذلك. راجع (ص ٦٦٤).

(٤) راجع: مفتاح السعادة (١٢٢ / ٦).

وأما الكبرى فهو الشيخ الصوفي أبو الجناح أحمد بن عمر بن محمد، صوفي، محدث وشافعي ومفسر فائق التتار واستشهد على أيديهم سنة (٦١٨ هـ). راجع: ترجمته في العبر (٧٣ / ٥)، ومرآة الجنان (٤٠ / ٤)، وطبقات ابن السبكي (١١ / ٥). ولم يقل أحد من هؤلاء المؤرخين إنه كان من المعتزلة؛ فمن أين جاء شيخ الإسلام بهذه الدعوى؟

من ذلك فعلمه الشيخ وأدبه حتى حصلت له. وكان من المعتزلة النفاة^(١).

هؤلاء الأربعة هم جملة الذين ذكروا كمشايع للفخر في روايات منفردة من العسير التسليم بها:

فحكاية قاضي مرند، قد تكون من قبيل الرغبة في نسبة الفضل إلى أبيه في تعليم الفخر، ونسبة الفضل إلى نفسه في التعلم عليه، ويعضد هذا الاحتمال أن الرجل وأباه مجهولان.

وحكاية الصفدي انفرادها عن أصوله، وحكاها بصيغة التضعيف، وأمّا اخوانساري فلعله أراد بذلك أن ينسب الفضل لواحد من رجال الطائفة في تعليم الفخر الكلام. وما اطلعت عليه من تناقضاته لا يشجع على الأخذ بما يرويه لو عضد من قبل سواء، فكيف وهو في هذا منفرد؟ يضاف إلى هذا أن الفخر قال عن الحمصي المذكور - في تفسيره لآية المباهلة -: * كان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي، وكان معلم الإثني عشرية، وكان يزعم أن علياً عليه السلام أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ثم ذكر دليله على دعواه الباطلة، وفي معرض رده عليه قال: ... انعقد الإجماع قبل ظهور * هذا الإنسان * (يعني: الحمصي) على أن النبي أفضل من ليس بنبي... إلخ *^(٢).

فلو كان شيخاً له لما تكلم عنه بهذه اللهجة.

وأما رواية ابن تيمية وطاش كبرى زاده؛ فالأول أراد بها ذم الفخر ونقلها عن غير تثبت، والثاني أراد بها الثناء عليه ولم يثبت في النقل أيضاً، وابن السبكي لم يذكر أكثر من أنه اجتمع بالفخر^(٣)، أما أن الفخر أخذ عليه شيئاً فهذا ما لم يشر إليه.

وعلى هذا فيكون أساتذة الفخر الذين استطعنا التثبت من دراسته عليهم ثلاثة فقط: والده، والكمال السمناني، والمجد الجيلي.

ولعل ذكاء الحارق، وشغفه بالقراءة في الكتب، والفترة المهمة من حياته التي قضاه في حجر والده قد أغنته عن كثرة الأساتذة. وإن كنا لا نجد مندوحة من اللقاء ببعض اللوم على الذين ترجعوا له من المتقدمين - رحمهم الله - فهم قد أفاضوا بذكر اليسير والخطير

(١) راجع: رسالته: الفرقان - مجموعة الرسائل الكبرى (١/ ٥٢).

(٢) راجع: التفسير (٢٦/ ٤٧٢) ط الحبرية.

(٣) راجع: طبقاته (٥/ ١٢).

من مناقبه ومثالبه، ولكنهم لم يحاولوا إعطاء صورة كاملة عن مشايخه مع أهمية ذلك القصوى في بيان العوامل المؤثرة في تكوينه العلمي والثقافي.



الفصل الثاني

في تلاميذه

اتفقت مصادر ترجمة الفخر على أنه كان مطمح طلاب العلوم المختلفة في مختلف أرجاء دنيا الإسلام، وأنهم كانوا يقصدونه من جميع البلاد لتعلم مختلف العلوم فيجد كل منهم عنده ما يطلبه، وأن ما لا يقل عن ثلاثمائة تلميذ كانوا ملازمين له في الحل والترحال.

وكنا نود - لو أسعفتنا هذه المصادر بأسماء عدد وافر من تلاميذه - أن نختار البارزين منهم في كل علم، ونترجم لهم، ونبين أثرهم في الحركة العلمية في عصره ليتبين أثر الرازي بشكل أوضح وأجلى، ولكن ما أشرنا إليه في تمهيد هذا الباب، إضافة إلى عوامل أخرى حالت بيننا وبين تنفيذ ذلك. وكل ما استطعنا جمعه - من أسماء تلاميذه من مختلف المصادر القديمة والحديثة - ستة وعشرون تلميذاً.

وها نحن أولاء نذكرهم مع ترجمة من عشنا على ترجمة له منهم، وذكر من أشار إلى تتلمذه على الفخر.

كبار تلاميذه ومشاهيرهم:

كان الفخر إذا جلس للتدريس أدنى إليه كبار تلاميذه؛ وهم: القطب المصري، وزين الدين الكشي، وشهاب الدين النيسابوري وأمثالهم، ثم يليهم بقية التلاميذ، وسائر الخلق على قدر مراتبهم^(١).

١ - أمّا القطب المصري فهو: إبراهيم بن علي بن حمد السلمي، مغربي الأصل، قصد بلاد فارس للتلمذ على الفخر، وكان من أشد تلاميذه إعجاباً به، وله مصنفات حكمية، وكان يفضل شيخه الفخر على ابن سينا؛ وفي ذلك يقول: «فهذا مما تنخل من كلام الإمامين العظيمين الإمام المتقدم - يعني ابن سينا - والإمام المتأخر عنه زماناً - يعني شيخه الرازي -، الراجع عليه علماً وعملاً واعتقاداً ومذهباً». وقد استشهد القطب في نيسابور سنة (٦١٨هـ).

(١) راجع: عيون الأنباء (٢/ ١٢).

له ترجمة في عيون الأنباء (٣٠ / ٢)، وطبقات ابن السبكي (٤٨ / ٥)، وحسن المحاضرة (٥٤٠ / ١) .

٢ - وأما زين الدين الكشي فلعلة: عبد الرحمن بن محمد، صاحب « حقائق الحقائق في المنطق والطبيعي والإلهي » . فراجع: كشف الظنون (١ / ٦٣٣) .

٣ - وأما شهاب الدين النيسابوري فقد ورد ذكره في عيون الأنباء (٢٣ / ٢)، ونزهة الأرواح (ص ٢٩٢) . ولم نستطع العثور على ترجمة له .

٤ - ومن كبار تلامذته: « الليثي » ذكره الشهرزوري في نزهة الأرواح (ص ٢٩٢)، ولم نستطع معرفته .

٥ - ومن كبار تلامذته: محمد بن الحسين، تاج الدين الأرموي، صاحب الحاصل - مختصر المحصول - ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (٦٤٥ / ٢٧)، وقال أنه توفي قبل وقعة بغداد .

له ترجمة في الوافي (٣٥٣ / ٢)، جاء فيها: محمد بن حسن، وقيل: ابن الحسين، وقال عنه صاحب كتاب التحصيل، توفي عن نيف وثمانين سنة، في سنة (٦٥٣ هـ)، وقيل: توفي سنة (٦٥٥ هـ) . وانظر: طبقات الأسنوي (٤٥١ / ١) . قلت: والأصح ما ذكره الذهبي، حيث إن صاحب التحصيل هو: سراج الدين الأرموي المتوفى سنة (٦٨٢ هـ)، وله ترجمة في طبقات ابن السبكي (١٥٥ / ٥) .

٦ - ومنهم: قاضي القضاة شمس الدين الخويي، أحمد بن الخليل بن سعادة، من مدينة خوي بضم الحاء المعجمة وفتح الواو وتشديد الياء، من مدن أذربيجان وهو الذي ذكروا أنه أتم تفسير الفخر - وسيأتي حديثنا عن ذلك - توفي في الشام سنة (٦٣٧ هـ) .

له ترجمة في عيون الأنباء (١٧١ / ٢)، والعبر (١٥٢ / ٥)، وطبقات ابن السبكي (٨ / ٥)، والبداية (١٥٥ / ١٣)، والنجوم (٣١٦ / ٦)، ومرآة الزمان (٧٣٠ / ٨)، والذيل (ص ١٦٩)، والشذرات (١٨٣ / ٥) قال: « ودخل خراسان وقرأ بها الأصول على القطب المصري، صاحب الإمام فخر الدين »؛ وهذه العبارة قد تشعر بأنه تلميذ القطب وليس تلميذ الفخر والجمع بينها وبين أقوال المؤرخين الذين اعتبروه من تلاميذ الفخر - أن نقول: أنه تتلمذ على الفخر وبعد وفاته أكمل تعلمه على يد القطب أكبر تلامذة الإمام . هذا وقد تكررت ترجمته في الشذرات خطأ في وفيات سنة (٦٩٣ هـ)، (٤٢٣ / ٥) .

٧ - ومنهم أفضل الدين الخونجي، محمد بن ناماور بن عبد الملك، المتوفى سنة (٦٤٦هـ). له ترجمة في طبقات ابن السبكي (٥/ ٤٣)، والعبر (٥/ ١٩١)، والذيل (ص ١٨٢)، والشذرات (٥/ ٢٣٦)، وعيون الأنباء (٢/ ١٢٠)، وحسن المحاضرة (١/ ٥٤١)، ومنها وفاته (٦٤٢هـ)، ذكره ابن العبري كواحد من تلامذة الفخر (ص ٤٤٥)، والشهرزوري (٢٩٥أ).

٨ - ومنهم: شمس الدين الخسر وشاهي، عبد الحميد بن عيسى، المتوفى سنة (٦٥٢هـ) كان شديد التعظيم لشيوخه الفخر، جاءه بعض فقهاء العجم بكتاب دقيق الخط، فلما نظر فيه صار يقبله ويضعه على رأسه، وحين سُئل عن ذلك قال: هذا خط شيخنا الإمام فخر الدين، ومن تتلمذ على عبد الحميد هذا الملك الناصر داود. راجع: تاريخ أبي الفداء (٣/ ١٩٥). له ترجمة طويلة في عيون الأنباء (٢/ ١٧٣)، وطبقات ابن السبكي (٥/ ٦٠)، والبداية (١٣/ ١٨٥)، والذيل (ص ١٨٨)، والشذرات (٥/ ٢٥٥)، والعبر (ص ٢١١)، والنجوم (٧/ ٣٢)، ومراة الزمان (٨/ ٧٩٣).

٩ - ومنهم: زكي بن الحسن بن عمر البيلقاني، من بيلقان بفتح الباء وسكون الباء وفتح اللام آخرها نون: مدينة بالدربند. فقيه، متكلم، أصولي، توفي سنة (٦٧٦هـ). له ترجمة في طبقات ابن السبكي (٥/ ٥٦)، والعبر (٥/ ٣١٠)، والشذرات (٥/ ٣٥٢)، وفي مراة الجنان بزيادة على غيره (٤/ ١٨٧).

١٠ - ومن تلامذته: ابن عنين الشاعر، محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين، كوفي الأصل، دمشقي المولد، شاعر مشهور توفي سنة (٦٣٠هـ) قال مقدم ديوانه السيد خليل مردم: لم يسعد ببلاد المشرق إلا بلقاء الفخر الرازي، فهو الذي عرف قدره، وأعقد عليه العطايا، فاستفاد الشاعر من علمه وهيبته، وأخذ عنه بالري، وحضر دروسه بها وبغيرها من البلدان. راجع: مقدمة الديوان (ص ٨)، وراجع ما يزيد هذا في ديوانه الصفحات (ص ٩٤ - ١٠٠).

١١ - ومنهم: شهاب الدين السهروردي، مرت ترجمته، وقد ذكر تتلمذه على الفخر الدكتور رضا زاده شفيق في كتابه: «تاريخ الأدب الفارسي»، حيث قال في (ص ١٢٧): «واستفاد من دروس فخر الدين الرازي».

- ١٢ - ومنهم: مفضل بن عمر، أثير الدين الأبهري، المتوفى سنة (٦٦٣هـ)، من علماء الحكمة والطبيعة، ذكره كواحد من تلامذة الفخر: ابن العربي في تاريخه (ص ٤٤٥)، والخوانساري (٧٠٢هـ)، وذكر الزركلي من مؤلفاته «هداية الحكمة» وهو مطبوع مع شروح كثيرة، و«مختصر في علم الهيئة»، و«رسالة الإسطرلاب». راجع: الأعلام (١٠٦٣/٣).
- ١٣ - ومنهم أبو بكر بن محمد، شرف الدين الهروي، ذكره الخوانساري، وقال عنه: من أجلاء الأشاعرة. روضات الجنات (ص ٧٠٢).
- ١٤ - ومنهم محمد بن رضوان، ذكره صاحب كشف الظنون (١١٨٦/٢).
- ١٥ - القطب الطوغاني، عنه يروي المؤرخون كلمة الفخر المشهورة: «يا سلطان العالم لا سلطانك يبقى، ولا تلبس الرازي يبقى». راجع: تاريخ الإسلام (٦٤٩/٢٧).
- ١٦ - بديع الدين البندهي نقل عنه ابن أبي أصيبعة ما يشير إلى تلمذه عليه «الفخر» راجع: عيون الأنباء (٢٨/٢). ولم أستطع أن أترجم له.
- ١٧ - أبو عبد الله الحسين الواسطي نقل عنه ما يشير إلى تلمذه عليه. راجع: التوفيات (١/٦٧٨)، والوفائي (٤/٢٥٧).
- ١٨ - محمد بن محمود، تاج الدين الزوزني. ذكره الخوانساري في روضاته (ص ٧٠٢).
- ١٩ - محمد بن مسعود، أبو يعلى الهروي، نحوي ولغوي. راجع: المصدر السابق.
- ٢٠ - إبراهيم بن أبي بكر بن علي الأصفهاني، الذي أملى عليه وصيته، راجع عيون الأنباء (٢٦/٢).
- ٢١ - محيي الدين قاضي مرند. ذكره ابن أبي أصيبعة (٢٣/٢)، وعنه أخذه الذهبي في تاريخ الإسلام (٦٤٦/٢٧).
- ٢٢ - السلطان محمد بن السلطان خوارزمشاه. تقدمت ترجمته وحديث تلمذه عليه.
- ٢٣ - ولده محمد الذي توفي في حياته، وكان قد أهدى إليه بعض مصنفاته، وتوجع عليه كثيراً بعد وفاته. راجع: الفوائد البهية (ص ١٩١)، والتفسير (١٠٠/٥)، ومواضع أخرى.
- ٢٤ - ولده الصغير محمد الذي ولد بعد وفاة أخيه فساه أبوه باسمه، وكنيته أبو بكر، ولقب بعد وفاة أبيه بـ «فخر الدين»، وكان قبلها يلقب بـ «شمس الدين» وهو الذي أوصى الفخر بالعتاية بتربيته، وكان يقول: «إن عاش ابني هذا فإنه سيكون أعلم مني».

وقيل: إنه تولى التدريس في مدرسته بعده. لم نتسكن من معرفة تاريخ ولادته كما لم نستطع معرفة تاريخ وفاته، وقد أشار ابن أبي أصيبعة إلى نجاته مع أخيه - ضياء الدين - وأختها من زيادة النار لأهل هراة بأمان أخذه لهم زوج أختهم علاء الملك العلوي. راجع: عيون الأنباء (٢٦/٢)، ونزهة الأرواح (١٢٩٤)، و (ص ٣٦ - ٣٨) من هذه الرسالة.

٢٥ - وذكر القرافي « ضياء الدين حسين » ونقل عن الحسروشاهي أن ضياء الدين المذكور هو الذي أكمل « المنتخب »، وإن الفخر كتب منه كراستين فقط.

ولم أستطع الترجمة له. راجع: نفائس القرافي (١٧/١).

٢٦ - وذكر الأصفهاني « تاج الدين عبد الجبار الجيلي » ولم أعثر له على ترجمة، فراجع: الكاشف (٨٩/٢).

هذه جملة الأسماء التي استطعنا العثور عليها من مئات التلاميذ الذين كانوا يتلقون العلوم على أبي عبد الله. وهي على قلتها تشير إلى أثر الفخر الكبير في عصره، وتنبه على ما خفي من فضله.

الباب الثالث

في

مصنفات الرازي

وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

الفصل الأول: في ذكر المصنفات المنسوبة له مرتبة
على حروف المعجم.

الفصل الثاني: في تحقيق نسبة كل كتاب مقسمة على
العلوم.

الفصل الثالث: في مصنفاته الأصولية.





تمهيد

حظيت مؤلفات أبي عبد الله من طلاب العلوم المختلفة باهتمام بالغ لم تحظ به كتب معاصريه، ولا من سبقوه، ولا من أتوا بعده.

فلقد أقبل الناس عليها واشتغلوا بها، ورفضوا كتب الأقدمين^(١). ولا غرابة في ذلك؛ فالرجل علامة وقته في كل العلوم^(٢). وعلومه خلاصة ما أنتجته قرائح سابقه مضافاً إليها من عبقرية الفذة. وفكره النير، وذهنه المتقد ذكاء الشيء الكثير.

وأبو عبد الله مع تقديره لجهود سابقه، كان لا يأخذ كل ما جاء عن سابقه مأخذ التسليم، بل كان ينظر، ويوازن، ويتقّد، ويتبع الثغرات في مصنفات من سبقه من الأئمة في سائر العلوم، ويحاول تجريد كتبه عنها^(٣).

ولذا؛ فقد اتخذ لنفسه في التأليف أسلوباً يختلف عن أسلوب سابقه، وهو أسلوب لم يسبق إليه^(٤)، «فهو يذكر المسألة، ويفتح باب تقسيمها، وقسمة فروع ذلك التقسيم، ويستدل بأدلة السبر والتقسيم، فلا يشد فيه عن تلك المسألة فرع له بها علاقة، فانضبطت له القواعد، وانحصرت المسائل»^(٥).

وقد بلغ من إقبال الناس على كتبه: أن الكتاب الواحد كان يباع أحياناً بخمسمائة أو بألف دينار ذهبي^(٦).

وبقدر ما كان الفخر - رحمه الله - شغوقاً بالدراسة والتعليم كان شغوقاً بالتأليف حتى كتب في كل علم تعلمه كتاباً أو أكثر^(٧)، وكلها مراجع في العلوم التي كتبت فيها.

(١) راجع: الوفيات (٦٧٦/١). (٢) راجع: عيون الأنباء (٢٦/٢).

(٣) راجع نقده لكتابي الغزالي «شفاء الغليل» و«المستصفى» في مناظراته (ص ٤٣) وما بعدها، ونقده لكتاب الشهورستاني «المثل والنحل» في نفس المرجع (ص ٣٩) وما بعدها، ونقده لكتابي عبد الفاهر الجرجاني «أسرار البلاغة»، و«دلائل الإعجاز» في كتابه نهاية الإيجاز (ص ٤).

(٤) راجع: تاريخ الإسلام (٦٤٤/٢٧).

(٥) راجع: الوافي (٢٤٩/٤).

(٦) راجع: جامع التواريخ (٦ ج ١ ص ١٥٩).

(٧) راجع: وصيته.

ولقد أخذت كتبه في جميع المراجع التي ترجمت له مكانًا بارزًا حتى لم يكد يخلو كتاب من الكتب التي ترجمت له من ذكر مجموعة منها.

وكان المؤرخون ما بين مقل ومكثر، فمنهم من ذهب إلى أنها مائتا مصنف أو تزيد^(١)، ومنهم من اكتفى بذكر مجموعة منها مع الإشارة إلى كثرتها.

ولم يستقرئ أحد من المؤرخين القدماء هذه الكتب، وإنما ذكر كل منهم قسمًا منها؛ فقد ذكر ابن أبي أصيبعة منها (٦٨)^(٢)، وذكر القفطي (٦٠)^(٣)، وذكر ابن خلكان (٣٠)^(٤)، وذكر ابن السبكي (٢٣)^(٥)، وذكر الفخر نفسه (٩) تسعة من مؤلفاته في علم الكلام في كتابه: «اعتقادات الفرق»^(٦).

والمؤرخون الذين أخذوا عن المذكورين، كل منهم ذكر جملة من هذه الكتب من غير إشارة إلى مواضعها إلا في القليل النادر^(٧).

حتى جاء محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري، المتوفى سنة (٧٤٩هـ) فكتب مختصره المسمى: «إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد» وذكر فيه (٦٠) علمًا، وذكر من التصانيف في هذه العلوم (٤١٠) مصنف أدرج في جملتها مجموعة من مؤلفات الفخر بحسب العلوم التي ألفها فيها.

ثم جاء طاش كبرى زاده المتوفى سنة (٩٦٨هـ) فحذا حذو صاحب «إرشاد القاصد» وبشكل أوسع بكثير. وقد ذكر من مؤلفات صاحبنا مجموعة زاد فيها كثيرًا على صاحب «إرشاد القاصد».

وتتابع بعده الكاتبون، فكتب كتاب «كشف الظنون» وذيله «إيضاح المكنون» وورد فيها لصاحبنا ما يقرب من ضعف ما أورده طاش كبرى زاده، كما كتب البغدادى كتابه:

(١) راجع: البداية (٥٥/١٣)، والجامع المختصر (٣٠٧/٩)، وعقد الجمان (ج ١٧/٢/٢٣٢).

(٢) راجع: عيون الأنباء (٣٠، ٢٩/٢).

(٣) راجع: أخبار الحكماء (ص ١٩٢، ١٩١).

(٤) راجع: الوفيات (٦٧٦/١).

(٥) راجع: الطبقات (٣٥/٥).

(٦) راجع: اعتقادات الفرق.

(٧) كالذي فعله ابن خلكان.

« هدية العارفين »؛ فذكر ما ذكره حاجي خليفة وزاد عليها، وكتب بروكلمان كتابه « تاريخ الأدب العربي » وذكر من مؤلفات أبي عبد الله مجموعة كبيرة في مختلف العلوم. وأول محاولة حديثة لاستقراء كتب الفخر - على ما نعلم - هي محاولة الدكتور علي سامي النشار الذي قام بتحقيق كتاب: « اعتقادات فرق المسلمين والمشركون » للفخر سنة (١٣٥٦هـ/١٩٣٧م).

وذكر في مقدمته له ما استطاع الوصول إليه من مصنفاته، مصنفة بحسب العلوم، فكان ما وصل إليه (٩٨) مؤلفاً.

وظاهر أن الدكتور النشار قد اعتمد على المصادر الأولى التي ترجمت للفخر؛ مثل « الوفيات » و « أخبار الحكماء » و « عيون الأنباء » و « طبقات ابن السبكي ». ولا شك أنه بهذا مهدّ السبيل لدراسة مؤلفات الفخر، ولكنه وقد تصدى لهذا كان عليه أن يبين لنا المطبوع منها من المخطوط، والمفقود من الموجود، وصحيح النسبة إليه من المدسوس عليه أو المنسوب خطأ، مع ذكر المصدر الذي استقى منه عنوان الكتاب لكي يتمكن من يأتي بعده من البناء على ما بدأه، بدل أن يبدأ كما بدأ هو. وهذا الذي نقوله لا يقلل من أهمية ما فعله.

ثم جاء بعده الأستاذ جورج شحاته فنوأتى فكلف بإعداد بحث موجز عن فخر الدين الرازي لندائرة المعارف المختصرة، فكتبه ونشرته دار المعارف سنة (١٩٦٢م) مع مجموعة من الدراسات وضع لها عنوان « إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين ».

وقد حاول فنوأتى تلافي ما يؤخذ على محاولة الدكتور النشار، وتخرج من تقسيم مصنفات الفخر بحسب العلوم؛ لأن ذلك - عنده - يقتضي الوقوف على تلك المصنفات نفسها؛ لأن مجرد العنوان لا يدل دائماً على حقيقة محتوى المؤلف، ولذا فقد اختار تقسيمها بحسب الحروف الأبجدية^(١)، وقد قام باستخراج أسماء الكتب من المصادر التاريخية التي اعتمدها النشار عدا طبقات ابن السبكي فإنه لم يرجع إليها، ورجع إلى الوافي، كما ترجم ما ذكره بروكلمان، وأضاف إليه ما ذكره طاش كبرى زاده في ترجمته للفخر فقط، مغفلاً ما ذكره في مواضع أخرى.

ومع أن ما قام به قدم للبحث في مصنفات الفخر خدمة حسنة، إلا أن على جهده من الملحوظات ما لا بد من التنبيه عليه:

(١) راجع: إلى طه حسين (ص ٢٠٢).

١ - لم يحاول التحقق مما ذكره بروكلمان، بل ترجم ما ذكره، وتابعه عليه وسيأتي أن بروكلمان وقع بعدة أخطاء، ونسب إلى الفخر كثيرًا من الكتب التي ليست له؛ متابعة للفيهارس التي كان يعتمد عليها.

٢ - اعتبر قول الصفدي في الوافي (٢٥٥/٤): «قطعة من شرح الوجيز» تفسيرًا لقوله قبله -: «المحرر في النحو»؛ وذلك لعدم وجود عاطف بينهما، مع أن الصفدي لم يستعمل حرف العطف في كل ما ذكر للرازي من مصنفات. كما أن «الوجيز» كتاب فقه مشهور لحجة الإسلام الغزالي و«المحرر» في النحو! فكيف يكون «شرح الوجيز» في النحو؟!.

٣ - ذكر كتاب «إبطال القياس» مرتين، وأعطاه رقمين. ولعل الذي أوقعه في هذا الغلط أن عنوان الكتاب ذكر مرة بدون حرف جر، وذكر مرة أخرى مع حرف «في» وهو كتاب واحد.

٤ - ذكر كتاب «تأسيس التقديس» بهذا الاسم مرة، وذكره مرة أخرى باسم «أساس التقديس» وهو كتاب واحد. ونبه على ذلك بوضع علامة (=) ولكنه أعطى الكتاب رقمين على كل حال.

٥ - ذكر كتاب «أسرار التنزيل» وأعطاه رقمًا خاصًا به (٩)، وذكر كتاب «تفسير القرآن الصغير» وأعطاه رقمًا آخر (٣٠) وهما كتاب واحد.

وهكذا فعل بكتب «اعتقادات الفرق» و«الملل والنحل»، و«التفسير» و«التفسير الكبير»، و«تفسير سورة البقرة» و«سورة البقرة»^(١)، و«الأربعين في أصول الدين»، و«المباحث الأربعين في أصول الدين» و«الخمسين في أصول الدين» و«المسائل الخمسين في أصول الكلام».

وحسنًا فعل بتجنبه تقسيم الكتب على العلوم بحسب العناوين، فإنه لو فعل ذلك لأضاع من قيمة بحثه الكثير.

وبحثه على كل حال كثير النفع لدارسي آثار الفخر لا تقلل من فائدته هذه الهنات التي لا يصعب اكتشافها.

(١) ولعلها من الدرس المقصود؛ إذ لا يمكن أن يعرف أن سورة البقرة من القرآن، وأن القرآن كلام الله أن ينسب للرازي أو سواه «سورة البقرة». ولا نلظن الأب فتواتي يجهل هذا.

ثم نلاه بعد ذلك باحث دَرَسَ « فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية »
ونحت هذا العنوان أعد رسالته لنيل درجة الماجستير من جامعة القاهرة هو محمد صالح
الزركان.

وقد كتب الباحث المذكور بابًا خاصًا عن حياة الفخر وآثاره، أجاد الرجل فيه
وأحسن - فيما يتعلق بحياة الفخر وآثاره - وبذل جهدًا واضحًا في تتبع آثار الفخر
ومصنفاته في مختلف العلوم، وفي سائر ما وقع تحت يديه من مراجع.

ورغبة منه في الإتيان بجديد فقد وضع لنفسه منهاجًا خاصًا؛ فقسم مصنفات الفخر
التي استطاع معرفتها من المصادر إلى مجموعات ثلاث: المجموعة الأولى أدرج فيها الكتب
التي ثبتت صحة نسبتها إلى الفخر، وجمع في المجموعة الثانية الكتب التي شك في صحة
نسبتها إليه، وفي المجموعة الثالثة أدرج الكتب التي اعتبرها منحوالة.

ومع تقديرى البالغ لجهده - في هذا السبيل - واعترافى بأن جهده أول جهد متكامل
لخصر مؤلفات الفخر، فإن لنا على جهده الملحوظات التالية:

١ - جعل إحالات الفخر في كتبه المشهورة على الكتب الأخرى دليلًا على ثبوت
صحة نسبة الكتاب إلى الفخر لا يقبل الشك، من غير أن يضع مقياسًا دقيقًا لصحة نسبة
الكتاب المشهور نفسه إلى الفخر مكتفيًا باشتهاره بأنه له.

وهذا ما لا أوافق عليه لسببين:

أولهما: أن من المعلوم أن المؤلف لا يحيل إلى كتبه الأخرى إلا عند الحاجة؛ كأن يتطرق
إلى موضوع معين يوجز فيه، ويحيل من يريد الاستقصاء على كتاب آخر له، يكون
قد استقصى الموضوع فيه، وهذه الإحالات مهما كثرت فهي قليلة لا تشمل كل ما ألفه
المصنف. فلا بد وأن يكون لدينا مقياس أوسع من هذا لإثبات صحة نسبة مصنفات
مصنّف ما إليه.

الثاني: أن هذه الإحالات يقال عنها ما يقال عن نص المؤلف من تعرضه لتصرفات
التساخ. ولدينا - على سبيل المثال - في « المحصول » إحالة على كتاب في علم الكلام اختلف
فيها شارحا المحصول - القرافي والأصبهاني - على جلالة قدرهما، وقرب عهدهما من
المصنف؛ فاعتبرها الأول إحالة صحيحة، وبنى عليها أن المصنف له كتاب مستقل يحمل اسم
« المحصول في علم الكلام » أو أن « المحصول » نفسه يتألف من قسمين: قسم في الكلام

والثاني في أصول الفقه^(١). بينها جزم الأصفهاني بأن هذه الإحالة قد تصرف بها النسخ^(٢). وعلى هذا فيمكن اعتبار إحالة المصنف في كتاب ثابت النسبة له على كتاب آخر شيئاً يستأنس به، ويقوي الظن بصحة نسبة المحال عليه إليه. أما أن تعتبر دليلاً قاطعاً فلا.

٢ - قبل أن يضع معالم ثابتة لما سماه بأسلوب الرازي وطريقته في تناول البحث، جعل من تذوقه الخاص لهذا الأسلوب دليلاً آخر يحكم به على بعض الكتب بصحة النسبة وعلى البعض الآخر بانتفائها^(٣).

وسواء صادف الصواب أو الخطأ في هذا فإنني أرى في «الأسلوب» أمراً غير منضبط، من العسير أن نتخذ منه مقياساً لصحة نسبة الكتاب أو نفيه.

٣ - لا نوافقه على افتراض الدقة التامة في كتب قدامى المؤرخين وعدمها في كتب المحدثين؛ فإن ابن أبي أصيبعة متقدم، وهو تلميذ أحد تلامذة الفخر - الخويي - ومع ذلك فقد ادعى أن شيخه الخويي أكمل تفسير الفخر مما حمل الكثيرون ممن جاءوا بعده على الشك في إكمال الفخر لتفسيره وقد ثبت أن الرجل قد أتم تفسيره^(٤)، ومن قال بذلك الزركان نفسه^(٥).

٤ - لم يرجع إلى كتاب «إرشاد القاصد» مع أنه مأخذ مفتاح السعادة ومطبوع مرتين في مصر وفي الشام.

٥ - جزم بوجود كتاب للفخر في علم الكلام بعنوان: «المحصول» بناء على إشارة وردت في «المحصول» - في أصول الفقه - والراجع أن المراد «المحصل» وهم بذلك النسخ^(٦).

٦ - لم يكن دقيقاً في بعض نقوله فهو ينقل أن ابن أبي أصيبعة قال بأن التفسير الكبير بشاية مجلدات، انظر: رسالته (ص ٦٣)، بينها ذكر ابن أبي أصيبعة أنه باثني عشرة مجلدة^(٧).

(١) راجع: الففانس (١٤٤/٢).

(٢) راجع: الكاشف (٣/٧١ ب).

(٣) راجع: ما قاله عن كتاب: «الورد» رقم (١٤٧).

(٤) راجع: فخر الدين الرازي حياته وآثاره (ص ١٦١ - ٨٨٨)، والرازي مفسراً رسالة جامعية (ص ٦٩ - ٨١)، ورسالتنا هذه (ص ٢٧ - ١١٣).

(٥) راجع: رسالته (ص ٥٦).

(٦) راجع: رسالته (ص ٦٥).

(٧) انظر: عيون الأنباء (٢٩/٢).

ومهما يكن شأن بحثه فهو أهم ما ظهر عن مصنفات الفخر إلى وقته.

هذا وقد ظهر بعد رسالة محمد صالح المذكور كتاب: « فخر الدين الرازي حياته وآثاره » بقلم الدكتور علي محمد حسن العماري، أصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

والكتاب مع فهرسه ومقدمته يقع في (٢١٨) صفحة، كان نصيب مصنفات الفخر منها أربع صفحات ونصف، سرد فيها من مصنفات الفخر (٨١) واحد وثمانين مؤلفاً على طريقة المتقدمين.

وكتابه هذا بصورة عامة لم يلتزم في كتابته طريقة منهجية، فهو كثيراً ما يحمل الإشارة إلى مصادره، كما لم يتتبع ما كتب عن الفخر قبله، ولم يشر إلى رسالة « الزركان » بصورة خاصة مع أني أرجح اطلاعه عليها. وقد يكون عذره في هذا أن الكتاب إنما كتب لعموم الناس ولم يكتب للدارسين خاصة.

وبعد كتب محسن عبد الحميد رسالة جامعية لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة - « الرازي مفسراً » - وقد توقعنا أن نجد عنده جديداً فيما يتعلق بمصنفات الفخر يضاف إلى ما قدمه سابقوه، ولكنني بعد الاطلاع على رسالته لاحظت ما يلي:

- ١ - قرأ ما كتبه قنواي وكرر ملحوظات محمد صالح الزركان عليها^(١).
 - ٢ - اطلع على ما كتبه الزركان وأبدى بعض الملحوظات عليه، ولكنه مع ذلك تابعه متابعة حرفية وتامة عند سرده للمصنفات، بحسب التوزيع الذي اختاره.
 - ٣ - لم يرجع إلى المراجع التي رجع إليها الزركان واكتفى بتقليده والنقل عنه؛ ولذلك وقع في نفس الأخطاء التي وقع فيها. وسنبينها عند ذكر المصنفات.
 - ٤ - حذف المعلومات التفصيلية التي ذكرها الزركان عن الكتب واكتفى بذكر العناوين وحدها.
 - ٥ - تحايل - كما فعل من قبله قنواي - لسد هذه الثغرة فكتب مجملًا، في بضعة أسطر عن بعض الكتب المطبوعة.
- ولما تقدم فإنه لم يصف شيئاً جديداً في هذا المجال.

(١) راجع: الرازي مفسراً (ص ٣٥ - ٣٨)

وعذره الذي ذكره للمناقشين عن هذا: أنه في رسائله للمهاجستير عوتب على الإطالة في مثل هذه الأمور التي لا تعتبر من صلب موضوع الرسالة، وليته إذ فعل هذا أشيع المواضيع الأساسية لرسائله بحثاً، ولكن صنيعة في تلك كصنيعة في هذه كما يلاحظه المطلع على الرسالة.

وسواء أكان هذا العذر مقبولاً أو غير مقبول فإننا نسجل عليه أنه لم يضيف شيئاً إلى ما قدمه سابقوه عن تراث الرازي؛ بل إنه اختزل مما قدموه كثيراً.

وإنني أرى أن دراسة تراث الرازي وما تركه من مصنفات إن لم تكن أهم جوانب حياته الجديرة بالدرس فهي من أهمها. فإن الرجل قد مضى إلى جوار ربه منذ قرون، وانقطع عمله، ولم يبق لنا منه إلا هذا التراث الخالد. كما أنني أرى أن تراث الرازي ونحوه من العلماء من أجل أن يوفى حقه كاملاً، لا بد من توفر عناية خاصة به تفردة وحده بالدراسة، ولا تشرك معه مباحث أخرى ليتمكن المدارس آنذاك من استقراء جميع مؤلفاته، وبيان الموجود منها، وأماكن وجوده، من المفقود، وصحيح النسبة من المنحول، وحصر هذه المصنفات وبيان المواضيع التي ألفت فيها وغير ذلك مما يتعلق بها.

ومع ذلك؛ فإن الميسور لا يسقط بالمعسور، وقد تيسر لي الاطلاع على ما كتبه من سبقني عن مؤلفات الفخر من قدماء ومحدثين فأحصيت ما ذكره الأقدمون ودوته، وأخذت ما كتبه المحدثون ورجعت إلى مصادرهم، كما راجعت فهارس المكتبات العربية والعالمية، واستفدت من إشارات الفخر في كتبه التي استطعت الاطلاع عليها، واستدركت ما أمكنتني استدراكه على من سبقني، وتلافيت ما أخذته كل منهم على الآخر وما أخذته أنا عليهم، وجمعت حصيلة جهدي هذا كله فرأيت أن أجعله في فصول ثلاثة:

الأول: أذكر فيه كل ما نسب إلى الفخر من مؤلفات في سائر المراجع التي اطلعت عليها؛ القديمة منها والحديثة، سواء أكانت نسبتها صحيحة أم خاطئة مرتبة على حروف المعجم.

والثاني: أتناول فيه هذه الكتب مقسمة على العلوم التي ألفت فيها مع ذكر كل ما توصلت إليه من معلومات عن كل كتاب، فأذكر من ذكره من المؤرخين، وأذكر أماكن وجوده بالنسبة للموجود، وأشير إلى المفقود. وأذكر المطبوع منها والمخطوط، وما هو مقتطع من كتاب آخر، وما أرجح أنه كتبه ثم ألحقه بكتاب أكبر منه. وقد أبدي بعض الشك في نسبة ما أجد ما يحملني على الشك في نسبه، وأنبه إلى خطأ من أخطأ في نسبة

كتاب أو عدمها إذا وجدت ما يحمل على ذلك.

والثالث: جعلته خاصاً بالحديث عن كتبه الأصولية.

هذا ولا أدعي أنني قد وفيت تراث الرازي حقه من البحث والتحقيق، فذلك - كما أشرت - يحتاج إلى بحث خاص، ولكنني أرجو أن أكون قد مهدت السبيل لمن يريد التصدي لدراسة تراث الرازي تمهيداً يوفر عليه الكثير من الجهد الذي احتملته أنا ومن سبقني في دراسة هذا التراث العظيم، وإلى أن تظهر مثل هذه الدراسة الخاصة، فإنني أرجو أن يكون في بحثي هذا ما يسد الفراغ.

والله الموفق

الفصل الأول



في ذكر المصنفات المنسوبة له مرتبة على حروف المعجم

- ١ - إبطال القياس - كتاب ناقص ومفقود.
- ٢ - أجوبة مسائل المسعودي - أشار إليه الطوسي.
- ٣ - أجوبة المسائل النجارية - أشار إليه الفخر، وتكرر بعنوان: «جوابات».
- ٤ - إحكام الأحكام - ذكرته بعض المصادر.
- ٥ - أحكام البسملة - مخطوط.
- ٦ - الأحكام العلائقية في الأعلام السماوية - تكرر بأسماء أخرى؛ منها الآتي:
- ٧ - الاختيارات العلائقية في الاختيارات السماوية - لعله نفس الكتاب السابق.
- ٨ - الأخلاقي - ذكره بعض المؤرخين، ولعله مفقود.
- ٩ - الأربعين في أصول الدين - مطبوع في حيدر آباد، وتكرر باسم آخر.
- ١٠ - إرشاد النظار إلى لطائف الأسرار - لعله من المفقودات.
- ١١ - أساس التقديس - مطبوع - مكرر باسم «تأسيس التقديس».
- ١٢ - أسئلة شريفة وأجوبة منيفة - هو اسم من أسماء كتاب لصاحب مختار الصحاح مطبوع ومخطوط^(١).
- ١٣ - أسئلة القرآن - هو اسم من أسماء كتاب لصاحب مختار الصحاح. مطبوع ومخطوط.
- ١٤ - الأسئلة المفهمة والأجوبة المفحمة - هو اسم من أسماء كتاب لصاحب مختار الصحاح. مطبوع ومخطوط.

(١) أسماء الكتب من رقم (١٢ - ١٦) هي أسماء مختلفة لكتاب محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي المطبوع على هامش إعراب القرآن لأبي البقاء بعنوان: «أنموذج جليل في بيان أسئلة وأجوبة من غرائب أي التنزيل، كما طبع مفرداً في مطبعة الحلبي ونسب خطأ للإمام الرازي في مراجع متعددة.

- ١٥ - الأسئلة والأجوبة - هو اسم من أسماء كتاب لصاحب مختار الصحاح. مطبوع ومخطوط.
- ١٦ - الأسئلة المفحمة والأجوبة المنهمة - نسبة للفخر جميل العظم.
- ١٧ - أسرار التنزيل وأنوار التأويل - مخطوط من كتبه الناقصة.
- ١٨ - أسرار القرآن - مخطوط ذكر بعناوين متقاربة ومتعددة.
- ١٩ - الإشارة في علم الكلام - مخطوط ورد باسمين آخرين لعل منهما الآتي:
- ٢٠ - الإشارات - لعله السابق.
- ٢١ - الإشاعة لأشراط الساعة - هو من تصانيف الطوسي، نسب إلى صاحبنا خطأ.
- ٢٢ - الأشربة - من كتب الطب، ويحتمل أن يكون فقهياً - مفقود.
- ٢٣ - اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين - مطبوع، وقد يكون له اسم آخر: «الملل والنحل».
- ٢٤ - الإعجاز - مطبوع باسم: «نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز» وباسم «نهاية الإيجاز».
- ٢٥ - آغاز وأنجام - فارسي، نسب إليه خطأ.
- ٢٦ - أقسام اللذات - مخطوط، لعله كتاب: «ذم الدنيا»، أو «ذم لذات الدنيا»، أو «اللذات المطلوبة في الدنيا».
- ٢٧ - أنس الحاضر وزاد المسافر - مخطوط.
- ٢٨ - أنموذج العلوم - منسوب إليه خطأ.
- ٢٩ - الأنوار القوامية في الأسرار الكلامية - مخطوط، نسب إليه خطأ.
- ٣٠ - الأنيس المفيد للطالب المستفيد - نسب إليه خطأ.
- ٣١ - أوصاف الأشراف.
- ٣٢ - الآيات البيّنات الكبير - لعله من المفقودات.
- ٣٣ - الآيات البيّنات الصغير - مخطوط.

- ٣٤ - بحر الأنساب - مخطوط.
- ٣٥ - البراهين البهائية - فارسي مترجم - مخطوط. ويسمى أيضاً بـ «الطريقة البهائية».

- ٣٥ - البرهان في قراءة القرآن.
- ٣٦ - البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان - لعله من كتبه المفقودة.
- ٣٧ - يست باب في معرفة الأسطرلاب - بالفارسية من مؤلفات الطوسي؛ نسب للفخر خطأ.

- ٣٨ - تاريخ الدول.
- ٣٩ - تأسيس التقديس - اسم ثان لـ «أساس التقديس» المتقدم ذكره.
- ٤٠ - التبيان في المعاني - ذكره بعض المتأخرين.
- ٤١ - التحبير في علم التعبير - ذكره بعض المتأخرين.
- ٤٢ - تحصيل الحق في تفصيل الفرق - لعله من كتبه المفقودة، وهو فيما يبدو كتاب مطول في «الملل والنحل».
- ٤٣ - تحقيق المصورات - انفرد بذكره أحد المتأخرين.
- ٤٤ - التشريح من الرأس إلى الحلق - من كتبه المفقودة.
- ٤٥ - تعجيز الفلاسفة - بالفارسية، ورد بعنوان آخر.
- ٤٦ - تفسير روح العجائب - من تصحيفات اسم: «مفاتيح الغيب».
- ٤٧ - تفسير سورة الإخلاص - لعله الموجود ضمن التفسير الكبير. وله نسخ خطية أيضًا.
- ٤٨ - تفسير سورة البقرة على الوجه العقلي لا النقل - مدرج في التفسير الكبير.
- ٤٩ - تفسير سورة الفاتحة - مطبوع مع التفسير الكبير ومنفردًا، وله نسخ خطية.
- ٥٠ - التفسير الكبير - أشهر من أن يعرف. ويسمى باسم: «مفاتيح الغيب»، و«فتوح الغيب» طبع عدة طبعات، وله نسخ خطية كثيرة.
- ٥١ - التفسير الواضح - نسب إليه خطأ.
- ٥٢ - التفسير الوسط - نسب إليه خطأ.
- ٥٣ - التفصيل - لعله تصحيف لكلمة «تفسير» أو تحصيل الحق المتقدم.
- ٥٤ - تنبيه الإشارة - مخطوط وورد باسم «الإشارة في علم الكلام» الذي تقدم.

٥٥ - تنزيل الأفكار - نسب إليه خطأ.

٥٦ - تنسوق نامہ - فارسي، للطوسي، ونسب للفخر خطأ.

٥٧ - تهجين تعجيز الفلاسفة - لعله نفس كتاب تعجيز الفلاسفة المتقدم.

٥٨ - تهذيب الدلائل وعيون المسائل - لعله مما فقد من مؤلفات الفخر.

٥٩ - جامع العلوم - دائرة معارف بالفارسية - مخطوط.

٦٠ - الجامع الكبير - لعله المراد بالطب الكبير.

٦١ - الجبر والقدر - وورد باسم «القضاء والقدر» لعله من المفقودات.

٦٢ - جداول بأرواح لكل درجة من درجات الحيوان وأثرها وأهميتها - مخطوط.

٦٣ - الجدل - مخطوط.

٦٤ - الجدل والكاشف عن أصول الدلائل وفصول العلل - لعله نفس الكتاب السابق.

٦٥ - الجمل في الكلام - مخطوط.

٦٦ - جوابات المسائل النجارية - اسم آخر لكتاب: «أجوبة المسائل النجارية» المتقدم.

٦٧ - جراب الغيلاني - نسبة القفطي إلى الفخر، ولعله في مسائل فلسفية.

٦٨ - الجوهر الفرد - أو رسالة في الجوهر الفرد - لعله من المفقودات.

٦٩ - الحاوي في الطب - للرازي الطبيب، ونسب لصاحبنا خطأ.

٧٠ - حدائق الأنوار - دائرة معارف - بالفارسية.

٧١ - حدائق الحقائق - مخطوط.

٧٢ - حدوث العالم - مخطوط.

٧٣ - حفظ البدن - مخطوط.

٧٤ - حل شكوك القانون - وورد باسمين آخرين، مخطوط.

٧٥ - خلاصة الدلائل في تنقيح المسائل - مخطوط.

٧٦ - الخلق والبعث - مخطوط.

٧٧ - الخمسين في أصول الدين - وله اسم آخر، مخطوط.

٧٨ - دراهي خدائيناسي - فارسي، مخطوط.

٧٩ - دراية الإعجاز - اسم من أسماء نهاية الإيجاز.

٨٠ - در حقيقي مرك وأحوال روح - فارسي - اسم آخر لرسالة في حكمة الموت.

٨١ - درة التنزيل وغرة التأويل - للخطيب الإسكافي - نسبت للفخر خطأ، مطبوع في مصر.

٨٢ - الدعوة إلى طريق العلم - مخطوط - نسب إليه خطأ.

٨٣ - دقائق الحقائق - نسب إليه خطأ.

٨٤ - دلائل الإعجاز - تصرف في اسم كتابه: « نهاية الإيجاز ».

٨٥ - الدلائل في علوم المسائل - لعله نفس كتاب: « تهذيب الدلائل ».

٨٦ - ذم لذات الدنيا.

٨٧ - ذيل المشيخة الفخرية - ذكرته بعض المصادر.

٨٨ - رد الجدل - انفرد بذكره العظيم.

٨٩ - رسالة في أن القرآن أنزل على سبعة أحرف - نسبت إليه خطأ.

٩٠ - رسالة في تفسير لا إله إلا الله - وذكرت باسم آخر، مخطوطة.

٩١ - رسالة في التوحيد - لعلها نفس الرسالة السابقة.

٩٢ - رسالة في التنبيه على بعض الأسرار المودعة في بعض آيات القرآن الكريم -

مخطوطة. تكررت في الفهارس بأربعة أسماء إضافة لاسمها هذا.

٩٣ - رسالة في الحكم على أسرار الكف وما تدل عليه - مخطوطة.

٩٤ - رسالة في حكمة الموت - فارسية - وردت باسمين آخرين.

- ٩٥ - رسالة در بيان موت - فارسية - نفس الرسالة السابقة.
- ٩٦ - رسالة فخر الدين الرازي في جواب السؤال عن دلالة كلمة الخلاج «أنا الحق» مخطوطة.
- ٩٧ - رسالة في زيارة القبور - مخطوطة، وردت بأسماء أخرى.
- ٩٨ - رسالة في السؤال - ذكرها الففطفي.
- ٩٩ - رسالة في شرح البراهين القائمة على إبطال التسلسل - ذكرها العظم: مخطوطة.
- ١٠٠ - رسالة في شرح الرباعيات في وحدة الوجود - ملحقة بدائرة معارفه جامع العلوم.
- ١٠١ - رسالة في الصنعة الإلهية والحكمة الربانية - مخطوطة.
- ١٠٢ - رسالة في فائدة الزيارة - لعله اسم آخر لرسالته في زيارة القبور.
- ١٠٣ - رسالة في علم الفراسة - مطبوعة.
- ١٠٤ - رسالة في كلمة التوحيد - لعله اسم آخر لرسالته في تفسير: «لا إله إلا الله».
- ١٠٥ - رسالة المصباح - ملحقة بدائرة معارفه الفارسية جامع العلوم.
- ١٠٦ - رسالة المعاد - لعلها «المباحث العمادية».
- ١٠٧ - رسالة في معاني المتشابهات - ملحقة بجامع العلوم.
- ١٠٨ - رسالة في معنى الطهارة - نسبها للفخر فهرس أفسر إيدته (إستانبول).
- ١٠٩ - رسالة في المنطق - نسبتها له فهرس لاله لي (إستانبول).
- ١١٠ - رسالة في النبوات - ذكرتها بعض المصادر.
- ١١١ - رسالة في النفس وأحوالها - مخطوطة ذكرتها بعض المصادر.
- ١١٢ - رسائله في النفس وتحقيق زيارة القبور - لعله اسم آخر لرسالة في زيارة القبور.
- ١١٣ - رسالة في نفى الحيز والجهة - ذكرها بروكلمان.
- ١١٤ - رسالة في الهيئة - مخطوطة.
- ١١٥ - الرسالة الصاحبية - ذكرها بعض المؤرخين.
- ١١٦ - الرسالة العلائية في الأحكام السماوية - لعلها نفس كتاب الأحكام العلائية.
- ١١٧ - الرسالة الكمالية - فارسية، ترجمها الأرموي.

- ١١٨ - الرسالة الفخرية في الوفاء - ذكرها بعض المتأخرين .
 ١١٩ - الرسالة المجدية - ذكرتها بعض المصادر .
 ١٢٠ - الرعاية - ذكره بعض المؤرخين - وهناك كتاب بهذا العنوان للحارث المحاسبي ، مطبوع .
 ١٢١ - الروض الأريج في علاج المريض - مخطوط ، نسبه بروكلمان للفخر .
 ١٢٢ - الرياض المونقة في الملل والنحل - كتاب مبسوط في هذا الموضوع ، ولعله من المفقودات .
 ١٢٣ - كتاب في الرمل - ذكره بعض المؤرخين ، ولعله نفس كتاب السر المكتوم الآتي .

- ١٢٤ - زاد المعاد - في التصوف ، مخطوط ، ذكره بعض المتأخرين .
 ١٢٥ - الزبدة - ذكر في بعض المصادر .

- ١٢٦ - سداسيات الرازي - ذكر في بعض المراجع ؛ سماه البعض ستين رازي .
 ١٢٧ - سراج القلوب - فارسي - أسئلة وأجوبة ، ولعله لرازي آخر .
 ١٢٨ - سر الأسرار - مخطوط ، في فوائد بعض الأعشاب ، وذكر باسمين آخرين .
 ١٢٩ - سر السر - أحد اسمي الكتاب السابق .
 ١٣٠ - السر المكتوم في غطابة الشمس والقمر والنجوم - مخطوط ، اختلف في نسبه إليه .
 ١٣١ - سرور المستجلي لجزء وجوده الكلي - ذكره بعض المتأخرين .

- ١٣٢ - شرح أبيات الإيضاح للقزويني - نسبه أحد المتأخرين إلى الفخر خطأ .
 ١٣٣ - شرح أبيات الشافعي الأربعة في القضاء والقدر - لعله نفس كتاب القضاء والقدر ، والجبر والقدر .
 ١٣٤ - شرح الإرشاد - لعله من كتبه الناقصة أو المفقودة .
 ١٣٥ - شرح أسماء الله الحسنى - ويسمى بلوامع البينات ، مطبوع في مصر .

١٣٦ - شرح الإشارات والتنبيهات - مخطوط.

١٣٧ - شرح درج تنكلوشا - ذكر في بعض المصادر وسمي في بعضها باسم: « منتخب درج تنكلوشا » - فارسي.

١٣٨ - شرح ديوان المتنبي - ذكرته بعض المصادر.

١٣٩ - شرح سقط الزند - ذكرته المصادر كواحد من كتبه الناقصة.

١٤٠ - شرح الشفاء - نسبته إليه بعض المصادر.

١٤١ - شرح القانون - لعله نفس كتاب: « حل شكوك القانون ».

١٤٢ - شرح كليات القانون - لعله نفس السابق.

١٤٣ - شرح عيون الحكمة - مخطوط.

١٤٤ - شرح القصيدة التائية - لعله نسب إليه خطأ.

١٤٥ - شرح لمعات - مخطوط، نسب إليه خطأ.

١٤٦ - شرح المفصل - ذكره بعض المؤرخين، وقالوا: لم يتمه.

١٤٧ - شرح مقامات الحريري - لعله مما نسب إليه خطأ.

١٤٨ - شرح الملخص - ذكر ابن طاووس الحسيني أنه في التنجيم.

١٤٩ - شرح النجاة - مخطوط، نسب إليه بعض المتأخرين.

١٥٠ - شرح نهج البلاغة - ذكره بعض المؤرخين في كتبه الناقصة.

١٥١ - شرح الوجيز - ذكره المؤرخون في كتبه الناقصة.

١٥٢ - شفاء العي والحلاف - ذكره بعض المؤرخين.

١٥٣ - ضم العقائد - مخطوط، نسبته بعض الفهارس إليه.

١٥٤ - الطب الكبير - لعله اسم آخر للجامع الكبير، ذكره بعض المؤرخين في جملة كتبه الناقصة.

١٥٥ - الطريقة البهائية - لعله اسم آخر لكتاب: « البراهين البهائية ».

١٥٦ - الطريقة العلانية في الخلاف - ذكرته بعض المراجع، وذكرت أنه في أربعة مجلدات.

١٥٧ - الطريقة في الخلاف - ذكرته بعض المصادر، وفي بعضها: « الطريقة في الجدل ».

١٥٨ - عشرة آلاف نكتة في الجدل - لم يرد له ذكر في المصادر، ونسبه إليه فهرس جوتا.

١٥٩ - عصمة الأنبياء - طبعها منير الدمشقي، ولعلها قطعة من كتابه: « الأربعين ».

١٦٠ - عدة النظار وزينة الأفكار - ذكر في بعض المصادر.

١٦١ - فتوح الغيب - اسم من أسماء التفسير الكبير.

١٦٢ - فرب (رسالة) مخطوطة - نسبت إليه في فهرس فاتح.

١٦٣ - فضائل الأصحاب - ذكرت في بعض المصادر.

١٦٤ - فضائل الصحابة الراشدين - لعله اسم آخر للكتاب السابق.

١٦٥ - القضاء والقدر - لعله نفس رسالة: « الجبر والقدر »، أو شرح أبيات الشافعي

في القضاء والقدر.

١٦٦ - قلائد عقود العقيان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان - لعله منسوب إليه خطأ.

١٦٧ - كتاب في الكلام - مخطوط، نسبه إلى الفخر فهرس أيا صوفيا من غير أن يحدد اسمه.

١٦٨ - كراسة في مقدمات علم التنجيم - نسبها إليه بعض المتأخرين، مخطوطة لعلها

مختصر من السر المكتوم.

١٦٩ - لباب الإشارات - تلخيص لكتاب الإشارات لابن سينا.

١٧٠ - اللطائف الغيائية - فارسي، ذكرته بعض المصادر.

١٧١ - لوايح البينات - اسم لكتابه: « شرح أسماء الله الحسنی والصفات ».

- ١٧٢ - مؤاخذات على النحاة، لا نعتقد أنها كتاب، وإن وهم بها البعض، بل هي آراء
بشها في كتبه المختلفة، وقد يكون أدرجها في كتابه المفقود: «المحرر في دقائق النحو».
- ١٧٣ - مباحث الحدود - في المنطق - ذكره بعض المؤرخين.
- ١٧٤ - المباحث العمادية في المطالب المعادية - لعله من كتبه المفقودة.
- ١٧٥ - المباحث المشرقية - من أهم كتبه، مطبوع، وله نسخ خطية كثيرة.
- ١٧٦ - مباحث الوجود - ذكره الصفدي.
- ١٧٧ - مباحث الوجود والعدم - ذكره القفطي، وابن أبي أصيبعة. ولعله نفس الكتاب
السابق.
- ١٧٨ - المبين - نسبه إليه بروكلمان.
- ١٧٩ - المناظر - ذكره صاحب لسان الميزان.
- ١٨٠ - المحرر في حقائق أو دقائق النحو - لعله مما فقد من كتبه.
- ١٨١ - محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين - مطبوع.
- ١٨٢ - المحصل في أصول الفقه - نسب إليه خطأ.
- ١٨٣ - المحصول في علم الكلام - لعله تصحيف لكلمة: «المحصل».
- ١٨٤ - المحصول في أصول الفقه.
- ١٨٥ - مختار التحبير.
- ١٨٦ - مختصر إعجاز الإيجاز - ذكره صاحب: «كشف الظنون».
- ١٨٧ - مختصر في الإعجاز - لعله عنوان آخر لكتابه: «نهاية الإيجاز».
- ١٨٨ - المختصر في المنطق - ذكرها صاحب لسان الميزان.
- ١٨٩ - مختصر الصحاح - لعله تصحيف لعنوان: «مختار الصحاح».
- ١٩٠ - مختصر في علم أصول الدين - نسبه إلى الفخر فخرس ولي الدين.
- ١٩١ - المختص - لعله تصحيف «الملخص».
- ١٩٢ - مرآة الرجال - لعله عنوان آخر لرسائله في: «الفراصة».
- ١٩٣ - المسائل الأربعون - لعله اسم آخر لكتاب: «الأربعين في أصول الدين».

- ١٩٤ - المسائل الخمسون - لعله اسم آخر لكتاب: * الخمسين في أصول الدين *.
- ١٩٥ - مسائل في الطب - ذكره ابن أبي أصيبعة.
- ١٩٦ - المسك العبيق في قصة يوسف الصديق - ذكره بعض المتأخرين.
- ١٩٧ - مشتمل الأحكام - نسب إليه خطأ.
- ١٩٨ - المشيخة الفخرية - في ذكر مشايخه - لعلها مما فقد من كتبه.
- ١٩٩ - مصادرات إقليدس - ذكرته بعض المصادر.
- ٢٠٠ - المطالب العالية - آخر ما ألفه الرازي - وتوفي قبل أن يكمله.
- ٢٠١ - المعالم في أصول الدين - مطبوع على هامش * المحصل *.
- ٢٠٢ - المعالم في الكلام - لعله نفس الكتاب السابق.
- ٢٠٣ - المعالم في أصول الفقه - اختصره الأرموي، مخطوط.
- ٢٠٤ - معلم الأصول - لعله تصحيف لكلمة * معالم *.
- ٢٠٥ - مفاتيح العلوم - اسم آخر لتفسير سورة الفاتحة، مخطوط ومطبوع.
- ٢٠٦ - مفاتيح الغيب - اسم من أسماء التفسير الكبير.
- ٢٠٧ - الملخص في أصول الدين - نسبة للفخر فهرس قليج علي.
- ٢٠٨ - الملخص في التنجيم - لعله نفس كتاب: « السر المكتوم ».
- ٢٠٩ - الملخص في الحكمة والمنطق - مخطوط.
- ٢١٠ - مناظرات الفخر الرازي - مطبوع بالعربية والإنجليزية.
- ٢١١ - مناقب الإمام الشافعي - طبع في مصر مرتين.
- ٢١٢ - المنتخبات من كلام ظهير الدين محمد الفارابي والإمام فخر الدين الرازي - قصائد فارسية.
- ٢١٣ - منتخب درج تنكلوشا - ذكرته بعض المصادر.
- ٢١٤ - منتخب المحصول - في أصول الفقه - في نسبته إليه شك.
- ٢١٥ - المنطق الكبير - مخطوط - ذكرته بعض المصادر.
- ٢١٦ - منهاج الرضا - نسبة إلى الفخر بعض المتأخرين.

٢١٧ - النبض - من الكتب الطيبة.

٢١٨ - نفثة المصدور - ذكرته بعض المصادر.

٢١٩ - في النفس والروح - لعلها نفس رسالة: «في النفس وأحوالها».

٢٢٠ - نقد التنزيل - ذكرته بعض المصادر.

٢٢١ - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز - الاسم المشهور لمؤلفه في البلاغة، المطبوع

في مصر.

٢٢٢ - النهاية البهائية - في المباحث القياسية - من كتب أصول الفقه.

٢٢٣ - نهاية العقول في دراية الأصول - أهم كتبه الكلامية - مخطوط.

٢٢٤ - النوع الأول من المعاني - نسبه إلى الفخر فهرس لاله لي.

٢٢٥ - الهادي - ذكره الداودي في طبقات المفسرين.

٢٢٦ - الهدى - كتاب فلسفي. لعله من كتبه المفقودة.

٢٢٧ - الهندسة - ذكرته بعض المصادر.

٢٢٨ - الورد - نسبه إليه بعض المتأخرين.

٢٢٩ - الوصية - هي وصيته التي ذكرناها، ولها نسخ خطية منفصلة.

الفصل الثاني

في تحقيق نسبة كل كتاب ومقسمة على العلوم



وستتناولها وفق التوزيع التالي^(١):

أولاً: كتب التفسير.

ثانياً: كتب علم الكلام.

ثالثاً: كتب الحكمة والعلوم الفلسفية.

رابعاً: كتب العلوم والآداب العربية.

خامساً: كتب الفقه.

سادساً: كتب الطب والفراسة.

سابعاً: كتب التصوف.

ثامناً: كتب التاريخ.

تاسعاً: كتب الهندسة والفلك.

عاشراً: كتب الطلاسم والنجوم.

حادي عشر: كتب عامة.

ثاني عشر: كتب مجهولة الموضوع.

أولاً: كتب التفسير،

كتب التفسير التي نسبتها المصادر إلى الفخر هي:

١ - أحكام البسملة.

٢ - أسرار التنزيل وأنوار التأويل.

٣ - أسئلة شريفة وأجوبة منيفة.

(١) لم ندرج كتب أصول الفقه ضمن هذا الفصل لأننا خصصنا لها الفصل الثالث.

- ٤ - الأسئلة المفهمة والأجوبة المفهمة.
- ٥ - الأسئلة المفهمة والأجوبة المفهمة.
- ٦ - الأسئلة والأجوبة.
- ٧ - أسئلة القرآن.
- ٨ - البرهان في قراءة القرآن.
- ٩ - التفسير الواضح.
- ١٠ - التفسير الوسيط.
- ١١ - تفسير سورة الفاتحة، أو (مفاتيح العلوم).
- ١٢ - تفسير سورة البقرة على الوجه العقلي، لا النقل.
- ١٣ - تفسير سورة الإخلاص.
- ١٤ - درة التنزيل وغرّة التأويل.
- ١٥ - (رسالة) في أن القرآن أنزل على سبعة أحرف.
- ١٦ - (رسالة) في التنبيه على بعض الأسرار المودعة في بعض سور القرآن.
- ١٧ - (رسالة) في معاني التشابهات.
- ١٨ - تفسير روح العجائب.
- ١٩ - مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، أو فتوح الغيب.
- ١ - أحكام البسمة:

لم نجد من يشير إليه من المؤرخين القدماء، أو المحدثين - فيما اطلعنا عليه - ولكن هناك مخطوطة في دار الكتب المصرية (١٢٥) تفسير، تيمور، نسبها فهرس الدار المذكورة إلى صاحبها الفخر. وقد جاء في الصفحة الثانية منها: أمّا بعد فقد سبق مني تصنيف كتاب جامع فيما يتعلق بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) من الأحكام والمعاني، اتسع الكلام فيه وانتشر، فسألني بعض الأصحاب ضبط ما يتعلّق بها منه من الكلام.

وظاهر من هذا أن مؤلف هذا الكتاب كتاباً آخر أوسع منه في هذا الموضوع، وأنه اختصر كتابه المذكور من ذلك، ولكن أحداً من المؤرخين لم يشر إلى كتابين للفخر في

« البسملة » - فيها نعلم ولم نستطع معرفة وجه نسبته للفخر في الفهرس المذكور. ولا نستبعد أن يكون مؤلفه قد اقتبسه مما كتب الفخر عن أحكام البسملة في التفسير.

٢ - أسرار التنزيل وأنوار التأويل:

سمّاه القفطي: « تفسير القرآن الصغير » (ص ١٩١)، وذكره الصفدي في الوافي (٢٥٥/٤)، وحاجي خليفة في الكشف (٨٣/١)، وقال عنه: وهو مجلد أوله: الحمد لله الذي أظهر من آثار سلطانه... إلخ. ذكر فيه أنه على أربعة أقسام: الأول في الأصول، والثاني في الفروع، والثالث في الأخلاق، والرابع في المناجاة والدعوات، لكنه توفي قبل إتمامه فبقي في أواخر القسم الأول، قال في هامش التذكرة: ولعله القسم الرابع. وذكره البغدادي في هدية العارفين (١٠٧/٢)، وبروكليان (٦٦٧/١) والقسم الموجود منه يعتبر بالتفسير أئصب؛ ذلك لأنه تناول فيه تفسير الآيات القرآنية الدالة على وجود الله وحكمته، وقد عده النشار ضمن الكتب الكلامية. انظر: مقدمة اعتقادات الفرق (ص ٢٨).

وقد طبع هذا القسم بالفارسية سنة (١٣٠١ هـ) على ما ذكر في كتاب: « مذهب الذرة عند المسلمين » (هامش ص ٨٠). وانظر: فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية (ص ٦٢)، وفي تذكرة النوادر أنه آخر ما صنفه الرازي. راجع (ص ٦٧).

له نسخة خطية في دار الكتب (٢٩٤) علم الكلام، والجزء الأول فقط (٣٩٢) كلام، و (٥٧)، والجزء الثاني فقط (٥٨)، والتميمورية (١٥١) تفسير، والأزهرية (٤٠٩)، و (٣٨٨٩)، وفي سليم أغا (٣٧)، ولالي (٢١٣) تفسير، وراغب (٢٠/١)، ومحمد باشا (٣٨)، وبانكي بور (١٩٧)، وله نسخ أخرى في المدينة المنورة، وحلب وتونس وقاس وبرلين.

٣ - الأسئلة المفهمة والأجوبة المفهمة للرازي:

ذكره بروكليان في الملحق (٩٢٢/١).

٤ - الأسئلة المفهمة والأجوبة المفهمة:

ذكره العظم ضمن مصنفات الفخر (ص ١٥٠).

٥ - الأسئلة والأجوبة للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي:

فهرس ولي الدين (٤٦).

٦ - أسئلة القرآن للإمام الرازي:

فهرس أسعد أفندي (١٦).

٧ - أسئلة شريفة وأجوبة منيقة:

فهرس برلين (٩٧٨).

ما ذكرنا يوهم أن هذه الأسماء الخمسة المختلفة هي أسماء مؤلفات للفخر - رحمه الله - والحق أنها كلها عناوين تصرف بها واضعوها لكتاب: « مسائل الرازي وأجوبتها »، أو « أنموذج جليل » الذي هو من تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، وهذا الكتاب قد طبع بهامش « إعراب القرآن » بعنوان « أنموذج جليل » سنة (١٣٠٦ هـ)، كما طبع مفردًا بعنوان: « مسائل الرازي وأجوبتها للرازي » في مطبعة الحلبي في القاهرة. وقد ذكر منسوبًا إلى مؤلفه الحقيقي في كتاب: « صاحب مختار الصحاح » لعبد الله مخلص (ص ٥)، وروضات الجنات (ص ٧١)، وفهرس عاشر أفندي (ص ١٤).

وظاهر أن سبب الغلط في نسبته إلى الفخر تشابه الاسم واللقب والنسبة واشتهار الفخر بالتفسير والمباحث القرآنية.

٨ - البرهان في قراءة القرآن:

نسبه إلى الفخر بهذا العنوان حاجي خليفة في الكشف (١/ ٢٤١)، وعنه أخذه جميل العظم في عقود الجواهر (١٥٠).

٩ - التفسير الواضح:

قال طاش كبرى زاده، وهو يتحدث عن التفسير وكتبه التي قسمها إلى ثلاثة أنواع: وجيز، ووسيط، وبسيط. فمن الكتب الوجيزة فيه تفسير الواضح للإمام الرازي - وستعرفه عما قريب - (٢/ ٩٦).

ولعل طاش كبرى زاده قد وهم في مختصر التفسير الكبير لبرهان الدين النسفي المسمى بـ « الواضح »، واعتبره للإمام الرازي، إذ لم يذكره سواه.

١٠ - التفسير الوسيط:

قال الخوانساري في روضات الجنات (ص ٧٢٩) - وهو يتحدث عن الفخر - : « وله في التفسير ثلاثة كتب: كبير، ووسط، وصغير » وقد انفرد وحده بهذه الإشارة،

فنحن نعلم أن للرازي التفسير الكبير وسنذكره، والتفسير الصغير المسمى بـ « أسرار التنزيل » وقد مر ذكره، أما الوسط فلم يذكره سوى اخوانساري ولم يبين لنا اسمه.

١١ - تفسير سورة الفاتحة أو (مفاتيح العلوم):

ذكره ابن أبي أصيبعة (٢٩/٢)، والذهبي في تاريخ الإسلام (٦٤٦/٢٧)، والقفطي في أخبار الحكماء (ص ١٩١)، وابن خلكان (٦٧٦/١)، والياقعي في مرآة الجنان (٧/٤)، والبغدادى في هدية العارفين (١٠٧/٢).

وله نسخة مخطوطة في بغداد - الأوقاف - (٢٣١٦ - ٢٣١٧)، ونرجح أنه ألحق بالتفسير الكبير، كما طبع في القاهرة مفردًا.

١٢ - تفسير سورة البقرة على الوجه العقلي، لا النقلى:

ذكره القفطي في أخبار الحكماء (ص ١٩١)، وابن أبي أصيبعة (٢٩/٢)، والصفدي (٢٥٥/٤)، وهو ضمن التفسير الكبير.

١٣ - تفسير سورة الإخلاص:

ذكره صاحب كشف الظنون (٤٤٩/١)، وذكر أنه مختصر، أوله: « الحمد لله حق حمده... إلخ »، وأنه مرتب على أربعة فصول. كما ذكره صاحب هدية العارفين (١٠٧/٢). له نسخة خطية في بشير أغا (١٧٢)، وأخرى في باريس - المكتبة الأهلية (٤٥٧٧ - ١٤). وقد أشار إليه ابن أبي أصيبعة في ترجمته لموفق الدين عبد اللطيف البغدادي المعروف بابن اللباد المولود في بغداد سنة (٥٥٧هـ)، والمتوفى فيها في محرم سنة (٦٢٩هـ)، حيث عدّ ضمن كتب موفق الدين هذا: كتاب الرد على ابن خطيب الري في تفسيره سورة الإخلاص، انظر (٢١١/٢).

هذا؛ وتفسيره لهذه السورة الموجود في التفسير الكبير مؤلف من أربعة فصول ومسائل، فلعله كتب تفسيرها مفردًا ثم أخفقه بالتفسير الكبير.

١٤ - درة التنزيل وغرة التأويل:

أول من ذكره منسوبًا إلى الفخر صاحب كشف الظنون في (٧٣٩/١)، وقد ذكر أنه في الآيات المتشابهات، وأنه تكلم فيه على الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة التي يقصد الملحدون التطرق منها إلى عيبها، وأجاب عنها.

ثم تابعه بذكره منسوباً للفخر صاحب هدية العارفين (١٠٧/٢)، وكذلك بروكليان (١/٦٦٧)، كما نسبته فهرس دار الكتب المصرية إلى الفخر على نسختين (٤٤٠، ٥٢م)، وفهرس كوبريلي بإستانبول (١٥٥ تفسير)، وفهرس جوتا، الديباجة (ص ١٠).

واحق أن هذا الكتاب لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، المتوفى سنة (٤٢١هـ)، أو للأصبهاني المتوفى سنة (٥٣٥هـ).

ويبدو أن إطلاق ابن الخطيب على الإسكافي هو الذي أوقع هؤلاء في هذا الوهم. وقد أخطأ صاحب كشف الظنون مرة أخرى حين نسبته إلى الراغب الأصبهاني باسم «درة التأويل في متشابه التنزيل» وقال: للإمام حسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصبهاني، أوله: اعلّموا حملة الكتاب الكريم... إلخ، انظر (١/٧٣٩).

وقد اطلعنا على المخطوطتين في دار الكتب (٤٤٠، ٥٢) مع المطبوعة للإسكافي، فوجدنا اتفاقاً بين النسخ الثلاث لا تشويه غير الخلافات ما بين المخطوط والمطبوع، وقد جاء في النسخ الثلاث في تفسير سورة الكافرون هذه العبارة: «قد أجبت في جامع التفسير عن ذلك بأجوبة كثيرة» انظر: المطبوعة (ص ٣٩٦). ولا نعرفه للرازي كتاباً بعنوان: (جامع التفسير)، بل الجامع هذا هو كتاب التفسير الكبير لإسماعيل بن محمد بن الفضل النبمي - الطلحي - المتوفى (٥٣٥هـ)، كما ذكر هو في (١/٤٤٢)، ونخرج من هذا بأن هذا الكتاب ليس للرازي؛ وإنما هو للخطيب الإسكافي كما في الوافي (٣/٣٣٧)، أو للأصبهاني، أو أن لكل منهما كتاباً في هذا الموضوع فهو موضوع جليل اهتم به العلماء قديماً وحديثاً. ومن أوائل من اهتم به القاضي عبد الجبار - المعتزّي - فوضع فيه كتاب: «تنزيه القرآن عن المطاعن» المطبوع في القاهرة، ولشيخ الإسلام زكريا الأنصاري الفقيه الشافعي المتوفى سنة (٦٢٥هـ) أو (٦٢٦هـ) كتاب في هذا الموضوع. طبع في القاهرة بهامش تفسير الخطيب الشربيني.

١٥ (رسالة) في أن القرآن أنزل على سبعة أحرف:

نسبها للفخر الرازي فهرس معهد المخطوطات، بالجامعة العربية (١/٣٥٥) - لغة - وهي لأبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن المقرئ الرازي. انظر: فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية (ص ١٤٠).

١٦ - (رسالة) في التنبيه على بعض الأسرار المودعة في بعض صور القرآن:

ذكرها ابن أبي أصيبعة (٣٠/٢)، والصفدي (٢٥٦/٤)، وبروكلمان (١/٦٦٧) وهي مخطوطة لها نسخ في دار الكتب المصرية (٢٠٥٧٨ ب، ٢٣٢٧٤ ب)، والتيمورية باسم أسرار القرآن (٢١٥) مجاميع، وجوتا (٥٤٣)، وبرلين (٧٠٤/٥)، والأسكوريال (١٧٠١ - ٣) وأسعد أفندي (١٩٢٣) باسم: «رسالة في بعض الأسرار القرآنية»، وأسعد أفندي أيضًا (٣٦٤٦) باسم «رسالة في تفسير بعض آيات القرآن الكريم»، ومحمود باشا (٢٩ و ٣٣) باسم «رسالة في تفسير بعض السور في آخر القرآن الكريم»، وفاتح (٥٣٨٠) مجاميع، رسالة في تفسير (أربع سور من القرآن الكريم). وهذه الرسالة في أربعة فصول: فصل في سورة (قل هو الله أحد)، وفصل في تفسير (سورة الأعلى)، والثالث في تفسير سورة (التين)، والرابع في تفسير سورة (العصر) ولعلها مما ضُم إلى التفسير الكبير.

١٧ - (رسالة) في معاني التشابهات:

في مكتبة أيا صوفيا في إستانبول، رسالة ملحقة بجامع العلوم ومنسوبة للفخر تحت رقم: (٢٨٣٣).

١٨ روح العجائب (تفسير):

ذكره بروكلمان في الملحق (١/٩٢٢)، وقال: إن منه نسخة في خزانة القرويين بفاس تحت رقم: (٩١)، وتحت هذا الرقم وجدنا «تفسير روح الغيب»، لا روح العجائب، وعلى هذا فيكون العنوان الذي ذكره بروكلمان تصحيحاً منه أو من المفهرس في الفهرس الذي اطلع عليه.

١٩ - مفاتيح الغيب، أو فتوح الغيب = التفسير الكبير:

هو كتاب الفخر الشهير، الغني عن التعريف، الذي جمع فيه خلاصة علومه، ولذلك قالوا فيه: حوى كل غريب وغريبة. انظر: وفيات الأعيان (١/٦٧٦).

اختصره كثيرون، منهم: قاضي قضاة الإسكندرية، محمد بن أبي القاسم الربيعي المالكي المتوفى سنة (٧٠٩هـ)، في كتاب سماه: «تنوير التفسير»، مختصر التفسير الكبير، وهذا المختصر نسخة خطية في المكتبة الأهلية في باريس رقم: (٩/٦١٤).

كما اختصره النظام الأعرج النيسابوري المتوفى سنة (٧٢٨هـ) بمختصر سماه:

« غرائب القرآن و رغائب الفرقان »، طبع في دلهي سنة (١٢٨٠ هـ) بثلاثة أجزاء، وطبع على هامش تفسير الطبري في الأميرية، والميمنية، وطبع حديثاً في القاهرة أيضاً. واختصره كذلك برهان الدين النسفي المتوفى سنة (٦٧٩ هـ) - على ما في الفوائد البهية (ص ١٩٥). بمختصر ساء « الواضح ». انظر: كشف الظنون (١٧٥٦ / ٢).

واختصره أيضاً محمد بن القاضي « أبانلوغ »^(١) مع تصرفات وزيادات. انظر: كشف الظنون (١٧٥٦ / ٢).

كما جرد بعض العلماء الهنود آراء أبي مسلم الأصفهاني التي أوردوها الفخر في التفسير، وطبعها مفردة. وترجم التفسير الكبير إلى الأردية. وعمل له ماك نيل فهرساً تفصيلياً طبع في لندن سنة (١٩٣٢ م). راجع: إلى طه حسين (ص ٣٠٧).

وقد طبع التفسير الكبير طبعات عدة؛ ففي مصر طبع في بولاق بستة أجزاء كبار، سنة (١٢٧٩ - ١٢٨٩ هـ)، والخيرية بثمانية مجلدات (١٣٠٧ - ١٣٠٨ هـ)، والعميرة بثمانية مجلدات أيضاً (١٣١٠ هـ)، وأعيدت هذه الطبعة سنة (١٣٢٤ - ١٣٢٧ هـ)، والحسينية بثمانية أجزاء أيضاً سنة (١٣٢٧ هـ)، والبهية المصرية - طبعة عبد الرحمن محمد - باثني وثلاثين جزءاً سنة (١٩٢٣ - ١٩٣٨ م). كما طبع في إستانبول.

وللتفسير الكبير نسخ خطية كثيرة - منها: مخطوطة باريس (٦١٣، ٦٥٢٦)، بودليانا (٢٦، ١)، المتحف البريطاني، الملحق (١١١)، المكتب الهندي (٦ / ٦٥)، بني (٧٠ / ٦٤)، آيا صوفيا (٤١ / ٢٣٢)، راغب (٩ / ٨٥)، الجزائر (٣٣٠)، دار الكتب أول (١، ٢١٣)، قوله (٨١، ١)، باتنا (٣٣، ٣٢٩ / ٣٩).

والقرويين نسختان إحداهما بعشرين مجلداً والثانية ثلاثين، الباقي منها سبعة عشر جزءاً. انظر: مجلة معهد المخطوطات، المجلد الخامس (ج ١)، مايو (١٩٥٩ م). وهناك أجزاء متفرقة منه كثيرة في مختلف الخزانات، انظر: إلى طه حسين (ص ٢٠٧، ٢٠٨).

وقد ذكر التفسير الكبير منسوباً إلى الفخر في جمهرة المصادر التي ترجمت للفخر أو ذكرته سواء أكانت عربية أو أجنبية.

(١) كذا في الفوائد البهية، فراجع ترجمته فيها (ص ١٦١).

- هل أكمل الفخر مفاتيح الغيب؟

هذا سؤال يفرض نفسه على كل من يتحدث عن التفسير الكبير. وقد اختلفت الآراء في الإجابة عنه، واضطربت، ولا أعلم أحدًا أعطى الجواب الشافي عن هذا السؤال إلى يومنا هذا على كثرة من حاولوا.

وها نحن أولاء نحاول - كما حاول من سبقنا - الإجابة عن هذا السؤال راجين أن نوفق لإعطاء الجواب الشافي عنه - فنقول:

« يمكن تقسيم المؤرخين القدماء من الذين ترجعوا للفخر وذكروا شيئاً من مؤلفاته إلى خمس فرق:

الفريق الأول: الذين ذكروا التفسير من غير أن يسيروا إلى تمامه أو نقصانه.

الفريق الثاني: الذين ذكروه بأسلوب يشير إلى اطلاعهم عليه كاملاً.

الفريق الثالث: الذين نصروا على نقصانه، من غير أن يسيروا إلى الموضع الذي وقف الفخر عنده.

الفريق الرابع: الذين نصّوا على الموضع الذي وقف الفخر عنده في التفسير.

الفريق الخامس: الذين نصّوا على تمامه.

فمن الفريق الأول: ابن السبكي في الطبقات (٨ / ٨٧٠) ط. الحلبي، وابن قاضي شعبة في طبقات الشافعية - الطبقة الخامسة عشرة، والذهبي في تاريخ الإسلام (٢٧ / ٦٤٦)، وإن ذكرهما الزركان خطأ من القائلين بنقصانه، وأبو شامة في الذيل (ص ٦٨)، وصاحب إرشاد القاصد (ص ٧٥)، وصاحب صبح الأعشى (١ / ٤٧٠)، ومنهم أيضًا: طاش كبرى في المفتاح (٢ / ١١٧)، والسيوطي في طبقات المفسرين (ص ٣٩)،

ومن الفريق الثاني: النقفطي في أخبار الحكماء (ص ١٩١)، حيث قال: ومن تصانيفه كتاب « تفسير القرآن الكبير » سَمَاهُ « مفاتيح الغيب » سوى تفسير الفاتحة، وأفرد لها تصنيفًا - اثني عشر مجلدًا - بخطه الدقيق.

فعبارة الأخيرة تشير إلى أنه اطلع عليه، ولو كان ناقصًا لما فاتته أن يذكر ذلك، كما ذكر أفراد الفاتحة بتصنيف خاص.

ونحوه قال ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء (٢ / ٢٩) : ولفخر الدين ابن الخطيب من

الكتب: كتاب « التفسير الكبير » المسمى « مفاتيح الغيب » - اثنا عشرة مجلدة - بخطه الدقيق، سوى سورة الفاتحة، فإنه أفرد لها كتاب: « تفسير سورة الفاتحة » مجلد.

وعبارة ابن أبي أصيبعة هذه - كعبارة القفطي - تشير أيضًا إلى اطلاعه عليه كاملاً. هذا إذا لم تكن منقولة عن القفطي.

ومن الفريق الثالث: ابن خلكان في الوفيات (٦٧٦/١)، والياغمي في مرآة الجنان (٧/٤)، واليعيني في عقد الجمان (٣٢١/٢/١٧)، وابن العماد في الشذرات (٢١/٥)، وقد نقل ذلك عن ابن قاضي شهبة.

وأما الفريق الرابع: فلم نجد - فيها اطلعنا عليه - من يندرج تحته غير اثنين:

الأول: ابن قاضي شهبة المتوفى سنة (٨٥١ هـ) - في طبقات النحويين واللغة؛ حيث قال: ومن تصانيفه التفسير الكبير، وصل فيه إلى الروم، أو العنكبوت، وأكملة تلميذه شمس الدين الخويي، وبعضهم ادعى أنه كامل. انظر: (٤٨/١ - أ).

والثاني: أحمد شهاب الدين - الخفاجي شارح « الشفاء » للقاضي عياض فقد ورد في شرحه (نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض) (٢٦٧/١) - أثناء الكلام عن سورة « الضحى » - ما نصه: « قيل: والمراد إظهار ذلك في عالم الشهادة وتقرير الدليل على ما قاله الإمام - أن كمالك وعبادتك بعد هذه الأمور أتم، حيث رتبناك قبل ذلك الكمال إلى ذروة العلى، فبالأولى أن لا نتركك ولا نبغضك بعد الكمال والعبادة.

وقيل عليه: إنه لا يتناسب تفسير الغنى بالغنائم ونحوها مما لم يتحقق بعد النزول، فإن جعلت بمنزلة المحقق، إذ لا بد من تحقق أمر قبل الكمال، ليعلم ثبوت مثله بعده بالأولى، والإثبات والمجاز المذكور لا يفيد فالأظهر في الاستدلال بالمعنى حينئذ أن يقال: سنخصك بالظاف جليلة، أو أنا قدرنا لك ذلك فلا تتركك ولا نبغضك؛ لأنه مناف له فتدبر.

أقول: الثالث في كتب التاريخ أن التفسير الكبير وصل إلى سورة الأنبياء وكملة تلميذه الخويي، فنسبه ما ذكر للإمام لا ينبغي، وما أورده عليه غير وارد؛ لأنه ليس في تفسيره المذكور تعرض للغنى، فكيف يلزمه بما لم يقله؟ ومن نظر تفسيره عرف ما قلناه ١٠ هـ.

وعن الكتاب المذكور أخذه كاتب حواشي إحدى طبعات كشف الظنون كما سيأتي.

وأما الفريق الخامس: فيتمثل بالصفدي وحده، إذ لم نثر عند غيره على النص بأن الإمام أكمله على المنبر إملأ. راجع: الوافي (٢٥٥/٤).

هذا هو موقف المؤرخين من قضية إكمال الفخر للتفسير أو عدمه.

✽ موقف الكتّاب المعاصرين:

وأما الكتّاب المحدثون فيمكن حصرهم في فرق ثلاث:

الفريق الأول: هم الذين نفوا أن يكون التفسير بمجموعه هو من تأليف الفخر وزعموا أنه لأحد تلامذته، ثم لم يكتفوا بذلك؛ بل زعموا أنه ربما كان من العلماء المتأخرين، وكل دليلهم عبارة وردت خلال تفسير سورة « الواقعة » ونصها: « وشيء من هذا رأيته في كلام الإمام فخر الدين الرازي - رحمه الله - بعدما فرغت من كتابة هذا مما وافق خاطري خاطره، على أني معترف بأنني أصبت منه فوائد لا أحصيها »^١.

فعلق عليها مصححو طبعة عبد الرحمن محمد في المطبعة البهية المصرية بقولهم: « هذه العبارة تشعر وتؤكد أن الكتاب لمؤلف آخر غير فخر الدين الرازي وإنما هو لأحد تلامذته، وربما كان من العلماء المتأخرين » راجع: (١٥٥/٢٩) من الطبعة المذكورة للتفسير.

ولولا اغترار بعض الكتّاب المحدثين بهذا القول الساقط المتهافت، وإدراجهم له ضمن ما نقلوا من أقوال، ونعته أصحابه بأنهم جماعة من أفاضل العلماء^٢ لولا هذا كله لما تكلفنا تسطير حرف واحد عنه؛ إذ هو كلام ساقط، فأنله جاهل بكل ما ذكره المؤرخون عن الفخر، إضافة إلى جهله بالتفسير الذي نسب إلى نفسه تحقيقه ونصحيحه.

وإذا كانت العبارة موضوع التعليق هي التي دفعت هذا المعلق أو المصحح إلى إطلاق هذه الفرية الكبرى، أفلم يكن له في مئات الدلائل التي مروت به من أول تفسير سورة الفاتحة إلى تفسير سورة الواقعة ما يشهد بأن هذا الكتاب هو لفخر الدين الرازي، أو لم تكن هذه الدلائل كافية للتقليل من اعتياده على هذه العبارة في إصدار هذا القول الباطل؟

وإذا تجاهل كل هذه الدلائل التي سنشير إلى بعضها، أفليس في إجماع المؤرخين على أن الرازي ألف تفسيراً كبيراً باسم مفاتيح الغيب ما يكفي لإثباته عن هذا القول الباطل؟ لو أنه قال مثلاً: إن هذه العبارة تشير إلى أن تفسير هذه السورة كلها أو بعضها ليس

(١) راجع: الإمام فخر الدين الرازي للعماري (ص ١٦١).

من تأليف الفخر؛ لكان كلامه معقولاً ومقبولاً.

أما أن يجعلها دليلاً على نفي نسبة التفسير جملة عن الفخر فذلك أقبح أنواع الجهل، وأشنع أنواع الغباء أو الافتراء. وهو قول لم يسبق إليه ولن يتابع عليه.

وأما الفريق الثاني: فهم الذين ساءروا المؤرخين القائلين بأن الفخر ألف التفسير الكبير، ولكنه لم يكمله ومن هؤلاء:

صاحب كشف الظنون فقد نقل عن ابن خلكان قوله: إنه لم يكمله. ثم قال: وصنف الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد القمويّ تكملة له، وتوفي سنة (٧٢٧هـ). وقاضي القضاة شهاب الدين بن خليل الخويّ الدمشقيّ كمل ما نقص من أيضاً، توفي سنة (٦٣٩هـ)^(١).

وقد انضم إلى صاحب كشف الظنون من المدارس عبد الرحمن المعلمي في سلسلة مقالاته في مجلة الحج للسنّة العاشرة^(٢)، ولكنه ادعى أن الفخر ترك تفسير خمس وعشرين سورة متفرقة من سور القرآن الكريم: ومال إليه الشيخ محمد حسين الذهبي أيضاً^(٣).

وأما الدكتور علي العماري فقد وافق هذا الفريق فيما يتعلق بسورة « الواقعة » فقط.

وأما الفريق الثالث: فهم الذين قالوا بأن الفخر أكمل التفسير كله، وتأولوا كل ما ورد في المصادر التاريخية عن عدم إكماله، كما تأولوا ما ورد فيه من عبارات تشعر بأن تفسير السور التي وردت هذه العبارات في تفسيرها ليس من تأليف الإمام الرازي؛ وهذه التأويلات منها المتكلف، ومنها المقبول.

ومن هذا الفريق محمد الفاضل ابن عاشور في كتابه: « التفسير ورجاله »^(٤)؛ حيث قال: والذي يبدو في نظرنا - فيصلاً بين ذلك كله - أن الرازي لما انتصب في آخر حياته لتصنيف التفسير تمكن من إخراج شيء منه في تحريره النهائي، وبقي شيء في الأمالي والمسودات بيد بعض تلامذته فأقبل على تصنيفه وتحريره، وألحق الفرع بالأصل؛ فالكتاب بروحه هو للرازي وبتحريره هو من وضعه في الأول، ووضع تلميذه الخويّ في الآخر. على أن تحقيق

(١) انظر: (١٧٥٦/٢).

(٢) راجع: الأعداد العاشر والحادى عشر والثاني عشر.

(٣) راجع: التفسير والمفسرون (١/٢٩٣).

(٤) راجع ما كتبه الفخر وتفسيره (ص ٦٥ - ٨٨).

محل الفصل بين التحريرين أمر لا دليل عليه، ولا سبيل إلى تحقيقه بالقطع^(١).

ويمكن أن نضم إليه محمد صالح الزركان في رسالته * فخر الدين الرازي وآراؤه^(٢)، فهو قد قال بعد أن عرض لبعض أقوال المؤرخين في هذه المسألة: وحسبي الآن أن أقول: إنني أذهب إلى ما قاله الصفدي من أن الرازي ألف كل التفسير إما كتابة بيده أو إعلاء على تلاميذه. وأضيف أن السور التي أُملى تفسيرها هي السور التالية: الروم، والأحزاب، وسبأ، وق، والقمر، والواقعة^(٣).

ولا ندرى من أين استمد هذا الحكم؟!

وأما العماري فإنه سلم أن التفسير قسيان: ثابت ومشكوك فيه، فما قبل تفسير سورة الأنبياء ثابت، وتفسيرها وتفسير ما بعدها مشكوك فيه، وراح يبحث في القسم الذي صححوا نسبته إلى الفخر عن إحالات على تفسير السور التي افترضوها مشكوكًا بتفسيرها. وكل ما توصل إليه بعد بحث طويل أن عشر على جملة من الإحالات، إذا سلمت له فإن نتيجة ذلك لا تعدو إضافة تفسير بعض سور أخرى من القسم الذي اعتبروه مشكوكًا فيه، إلى القسم الذي اعتبروه ثابتًا.

وانضم إلى هذا الفريق مؤخرًا السيد محسن عبد الحميد في رسالته: * الرازي مفسرًا^(٤) التي نال بها درجة الدكتوراه من كلية الآداب - جامعة القاهرة .. فيعد أن استعرض أقوال المؤرخين في هذه المسألة وعرض ما قاله قبله الفاضل ابن عاشور والعماري قال: والذي انتهيت إليه بعد قراءتي للتفسير كله - أن جميع هؤلاء قد أخطأوا، نتيجة لعدم قراءتهم جميع التفسير؛ إذ لو فعلوا مثلما فعلت لكان من الممكن أن يصلوا إلى ما وصلت إليه، وهو أن تفسير (مفاتيح الغيب) اعتبارًا من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الناس له، وليس لغيره، وأن ما ورد فيه من عبارات تدل على أن شخصًا آخر اشترك في كتابته ليس إلا تعليقات متناثرة من بعض تلاميذه، أضيفت إلى المتن، أو كتبت في الحاشية ودخلت في المتن في أثناء استنساخه^(٥).

وقبل أن نبين وجهة نظرنا في هذا الموضوع، وتناقش أصحاب هذه الأقوال لا بد لنا من

(١) راجع: (ص ٨٧، ٨٨).

(٢) راجع: رسالته المذكورة (هـ ص ٦٦).

(٣) راجع: الرازي مفسرًا (ص ٧٣، ٧٤).

مناقشة أصل المسألة وبيان منشأ شبهة عدم إكمال الفخر لتفسيره، ليتبين لنا أولاً ما إذا كان أصل مسألة كون الرازي لم يتم التفسير مسلماً أم لا؟

الحق: أن شبهة كون الفخر لم يكمل التفسير تقوم على دعامين لا ثالث لهما:

الأولى: كلمة عابرة ذكرها ابن أبي أصيبعة أثناء ترجمته لشيخه الخوئي؛ حيث قال: ولشمس الدين الخوئي من الكتب تنمة تفسير القرآن لابن خطيب الري^(١)، وتبع ابن قاضي شبهة ابن أبي أصيبعة، فقال ما نقلناه عن طبقاته للنجاشي: وزاد عليه شيئاً مما قاله المؤرخون الآخرون من غير اطلاع على التفسير. كما أنه لم يقل مقالاته تلك في طبقات الشافعية.

وكلمة أخرى قالها ابن السبكي في طبقاته أثناء ترجمته لنجم الدين القموي؛ حيث قال: وكان عارفاً بالتفسير، وله تكملة على تفسير الإمام فخر الدين^(٢).

وردد ابن حجر ما قاله ابن السبكي في كتابه: «الدرر الكامنة» حيث قال وهو يترجم للقموي: وأكمل تفسير الإمام فخر الدين^(٣).

هذه الأقوال المطلقة لهؤلاء المصنفين تشكل الدعامة الأولى في شبهة كون الفخر لم يتم تفسيره.

أمّا أقوال بعض المؤرخين بأنه لم يكمله فلا نعتبرها سنداً لهذه الشبهة؛ لأننا نجزم بأن ما قالوه مجرد استنتاج مبني على ما ذكره ابن أبي أصيبعة في ترجمة الخوئي أو عما أشار إليه ابن السبكي في ترجمته للقموي - كما سنبين.

وأما الدعامة الثانية: لهذه الشبهة؛ فهي عبارات متناثرة وردت في أثناء تفسيره - رحمه الله - لبعض السور، وأهمها: ما ورد في تفسير سورة الواقعة، وأقوى تلك العبارات دلالة على مراد القوم: العبارة التي استند إليها مصححو طبعة عبد الرحمن، التي ذكرنا نصها وتأتي بعدها العبارات التالية.

عبارة وردت في تفسير نفس السورة؛ هي قوله: قال المفسر: المسألة الأولى أصولية، ذكرها الإمام فخر الدين - رحمه الله - في مواضع كثيرة، ونحن نذكر بعضها. فالأولى: قالت المعتزلة: هذا يدل على أنه يقال: الثواب على الله واجب؛ لأنّ الجزاء لا يجوز المطالبة به. وقد

(٢) راجع: (١٧٩/٥) ط. الحسينية.

(١) راجع: عيون الأنباء (١٧١/٢).

(٣) انظر: الدرر الكامنة (٣٢٢/١).

أجاب عنه الإمام فخر الدين رحمه الله - بأجوبة كثيرة، وأظن به أنه لم يذكر ما أقول فيه، وهو ما ذكروه: لو صح لما كان في النوع بهذه الأشياء فائدة... إلخ^(١).

وأخرى وردت في تفسير سورة الروم، ولم يشر إليها الباحثون الذين اطلعت على كتاباتهم ما عدا الفاضل ابن عاشور والذي استتبع منها استنتاجاً باطلاً سنأتي على ذكره هو قوله: المسألة الثالثة في فضيلة السبحلة والحمدلة في المساء والصباح، ونذكرها من حيث النقل والعقل:

أمّا النقل؛ فأخبرني الشيخ الورع الحافظ الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بحلب مسنداً عن النبي ﷺ أنه قال لبعض أصحابه: «نعمجز عن أن تأتي وقت النوم بألف حسنة... إلخ^(٢)». والذي في هذه المسألة قوله: «بحلب» فإن من المقطوع به - عندنا - أن الفخر لم يزر حلب.

هذه هي العبارات الواردة في التفسير والتي تشكل الدعامة الثانية من دعائم شبهة عدم إكمال الفخر لتفسيره الكبير. وكان الأجدر بجميع الباحثين الذين تكلموا في هذه المسألة أن لا يأخذوا هذين الأمرين مأخذ المسلمات، وينطلقوا في بحث المسألة في متاهات لا تنتهي، بل كان عليهم الوقوف عند هذين الأمرين أولاً، فإذا تم التأكد منهما، وقامت بهما الشبهة، فآنذاك يجري البحث في السور التي فسرها، والتي لم يفسرها هو، وعلى أساس التحقيق العلمي لهذه السور التي قامت الشبهة على أنه لم يفسرها، لا على أساس التخمينات والافتراضات والادعاءات التي لا تقوم على أساس متين.

وقد رأيت أن أُنَجِّب إضافة افتراضات جديدة إلى ركائم الافتراضات التي أطلقها من سبقني قبل الوقوف على الشبهة نفسها وما استندت إليه، وبعد البحث تبين لي ما يلي:

١ - إن مستند ابن خلكان، والمؤرخين الآخرين في قولهم بعدم إكمال الفخر للتفسير هو قول ابن أبي أصيبعة في ترجمة الخويي. وقول ابن أبي أصيبعة المتقدم ذكره أقدم قول أثار شبهة كون التفسير ناقصاً، والمترجمون للفخر كلهم، قد استقوا ترجمته كلها أو بعضها عن القفطي وابن أبي أصيبعة، وفي مقدمتهم ابن خلكان، يدرك هذا كل من اطلع على ترجمة الفخر عند ابن أبي أصيبعة ومن جاء بعده.

(١) راجع: التفسير الكبير (٨/ ٥٠) ط. الحيرية.

(٢) راجع: المصدر نفسه (٦/ ٤٧٣).

٢ - وقول ابن أبي أصيبعة - عندنا - لا يتجاوز احتماليين:

أولهما: أنه شيء قاله عن غير تثبت بدافع من حبه لشيخه الخويّ وحرصه على نسبة فضل كبير له، كفضل تكميل تفسير الفخر، يلاحظ هذا من يقرأ ترجمته للخويّ.

وثانيهما: أن الخويّ لم تطل فترة تتلمذه على صاحبنا الفخر كما مر في ترجمتنا له^(١). فقد يكون كتب لنفسه من التفسير نسخة ناقصة وبقي يتتبع ما بيد زملائه من تلامذة الفخر ويكمل عليها، فإذا صادفه شيء من النقص لا يتجاوز عبارة، أو سطرًا أو أكثر فإنه يحاول تعويض هذا النقص اليسير بأسلوب يبذل قصارى جهده لتقليد الفخر فيه. فإذا اطلع بعد ذلك على ما قاله الفخر قابل ما كتبه هو على ما كتبه أو أملاه شيخه الفخر فإن وجده موافقًا لكلامه سر بذلك، وذكره كما فعل في عبارة تفسير قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا أَلْزَمُوا الْكُتُبَ﴾ [الواقعة: ٢٣] التي تقدم ذكرها.

وأحيانًا يرى أن الفخر قد أوجز في تفسير آية من الآيات التي يكون قد أطنب في تفسير مثيلاتها؛ فيأخذ من كلامه في تفسير تلك الآيات ويضيفه إلى تفسير تلك الآية، وقد يضيف من عنده بعض العبارات عليها لظنه أن ذلك يضيف إلى ما قاله شيخه شيئًا من الفائدة للقارئ كما فعل في تفسير قوله تعالى: ﴿جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ٢٤] وهي العبارة التي اعتبرناها الجزء الثاني من الدعامة الثانية للشبهة، فهو قد قال: هذه المسألة أصولية ذكرها الإمام فخر الدين - رحمه الله - في مواضع كثيرة، ونحن نذكر بعضها... فقوله هذا يدل بوضوح على أن الفخر أوجز في تفسير هذه الآية، ولم ير أن يعيد ما ذكره في مواضع كثيرة، بينما رأى تلميذه - هذا - أن في إعادة بعض ما ذكره فائدة، وبعد أن أعاد ما ذكره الفخر في مواضع أخرى، ورد عليه اعتراض للمعتزلة؛ فذكر أن الفخر أجاب عنه بأجوبة كثيرة. ولكنه أراد أن يضيف إلى إجابات الفخر جوابًا عنده أيضًا؛ فقال: وأظن أنه لم يذكر ما أقول فيه، وهو ما ذكره... إلخ.

وكذلك فعل في تفسير سورة الروم أراد أن يضيف إلى ما قاله شيخه الفخر في فضل «السبحلة والحمدلة» شيئًا نقليًا؛ فأضاف حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان المذكور، والذي يغلب على الظن أنه سمع منه هذا الحديث في حلب حين كان قاضيًا في الشام؛ لأن هذا الحديث لا يمكن اعتباره ناقله الفخر؛ حيث قد ثبت لنا بأنه لم يتجاوز في

رحلاته بلاد إيران والأفغان وبعض البلدان الهندية، وإن توهم الفاضل ابن عاشور بناءً على هذا الحديث أنَّ الفخر قد زار الشام، ولما كان المسافر من إيران إلى الشام لا بد وأن يمر بالعراق فقد تفضل و مر به على العراق أيضًا^(١).

هذه الإضافات من اللخويي وأمثالها مما قد يكون إضافة لربط الكلام أو تعويضًا عن كلمة ساقطة أو عبارة - تسامح تلميذه ابن أبي أصيبعة، واعتبرها تكملة للتفسير، وجاء المؤرخون الآخرون واستنتجوا أن التفسير ناقص. ثم عمد نحو ابن قاضي شهبة إلى أفواه الناس ليتعرف عن طريق أقوال لا سند لها على مقدار النقص، ولذلك نجد قوله مضطربًا غاية الاضطراب.

والذي يؤيد ما ذهب إليه أن سائر من ترجموا للرخويي لم يذكروا له هذه التكملة، مع ذكر بعضهم لمؤلفاته، واستقرأ ابن العماد، وأبي شامة لها، فلو كانت هذه التكملة شيئًا معتبرًا لذكرها هؤلاء المؤرخون^(٢).

يضاف إلى هذا أن كتاب ابن أبي أصيبعة نفسه ثبت أنه أبرزه صاحبه أول مرة سنة أربعين وستائة هجرية مجردًا عن الزيادات، ثم أبرزه ثانيًا مع زيادات كثيرة قبيل وفاته^(٣)، كما أبرزه ثلاثة زيادات أخرى بعد وفاته، والطبعة التي بين أيدينا مأخوذة عن الإبرازة الثانية المزيده فيها.

وهذا يفسر لنا التناقض الظاهر بين ما ذكره في ترجمته للفخر: مما يشعر بأنه اطلع على التفسير كاملاً، وما ذكره في ترجمته للرخويي من أنَّ له تنمة على التفسير، مما يشعر بأن قوله هذا إنما هو زيادة أضافها لكتابه فيما بعد بسبب ما ذكرناه.

وبهذا تنهاوى هذه الدعامة من دعائم الشبهة القائلة بنقصان تفسير الفخر، وتسقط معها أقوال جميع المؤرخين الناقلين عن ابن أبي أصيبعة.

وأما إشارة ابن السبكي إلى أن لنجم الدين القموي تكملة على تفسير الفخر؛ فإنها مصدر المؤرخين المعاصرين له أو المتأخرين عنه الذين ذكروا أن للقموي تكملة على

(١) راجع: التفسير ورجائه (ص ٦٩).

(٢) راجع: طبقات ابن السبكي (٨/٥)، والعبر (١٥٢/٥)، والذيل (ص ١٦٩)، ومرآة الزمان (٣٠/٨)، والشذرات (١٨٣/٥)، والبداية (١٥٥/١٣).

(٣) راجع: أصول نقد النصوص (ص ٣٠).

التفسير؛ ومنهم الأسنوي^(١)، وابن حجر^(٢)، وابن العماد^(٣).

وهذه هي الأخرى معارضة بأن ابن السبكي نفسه قد ذكر التفسير من جملة ما ذكر من مصنفات الفخر ولم يشر إلى نقصانه، كما نفى بشدة نسبة كتاب: «السر المكتوم» له وسيأتي ما يبطل هذا النفي، كما أنه أنكر على شيخه الذهبي بشدة ترجمته للفخر في حرف «الفاء» وادعى أن الإمام لا يعرف بـ «الفخر» وقد علمت أنه أهم ألقابه.

فالرجل على جلالة قدره، وتحريه الدقة في ما يكتب، إلا أنني لاحظت في ترجمته للفخر ما ذكرته. مما يحملنا على أن لا نأخذ ما ذكره مأخذ المسلمات إلا إذا كان غرضه من التكملة - التي ذكرها في ترجمة القمولي - ما ذهبنا إليه وإذا سلمنا فلا بد لنا من القول بأن نسخة من التفسير قد وصلت القمولي، فصنع بها ما صنعه الخوي من قبل، فأطلقوا عليها تكملة من قبيل المبالغة، أو التسامح. وإذا كنا قد عثرنا في التفسير على بعض العبارات التي يمكن أن تنسب إلى الخوي، فإننا لم نعثر كما لم نعثر غيرنا - فيما نعلم - على ما يمكن أن ينسب إلى القمولي.

ثم إذا كان القمولي قد فسر بعض السور وألحق تفسيره ذلك بالتفسير الكبير؛ فلم لم يصفوا لنا هذه التكملة كما وصفوا مصنفاته الأخرى؟ ولِمَ لَمْ يذكروا مقدارها إذا كانت تكملة بالمعنى الذي فهمه الباحثون؟

فإنهم قد بينوا مواضع النقص في كتب هي أقل شأنًا من التفسير الكبير^(٤).

يضاف إلى هذا أن ابن حجر ذكر التفسير في لسان الميزان^(٥)، ونقل ملخصًا لقول ابن الطوفي فيه، كما نقل أن السرمياحي المغربي صنف كتاب «المأخذ» في مجلدين بين فيهما ما في تفسير الفخر من الزيف والبهرج!! وتحدث عنه وعن بعض كتب الفخر الأخرى حديث الخبير بها، فلو كان الفخر لم يكمل تفسيره لأشار إلى ذلك، أو لكانوا استثنوا تكملة الخوي أو القمولي من النقد الذي وجهوه للتفسير.

(١) في طبقات الشافعية (٢/ ٢٢٣).

(٢) في الدور الكامنة (١/ ٣٢٥).

(٣) في الشذرات (٥/ ٧٦).

(٤) راجع. عبود الأنباء (٢/ ٢٩، ٣٠)، والمراجع التي أخذت عنه.

(٥) راجع: (٤/ ٤٦٦ - ٤٦٩).

فإن الحفاظ الذهبي يقول: قَلَّ من يعتني اليوم بالتفسير، بل يطالع المدرسون تفسير الفخر الرازي، وفيه إشكالات وتشكيكات لا ينبغي سماعها، فإنها محتر، وتعرض، ولا تشفي غليلاً^(١)!

فكيف يغفل كل هؤلاء الحديث عن نقصانه لو كان ناقصاً، وكيف لا يشتهر هذا الأمر شهرة توازي شهرة التفسير نفسه؟ وكيف لا تشتهر هذه التكملة، ومن أين ابتدأت وإلى أين انتهت ويشتهر كاتبوها؟

إن من يفسر من (سورة الأنبياء) إلى آخر القرآن الكريم، على الأسلوب الذي سار عليه الفخر أهل لأن يسلك في عداد المفسرين، وأن يترجم له في طبقاتهم. والسيوطي قد ترجم للقموي في حسن المحاضرة^(٢)، وذكر مصنفاته، ولم يذكر من بينها التكملة المشار إليها، كما لم يذكر شيئاً عنه في طبقات المفسرين.

ومن هذا كله يتبين لنا أن ما أطلق عليه اسم تكملة في ترجمة بعض المؤرخين للخويي والقموي لا يبدو أن يكون إضافات وزيادات محدودة لا تتجاوز جملاً وعبارات متناثرة هي أشبه بالتعليق احتاجوا لإضافتها إلى تفسير سور أملاها الفخر إملاء - كما أسلفنا عن الصفدي - وسأها البعض تسامحاً بالتكملة، فظن من جاء بعدهم أن التفسير ناقص، بناءً على هذه الشبهة الباطلة.

وإذا ما أريد اكتشاف هذه التعليقات كلها وتمييزها عن تفسير الفخر فلا بد من القيام بتحقيق التفسير تحقيقاً علمياً دقيقاً، تنهض به جماعة من العلماء بالتفسير، الخبراء بالتحقيق، وتجمع لها نسخ التفسير الخطية من أنحاء العالم وكذلك المطبوعة وتقابلها ببعضها، فلعله آنذاك يثبت بشكل قاطع أن التفسير كله من تأليف الفخر، وأن بعض الإضافات أو الزيادات التي أدخلها الخويي والقموي لا تستحق أن يطلق عليها تكملة، وأنها من قبيل إضافات المحققين على نص به سقط أو خروم لا يستهدفون منها سوى ربط الكلام ببعضه.

وأما ما ورد في شرح الشهاب الحفاجي، ونقله كاتب هوامش إحدى طبعات كشف الظنون وتأثر به الذهبي والمعلمي - من المعاصرين - فقد رأيت أن هذا القول لا يمكن أن يكون للقاضي عياض، وقد توفي في نفس السنة التي ولد فيها الفخر، وأستبعد أن

(١) راجع: بيان زغل العلم والطلب (ص ١٩، ٢٠).

(٢) انظر: (١/٤٢٤).

يكون ذلك الكلام من قول الشهاب الخفاجي، لما فيه من تناقض، وقلة اطلاع لا يليقان بشارح الشفاء؛ ذلك لأن قائل هذا انقول قال: الثابت في كتب التاريخ أن التفسير الكبير وصل إلى سورة الأنبياء.

وقد نقلنا لك كل ما أمكن الاطلاع عليه من أقوال المؤرخين وليس فيها قول واحد يتفق وما ذهب إليه، فإطلاعه ما تقدم من القول دليل ظاهر على قلة اطلاعه، وعدم تثبه ثم زعم الكاتب المذكور في المعرض دفاعه عن الفخر: أنه لم يتعرض للغمي؛ أي لتفسير «الغمي» في قوله تعالى: ﴿وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨]. وقد تعرض - رحمه الله - لذلك ففسر العائل من وجهين، ثم ذكر في كيفية الإغناء أربعة أوجه^(١).

وأما قول الشارح الشهاب: وتقرير الدليل على ما قاله الإمام: إن كمالك وعبادتك... إلخ فهذه العبارات قد وردت في التفسير^(٢) مع اختلاف طفيف عما ذكره الشارح فلا وجه لإنكارها.

وبهذا يثبت أن ما ورد ضمن شرح الشفاء لا يمكن أن يكون من كلام الخفاجي؛ بل هو زيادة كتبها ناسخ أو معلق على هامش نسخة خطية من شرحه، وأدرجت فيه عند الطبع سهواً، ولولا أن هذا المعلق المجهول نسب القول بنقصان التفسير إلى المؤرخين - لقلنا: أنه اطلع على نسخة خطية ناقصة تنتهي بسورة الأنبياء، فقال ما قال. ولكنه نسب ادعاه إلى المؤرخين من غير أن يذكر أحداً منهم.

والعجب من الباحثين الذين تناولوا هذه المسألة الخطيرة؛ أنهم لم يتكلفوا عناء الرجوع إلى شرح الشفاء مع أنه مطبوع ومتداول، واقتصروا على ما ورد في هامش كشف الظنون نقلاً عنه، وكان الأولى بهم أن يرجعوا إليه ليحللوا عبارته ويتثبتوا منها قبل أن يحولوها إلى حقيقة علمية. يدور حولها النقاش، ويكثر الجدل.

وقبل أن أختم حديثي عن مفاتيح الغيب لا بد من الوقوف قليلاً مع أولئك المؤرخين الذين أثاروا هذه الشبهة، والكتّاب الذين عمقوا بما كتبوا أساسها، وأعطوها من المتانة ما لا تستحق.

أما المؤرخون الأقدمون؛ فقد علمت أن أهم آفات معظمهم: نقلهم عن سبقهم من غير

(١) انظر: التفسير (٨/ ٤٥٢، ٤٥٣) ط. الخيرية.

(٢) انظر: (٨/ ٤٥٠).

ثبت أو تحقق، وكأن التأريخ للأشخاص ليس أكثر من حشد كل ما يمكن حشده من أقوال عن شخصية المترجم له مهما كان في هذه الأقوال من تناقض، ومهما ترتب عليها من نتائج.

وأما الكتاب المحدثون؛ فقد أسهموا مع ابن أبي أصيبعة وابن السبكي في ترسيخ هذه الشبهة، سواء أولئك الذين سلموا بها وادعوا نقصان التفسير؛ أمثال صاحب كشف الظنون والمعلق عليه، ومن بعدهما الشيخ الذهبي والمعلمي، أو أولئك الذين سلموها ثم ذهبوا يبحثون في التفسير عن إحالات أو عبارات تساعد على القول بأن هذه السورة أو تلك هي من تفسير الفخر، فإنهم في فعلهم هذا عمقوا أساس الشبهة، وأعطوها الكثير من القوة، وإن كانوا قد جزأوها.

فإن محمد صالح الزركان ذكر تلك الشبهة كلها، ولكنه حين جاء لمناقشتها اكتفى بإطلاق القول بأن الفخر قد أكمل التفسير من غير أن يحتاج لذلك بشيء، بحجة أنه حذف البحث خوف الإطالة، ونصح أستاذه له بذلك، وليته إذ فعل هذا حذف المسألة جملة، أما أن يذكر الشبهة ثم يخشى الإطالة من ذكر ما يبطلها فلا أظنه مقبولاً.

وأما الفاضل ابن عاشور فإنه هو الآخر قد أعطى افتراضات واحتمالات لم يحاول التدليل على شيء منها، وتبدو على بحثه هذه المسألة اللهجة الخطابية التي تعني بالعبارات أكثر مما تعني بمدلولاتها ولا أدل على ذلك من حكمه - الذي لم أطلع على ما يشهد له فيه - بأن الفخر قد زار العراق والشام، استنتاجاً من عبارة الخوي في التفسير التي أسلفنا ذكرها.

وأما الدكتور العماري؛ فقد بذل الرجل في هذه المسألة جهداً واضحاً وبحثها في عشرين صفحة من بحثه، ولكنه سلم الشبهة وسلم ما ورد في هامش كشف الظنون: من أنه وصل إلى سورة الأنبياء ثم بنى بحثه على أساس استثناء تفسير كل سورة - من سور الأنبياء وما بعدها - عليها إحالة في تفسير السور التي ثبت أن تفسيرها من تأليف الفخر وما لم يجد عليه إحالة فإنه يبقى موضع شك، كما جزم بأن تفسير سورة الواقعة ليس من تأليف الفخر.

وأما محسن عبد الحميد الذي أطلق قوله بأن ما بين دفتي التفسير كله للفخر بغير استثناء، وخطأً سابقه، وعاب عليهم أنهم لم يفعلوا كما فعل، فيقرأوا التفسير كله كما قرأ، ليحكموا بمثل حكمه - فقد أملت أن أجد عنده ما يؤيد هذه الدعوى العريضة، ولكنه لم يتجاوز مسلك الدكتور العماري؛ فقسم هو الآخر التفسير إلى قسمين: ما قبل سورة الأنبياء وتفسير سورة الأنبياء وما بعدها، ونقل عن العماري جل ما قاله، وإن كان قد قال

عنه بعد كل ذلك النقل المستفيض: وهكذا انتهى بحث العياري إلى هذه الفرضيات التي لا تستند إلى أساس علمي سليم^(١).

ولم يضاف إليه أكثر من جزمه - لا عن دليل مقنع - بأن تفسير سورة الواقعة أيضًا هو من تأليف الفخر عدا العبارات التي ذكرناها فهي عنده من تعليقات تلميذه - لا ندري أي تلميذ يقصد - ودخلت المتن بفعل الشَّاخ إلى صلب التفسير، أو أضافها في أماكنها عندما وجد بعض الأوراق ضائعة من الأصل^(٢).

وبمثل هذه الأقوال استقر أصل الشبهة وبقي مجال البحث والافتراضات مفتوحًا أمام من يشاء لإدخال هذه السورة ضمن السور المشكوك في تفسير الفخر لها أو إدراجها ضمن ما ثبت تفسيره لها؛ ذلك لأنهم سلموا ما ذكره المؤرخون ولم يناقشوه.

هذا وأود التنبيه إلى أن ما اهتم به بعض الباحثين الأفاضل من عبارات وردت في أواخر بعض السور يذكر فيها تاريخ فراغه من تفسيرها، ومكان الفراغ لا ينبغي اعتباره مقياسًا للحكم بأن تفسيره للسور التي لم يرد في أواخرها نحو هذا مشكوك فيه؛ ذلك لأن تفسير سورتي الفاتحة والبقرة له بالإجماع، ومع ذلك لم يذكر في آخرهما تاريخ الفراغ ولا مكانه.

وأقصى ما يمكن أن يؤخذ من هذا هو أن نعتبر ذلك قرينة نرجح بموجبها أن السور التي وردت تلك العبارات في خواتيم تفسيرها هي من كتابته وتحريره، والأخرى قد تكون مما أملاه إملاءً.

وبعد... فلعلني فيما ذكرت هدمت هذه الشبهة كلها، وأثبت أن الفخر قد أكمل تفسيره كله، ولكن النسخ التي طبع التفسير عنها هي نسخ فيها ما أخذ عن أصل المؤلف المحرر، وفيها ما أخذ عن أصل أملي إملاءً، فأدخل عليه من أدخل بعض تصليحات وزيادات قل أن يسلم منها كتاب لم يعثر على أصله بخط مؤلفه، أو يحقق على عدة نسخ، وأن ما يثير الشبهات من عبارات التفسير حول صحة نسبة هذا الكتاب كله أو بعضه للفخر لا يحتاج لأكثر من تحقيق علمي دقيق لكي يتميز عنه، ونموت هذه الضجة المثارة حول أجمع وأهم تفسير لكتاب الله تعالى.

(١) راجع: الرازي مفسرًا (ص ٧٣).

(٢) نفس المصدر (ص ٨١).

ثانياً: كتب علم الكلام.

كتب علم الكلام التي نسبتها المصادر إلى الفخر هي:

- ٢٠ - أجوبة المسائل التجارية.
- ٢١ - أجوبة مسائل المسعودي.
- ٢٢ - إرشاد النظار إلى لطائف الأسرار.
- ٢٣ - الأربعين في أصول الدين.
- ٢٤ - الإشارة في علم الكلام.
- ٢٥ - الإشاعة لأشراط الساعة.
- ٢٦ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركون.
- ٢٧ - آغاز وأنجام.
- ٢٨ - الأنوار القوامية في الأسرار الكلامية.
- ٢٩ - البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان.
- ٣٠ - تأسيس، أو أساس التقديس.
- ٣١ - تحصيل الحق في تفصيل الفرق.
- ٣٢ - الجمل في الكلام.
- ٣٣ - الحدود.
- ٣٤ - كتاب الخمسين في أصول الدين.
- ٣٥ - الخلق والبعث.
- ٣٦ - خلاصة الدلائل في تنقيح المسائل.
- ٣٧ - دقائق الحقائق.
- ٣٨ - الرياض المونقة - في الملل والنحل - .
- ٣٩ - الرسالة الكيمائية في الحقائق الإلهية.
- ٤٠ - الرسالة الصحابية.
- ٤١ - الرسالة المجدية.

- ٤٢ - رسالة في التوحيد أو كلمة التوحيد.
- ٤٣ - رسالة في النبوات.
- ٤٤ - رسالة في نفي الحيز والجهة.
- ٤٥ - زبدة الأفكار وعمدة النظار، أو الزبدة.
- ٤٦ - شرح إثبات الواجب.
- ٤٧ - شرح الإرشاد.
- ٤٨ - الصحائف الإلهية.
- ٤٩ - عصمة الأنبياء.
- ٥٠ - القضاء والقدر.
- ٥١ - اللطائف الغيائية.
- ٥٢ - لوامع البينات. شرح أسماء الله تعالى والصفات.
- ٥٣ - المباحث العمادية في المطالب المعادية.
- ٥٤ - محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين.
- ٥٥ - المحصول في علم الكلام.
- ٥٦ - مختصر في علم أصول الدين.
- ٥٧ - مختار التحجير.
- ٥٨ - المطالب العالية.
- ٥٩ - المعالم في أصول الدين.
- ٦٠ - الملخص في أصول الدين.
- ٦١ - متهاج الرضا.
- ٦٢ - نهاية العقول في دراية الأصول.
- ٦٣ - نهاية الوصول في علم الأصول.
- ٦٤ - النوع الأول من المعاني.

٢٠ - أجوبة المسائل النجارية:

ذكرها ابن السبكي في الطبقات (٣٥/٥)، وابن خلكان (٦٧٦/١)، والياضي (٧/٤)،
والذهبي في تاريخ الإسلام (٦٤٣/٢٧)، والصفدي (٢٥٥/٤)، والعيني في عقد الجمان
(١٧/٢/٣٢٣)، وطاش كبرى زاده (١١٨/٢)، كما ذكره الفخر في كتابه: «اعتقادات
الفرق» (ص ٩١). وذكره البعض باسم: «جوابات المسائل النجارية».

٢١ - أجوبة مسائل المسعودي:

ذكره نصير الدين الطوسي في شرحه على الإشارات والتنبيهات لابن سينا - القسم
الثاني من طبعة دار المعارف بمصر (ص ٣٢٩).

٢٢ - إرشاد النظار إلى لطائف الأسرار:

ذكره ابن السبكي في الطبقات مصححاً - إرشاد النظائر - (٣٥/٥) ط. الحسينية،
وذكر الففطي كتاباً بعنوان: «زبدة الأفكار وعمدة النظار» (ص ١٩١)، وابن أبي أصيبعة
ذكر كتاباً بعنوان: «عمدة النظار وزينة الأفكار»، وذكره ابن خلكان (٦٧٦/١) بعنوانه
الذي ذكرناه، وكذلك الياضي (٧/٤)، والصفدي (٥٥/٤)، والذهبي في تاريخ
الإسلام (٦٤٣/٢٧)، والعيني في عقد الجمان (١٧/٢/٣٢٣)، وطاش كبرى زاده
(١١٨/٢)، وذكره الفخر في اعتقادات فرق المسلمين والمشركون (ص ٩٢)، وذكر
البغدادي في «هدية العارفين» كتاباً بعنوان: «عمدة النظار وزينة الأفكار» مع كتاب
«إرشاد النظار إلى لطائف الأسرار» المذكور. انظر: (١٠٨/٢)، ولعله تأثر باختلاف
تسمية الكتاب عند المؤرخين، والراجع أن العنوانين لكتاب واحد، وتعرض العنوان
لتصرفات النساخ.

٢٣ - الأربعين في أصول الدين:

ذكره الففطي (ص ١٩١)، وابن أبي أصيبعة (٢٩/٢)، وابن خلكان (٦٧٦/١)،
وابن كثير في البداية (٥٥/١٣)، وابن السبكي في الطبقات (٣٥/٥)، وابن تغري بردي
في النجوم (١٩٧/٦)، والياضي (٧/٤)، والصفدي (٥٥/٤)، وابن قاضي شهاب في
طبقات النحاة (٤٨/١ ب)، وطاش كبرى زاده (١١٨/٢)، وحاجي خليفة (٦١/١)،
وقال عنه أنه ألفه لولده محمد ورتبه على أربعين مسألة من مسائل الكلام، ثم خصه
القاضي سراج الدين أبو الثناء محمود بن أبي بكر الأرموي المتوفى سنة «اثنين وثمانين

وستهائة « وسماه اللباب أو « لباب الأربعين »، والبغدادى في (١٠٧ / ٢)، وبروكلمان في (٦٦٧ / ١).

وقد طبع « الأربعون » بمطبعة مجلس دائرة المعارف بالهند في حيدر آباد، سنة (١٣٥٣ هـ) عن نسختين خطيتين.

وله عدة نسخ خطية، في بغداد - الأوقاف (٢٣١٩)، وفي القاهرة: قوله (١٣١)، علم الكلام، والتمورية (٦١٥) كلام، والمكتب الهندي (٤٠٤)، وبودليانا (٨٦ / ٢)، وجاريت (١٤٨٦)، ومشهد (٢١ / ١ - ٤١)، وأشار إليه الرازي في التفسير (١١٤ / ١٣) ط. عبد الرحمن محمد؛ ولوامع البيئات (ص ٢٢٤)، وأسرار التنزيل ورقة (٤٤ ب)، وقد ألفه لولده محمد؛ حيث قال في مقدمته: أردت أن أكتب هذا الكتاب لأجل أكبر أولادي وأعزهم عليَّ محمد... ليكون هذا الكتاب دستوراً له يرجع في المضايق إليه (ص ٣).

ولمخلص الأموي نسخة خطية في أحمد الثالث (١٣٨٣ هـ) باسم « لباب الأربعين »، وها صورة في معهد المخطوطات في الجامعة العربية، وله شرح مخطوط أيضاً في لانه لي (٢٢٤٦) ونعتقد أن « المسائل الأربعون » الذي ذكره بروكلمان هو هذا الكتاب لا سواه.

٢٤ - الإشارة في علم الكلام:

ذكره القفطي بعنوان: « تنبيه الإشارة » (ص ١٩١)، والصفدي بعنوان: « الإشارات » (٢٥٥ / ٤)، وفي كوبرلي في إستانبول مخطوطة منسوبة إلى الفخر بعنوان: « الإشارة في علم الكلام » تحت رقم (٢ / ٥١٩)، ولها فيلم محفوظ في معهد المخطوطات. ونرجح أن تكون هذه النسخة هي التي أشار إليها القفطي والصفدي.

٢٥ - الإشاعة لأشراط الساعة:

نسبه إلى الفخر جميل العظم في « عقود الجواهر » (ص ١٥٠)، وفي كتيبخانة حاج سليم أغا في إستانبول يرى هذا الكتاب منسوباً للفخر أيضاً تحت رقم (٥٨٢)، ونعتقد أن العظم أخذ عن هذا الفهرس، والحقيقة أن هذا الكتاب لمحمد بن عبد الرسول العلوي الحسيني البرزنجي المتوفى سنة (١٠٦٧ هـ).

وله نسخة في القاهرة طلعت (٤١٣) علم الكلام، كما نسب في فهرس أخرى إلى مؤلفه الحقيقي كفهرس أسعد أفندي (١١٤٢)، ولیدن (١٠٠٢).

وقد طبع في القاهرة سنة (١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م) بمطبعة السعادة باسم مؤلفه السيد الشريف محمد بن عبد الرسول الحسيني البرزنجي ثم المدني (ب ٢٨٨ ص)، أوله: أحمد من أوضح منهاج الحق، ونصب عليه في كل شيء دليلاً... إلخ.

٢٦ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركون، أو الملل والنحل *

ذكره ابن أبي أصيبعة بعنوان: « الملل والنحل » (٣٠ / ٢)، والصفدي (٢٥٥ / ٤)، والذهبي في « تاريخ الإسلام » (٦٤٦ / ٢٧)، وصاحب « الشذرات » (٢١ / ٥)، ولم يذكره ابن قاضي شهبة لا في « طبقات الشافعية » ولا في « طبقات اللغوين »، وزعم الزركان أنه ذكره في « طبقات الشافعية ». وذكره البغدادي في « هدية العارفين » (١٠٨ / ٢)، وسماه بروكلمان باعتقادات فرق المسلمين والمشركون (٦٦٨ / ١)، وقد سماها الدكتور النشار الذي أعدها للنشر بتسمية بروكلمان، مفضلاً هذا العنوان الذي وجده على صدر المخطوطة على العنوان الآخر الذي وجده على نفس المخطوطة، وهو (الرد على الفرق للفخر الرازي). انظر: مقدمة الدكتور النشار (ص ٣)، وقد ذكر الشيخ مصطفى عبد الرزاق في محاضراته المنشورة مع الرسالة (ص ١٣) أن الكتاب ذكر في كشف الظنون، ولم نجد له ذكرًا فيه، فلعل الشيخ قصد أنه ورد في هدية العارفين مع العلم بأن طبعتي « كشف الظنون » السابقتين على طبعة إستانبول الحديثة فيها الكثير مما أضافه القراء إلى الكشف نفسه، فطبعة تركيا الأخيرة مجردة عن هذه الإضافات الدخيلة على الأصل.

٢٧ - آغاز وأنجام:

ذكره منسوباً إلى الفخر بروكلمان، وأشار إلى الذريعة إلى تصانيف الشيعة كمصدر استقى منه هذا (٣٦ / ١)، وبالرجوع إلى الذريعة وجدناه ينسبه إلى نصير الدين الطوسي فيبدو أن بروكلمان أخطأ في النقل، وله نسختان في إستانبول منسوبتان إلى الطوسي - فاتح رقم (٥٣٨١ - ٥٤٣٦)، وأغاز وأنجام بالفارسية تعني البداية والنهاية.

٢٨ - الأنوار القوامية في الأسرار الكلامية:

ذكرها منسوبة إلى الفخر فهرس بشير أغارقم (٢٣٣) علم الكلام، ولا له لي (٢١٥٢) علم الكلام، وسماها بكتاب (المحصل) المسمى بـ (الأسرار الكلامية والأنوار القوامية) لفخر الدين الرازي، ولا نعلم أحداً سمى (المحصل) بهذه التسمية. وذكرها صاحب الذريعة في تصانيف الشيعة، وقال: لعلها ليرزا قوام الدين الرازي

الطهراني، أو ميرزا قوام الدين السيفي القزويني. انظر: (٤٣٩/٢).

٢٩ - البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطفغان:

ذكره ابن السبكي في الطبقات (٣٥/٥)، وابن خلّكان (٦٧٦/١)، والياضي (٧/٤)، والصفدي (٢٥٥/٤)، وطاش كبرى زاده (١١٨/٢)، لكنه حذف كلمة البيان؛ وقال: والبرهان في الرد... إلخ، وحاجي خليفة (٢٦٢/١).

٣٠ - تأسيس أو أساس التقديس:

ذكره الثفطبي بعنوان: تأسيس التقديس (ص ١٩١)، وابن أبي أصيبعة كذلك (٢٩/٢)، وذكر أن العادل أبا بكر أرسل له ألف دينار عنه، والذهبي في « تاريخ الإسلام » (٦٤٤/٢٧)، وزعم أنه في تأويل الصفات، وابن قاضي شهبة في « الطبقات » ورقة (٤٤)، والصفدي (٢٥٥/٤)، وابن العماد في « الشذرات » (٢١/٥)، وفي النجوم أثناء الحديث عن ولاية الملك العادل سيف الدين أبي بكر، قال ابن تغري بردي: صنف له فخر الدين الرازي كتاب تأسيس التقديس، وذكر اسمه في خطبته وسيره إليه من بلاد خراسان. انظر: (١٦٣/٦)، وكشف الظنون (٢٣٣/١)، وبروكلمان (٦٦٧/١). هذا وقد كان لهذا الكتاب أثر حميد في إيقاف الخشوية في الشام عند حدهم. انظر: مقدمة الغرة المنيقة (ص ٧).

وقد طبع الكتاب بمطبعة مصطفى البابي الحلبي مع كتاب يسمى: « الدرة الفاخرة » للشيخ ملا عبد الرحمن الجفامي سنة (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م).

وذكر أن لابن تيمية - رحمه الله - ردًا على أساس التقديس^(١).

٣١ - تحصيل الحق في تفصيل الفرق:

ذكره الصفدي (٢٥٥/٤)، والياضي (٧/٤)، وابن خلّكان (٦٧٦/١)، وابن السبكي في طبقاته (٣٥/٥)، وطاش كبرى زاده (١١٨/٢)، وحاجي خليفة (٣٥٩/١)، وقال: تحصيل الحق في الكلام، وفي الوفيات نقل ابن خلّكان عن تحصيل

(١) انظر: تعليق الشيخ زاهد الكوثري على التمهيد في الدين لأبي المظفر الأسفرايني حاشية الصفحتين (٩٦، ٩٧)، فقد أورد عبارات من رد ابن تيمية وهذا الرد موجود في المكتبة الظاهرية في دمشق. طي الكواكب الدراري لابن زكوي الحنبلي.

الحق: أن الفخر اشتغل في علم الأصول على والده ضياء الدين عمر، وذكر السلسلة إلى آخرها (٦٧٨/١). ولكن لا أثر لهذا الكتاب في الفهارس إلا في فهرس أحد الثالث في إستانبول تحت رقم: (١٩٢٩/٢)، ولها صورة في معهد المخطوطات، ولكن مباحث هذه النسخة في الجدل وفيها بعض المباحث في أصول الفقه بينما تحصيل الحق في علم الكلام، ولذا فإننا نرجح أن الكتاب قد فُقد أو أنه أدمج في كتاب كلامي آخر، أو أن هذا الاسم لكتاب كلامي آخر. وأرى أنه كتاب في الفرق مبسوط.

٣٢ - الجمل في الكلام:

ذكره حاجي خليفة منسوباً للفخر، كشف الظنون (٦٠٥/١)، وتابعه البغدادي في هدية العارفين (١٠٨/٢)، وفي برلين نسخة بهذا العنوان تحت رقم: (٥١٦٤)، وفي فهرس أيا صوفيا نسخة بعنوان «كتاب في الكلام» تحت رقم: (٢٢٥٧)، فلعلها نسخة لهذا الكتاب أو سواء فإن عناونها غير محدد.

٣٣ - الحدوث:

ذكره القفطي وقال: كتاب «رسالة الحدوث» - مجلد - (ص ١٩٢)، وابن أبي أصيبعة (٢٩/٢) - «رسالة الحدوث» - والبغدادي في هدية العارفين (١٠٧/٢)، وبروكلمان - الملحق (٩٢٣/١)، وله مخطوطة في ليبزج (٨٥٦).

٣٤ - كتاب الخمسين في أصول الدين:

كتبه بالفارسية، ثم ترجم إلى العربية، ذكره القفطي (ص ١٩٢)، وابن أبي أصيبعة (٣٠/٢)، وابن حجر في لسان الميزان (٤٢٧/٤)، والصفدي (٢٥٥/٤)، وابن قاضي شهبة في طبقات النحاة (٤٨/١)، وابن الملحق الأندلسي في طبقات الشافعية ورقة (٧٤)، وحاجي خليفة (٧٢٥/١)، والبغدادي (١٠٧/١)، وبروكلمان (٦٦٨/١)، والملحق (٩٢٣/١)، طبع في القاهرة ضمن (مجموعة رسائل) في مطبعة كردستان العلمية سنة (١٣١٨هـ).

وله نسخ خطية في بغداد - الأوقاف (٣٨٣١) - وفي القاهرة - الأزهر (٢٤٦) ودار الكتب (١٩٠) مجاميع - وفي دمشق - الظاهرية (٥٨) توحيد - وفي إستانبول - فاتح (٢٩٩٣) - وعنهما فيلم في معهد المخطوطات.

٣٥ - الخلق والبعث:

ذكره القفطي (ص ١٩٢)، وابن أبي أصيبعة (٣٠ / ٢)، والصفدي (٢٥٥ / ٤)،
والبغدادي في هدية العارفين (١٠٨ / ٢)، وله نسخة خطية في إستانبول كوبرلي (٨١٦)
عقائد وكلام، وعليه إحالة في المحصول في باب استصحاب الحال.

٣٦ - خلاصة الدلائل في تنقيح المسائل:

له نسخة في جوتا برقم: (٩٩٦) منسوبة للفخر وليس لها ذكر فيما اطلعنا عليه من
مصادر، ولعلها خلاصة الدلائل في تنقيح المسائل من شروح (مختصر القدوري) في
فروع الحنفية، لحسام الدين علي بن أحمد بن مكّي الرازي الحنفي المتوفى سنة (٥٩٨ هـ)،
انظر: كشف الظنون (١٦٣٢ / ٢)، (٧١٨ / ١)، ومفتاح السعادة (٢٨٣ / ٢)، فتكون في
الفقه الحنفي وليست في الكلام.

وأخطأ فهرس (جوتا) في نسبتها للفخر، وفي إدراجها ضمن الكتب الكلامية.

٣٧ - دقائق الحقائق:

ذكره بروكلمان في الملحق (٩٢٣ / ١)، ونسب إلى الفخر في فهرس أصفيه في
حيدر آباد وهو مطبوع ومترجم إلى الأردية رقم: (٥١٥)، وجامعة أبروين (٢٦٢)
إهيات، ولعله كتاب دقائق الحقائق في الحكمة المنسوب إلى سيف الدين الأمدي. انظر:
كشف الظنون (٧٥٨ / ١).

٣٨ - الرياض المونقة (في الملل والنحل):

ذكرها القفطي (ص ١٩٢)، وابن أبي أصيبعة (٣٠ / ٢)، والصفدي (٢٥٥ / ٤)،
والبغدادي في هدية العارفين (١٠٧ / ٢)، والعظم في عقود الجواهر (ص ١٥٢). وقد
توهم قنواتي أن هذه الرسالة هي نفس رسالة: « اعتقادات الفرق »، و « الملل والنحل »
وليس كذلك، فإن الإمام - رحمه الله - قد أحال عليها في التفسير؛ فقال: ... فليطالع
كتابنا الذي سميناه بـ « الرياض المونقة ». راجع: (٩٧ / ٥) ط. الخيرية. وعلى هذا فهو
كتاب آخر في الملل والنحل، ويظهر من إحالة الفخر عليه أنه كتاب مطول في هذا الموضوع.

٣٩ - الرسالة الكمالية في الحقائق الإلهية:

ذكرها ابن أبي أصيبعة بهذا العنوان. وقال: إنه ألّفها بالفارسية لكمال الدين محمد

ابن ميكائيل، وأضاف: ووجدت شيخنا الإمام العالم تاج الدين محمد الأرموي قد نقلها إلى العربية في سنة خمس وعشرين وستمائة بدمشق (٣٠ / ٢)، وذكرها القفطي قائلاً: كتاب الرسالة الكلامية بالفارسية (ص ١٩١)، والصفدي بعنوان « الرسالة الكلامية في الحقائق الإلهية » بالفارسي، عرّبها تاج الدين الأرموي (٢٥٥ / ٤)، والبغدادى (١٠٧ / ٢)، وفي ذيل الكشف ذكرت بهذا العنوان رسالة نسبت إلى عبد الله بن محمود الحسيني، وهي غير رسالة الفخر هذه. انظر: (٥٦٨ / ١).

٤٠ - الرسالة الصاحية:

ذكرها القفطي (ص ١٩٢)، وابن أبي أصيبعة (٣٠ / ٢).

٤١ - الرسالة المجدية:

ذكرها القفطي (ص ١٩٢)، وابن أبي أصيبعة (٣ / ٢).

٤٢ - رسالة في التوحيد أو كلمة التوحيد:

ذكر بروكليان للفخر رسالة بعنوان: رسالة في تفسير (لا إله إلا الله) وقال: إن لها نسخة في برلين برقم: (٢٤٢٥)، (٦٦٨ / ١)، فلعلها هذه، وفي فهرس راغب في إستانبول « رسالة في التوحيد » برقم: (١٢٨٩)، وفي فاتح رسالة في كلمة التوحيد برقم: (٥٤٢٦).

٤٣ - رسالة في النبوات:

ذكرها ابن أبي أصيبعة (٣٠ / ٢)، والصفدي (٢٥٦ / ٤)، والبغدادى (١٠٨ / ١).

٤٤ - رسالة في نفى الحيز والجهة:

انفرد بذكرها بروكليان (٦٦٩ / ١)، ولعلها جزء مقتطع من أحد الكتب الكلامية للفخر؛ إذ لم يرد لها ذكر عند سواه.

٤٥ - زبدة الأفكار وعمدة النظر، أو الزبدة:

ذكره ابن أبي أصيبعة (٣٠ / ٢)، ولم يشر إلى موضوعه، وذكره ابن خلكان مع كتب الفخر الكلامية (٦٧٦ / ١)، وذكره ابن السبكي في الطبقات (٣٥ / ٥)، والياضي (٧ / ٤)، والصفدي (٢٥٥ / ٤)، وطاش كبرى زاده (١١٨ / ٢)، وحاجي خليفة، وسماه زبدة المعالم في الكلام (١٩٥٤ / ٢)، وذكر القفطي كتاباً بعنوان « زبدة الأفكار وعمدة النظر » (ص ١٩١)، فلعله هذه وسماها غيره بـ « الزبدة ».

٤٦ - شرح إثبات الواجب:

انفرد بذكره الدكتور علي سامي النشار في كشفه لمصنفات الرازي (ص ٢٩)، ولم يشر إلى المصدر الذي استقاه منه مع أن الواجب يفرض عليه أن يبين مصدره.

٤٧ - شرح الإرشاد:

لإمام الحرمين. كتاب الإرشاد، مطبوع، وقد ذكر الرازي في كتابه « نهاية العقول » (١ / ٢٤٦) : أنه ينوي كتابة شرح للإرشاد؛ حيث قال: وإن أخر الله - تعالى - في الأجل استقصينا البحث عنها في شرحنا لكتاب الإرشاد. ولا ندرى ما إذا كان الفخر - رحمه الله - قد ألف هذا الكتاب وضاع. أو أن المنية أدركته قبل أن يفعل ذلك، حيث لم نجد له ذكرًا فيها اطلعنا عليه من مصادر وفهارس.

٤٨ - الصحائف الإلهية:

نسبه للفخر فهرس كتيخانه راغب برقم: (١٣٥٣)، وفي كشف الظنون (١٠٧٤ / ٢) - الصحائف في التفسير - لشمس الدين محمد السمرقندي المتوفى سنة (٦١٠ هـ)، وأئمة الشيخ أحمد بن محمود القرماني الأصم، المتوفى سنة (٩٧١ هـ)، وفي فهرس دار الكتب المصرية ذكرت الصحائف برقم: (١٠١١) علم الكلام منسوبة للسمرقندي، وفيها نسخة أخرى في طلعت (٤٥٢) علم الكلام، كتب على الصفحة الأولى منها: هذه الصحائف الإلهية للإمام محمد بن محمد بن محمود الرازي، وفي آخرها: فرغ من تسطيره محمد بن محمد بن محمود الرازي. وعلى كلا الحالين؛ فالكتاب ليس لفخر الدين وقد تكون نسخة راغب كنسخة طلعت كتب عليها اسم محمد بن محمد بن محمود الرازي هذا، وظن المفهرس أنها لفخر الدين محمد بن عمر - رحمه الله - فنسبها إليه خطأ.

٤٩ - عصمة الأنبياء:

ذكره الرازي في المحصول (١ / ١٠٨، ١٠٩)، مصورتا عن نسخة دار الكتب (٣٠ م) أصول فقه؛ حيث قال: وقد سبقت هذه المسألة في علم الكلام من هذا الكتاب، ومن أراد الاستقصاء فعليه بكتابنا في عصمة الأنبياء، وذكره القفطي (ص ١٩٣)، وابن أبي أصيبعة (٢ / ٣٠)، والصفدي (٤ / ٢٥٥)، وحاجي خليفة (٢ / ١١٤١)، وقال عنه: وهو مختصر مرتب على فصول، والبغدادى (٢ / ١٠٨)، وبروكلمان (١ / ٦٦٧).

طبعها محمد منير الدمشتي في القاهرة سنة (١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م) وذكر شيخنا الأستاذ عبد الغني عبد الخالق أنه قطعة من كتاب الأربعين في أصول الدين ولها نسخ خطية في بغداد - الأوقاف (٧٩٠٤) - ودار الكتب المصرية (٧٥٦)، والإسكندرية البلدية (٣٧٨١ ح)، وبرلين (٢٥٢٨)، وحيدر آباد آصفية (٦٤).

٥٠ - القضاء والقدر:

ذكره القفطبي (ص ١٩٢)، وابن أبي أصيبعة (٢٩/٢)، والصفدي (٢٥٥/٤)، وذكره الرازي في التفسير باسم «الجبر والقدر» (١٢٢/١٣)، ولعل مراده هو القضاء والقدر. وذكر الصفدي - أيضاً - كتاب شرح أبيات الشافعي الأربعة التي أوجها: وما شئت كان وإن لم أشأ، وعقب عليها بقوله: أظنه كتاب القضاء والقدر، ولم يذكر الشرح المشار إليه سواء فلعلة كما قال. وهذه الأبيات هي التي قالها الشافعي - رحمه الله - في جوابه عن القدر:

فَمَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ	وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَسْأَلْ يَكُنْ
خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ	فَقُلِ الْعِلْمُ بِخَيْرِ الْفَتَى وَالْمُسِينِ
عَلَى ذَاتِكَ وَهَذَا اخْتَلَفْتَ	وَهَذَا أَعْنَتَ وَذَا لَمْ يُعْنِ
فَوَيْلٌ لَهُمْ شَقِيٍّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ	وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنٌ

وقد ذكر الفخر هذه الأبيات في كتابه «مناقب الشافعي» (ص ٤٢)، وعقب عليها بقوله: واعلم أن الشافعي - رحمه الله - جمع كل دلائل هذه المسألة في هذه الأبيات ونحن نشرحها بالدلائل، وقد شرحها في المناقب في (ص ٤٢ - ٤٦)، فهل تكون هذه الأوراق هي كتابه في (القضاء والقدر وشرحه لأبيات الشافعي)، وأفردت بالذكر على الشكل الذي بينا. أم أن هناك كتاباً آخر وضع فيها ضاع من كتبه؟ لا نملك الآن على هذا السؤال جواباً.

٥١ - اللطائف الغيائية:

ذكره القفطبي (ص ١٩٢)، وابن أبي أصيبعة (٣٠/٢)، والصفدي (٥٥/٤)، والبغدادي (١٠٨/٢)، وحاجي خليفة، في كشف الظنون، وقال: فارسي مرتب على أربعة أقسام: الأول في أصول الدين، الثاني في الفقه، الثالث في الأخلاق، الرابع في الدعاء.

ولم يذكر اسم مؤلفه (١٥٥٣ / ٢)، وبروكلمان في الملحق (٩٢٣ / ١)، وذكر أنه منسوب خطأ إلى فخر الدين.

وله نسخ خطية في المتحف البريطاني فارسي (٧٠٢)، وقد أبدى فهرس المتحف المذكور شكه في صحة نسبة هذه النسخة إلى الفخر الرازي بالرغم من أنه مكتوب عليها - لطائف غياثية - تصنيفات فخر الدين الرازي، وسبب شك فهرس المتحف المذكور أنه ورد في أول المخطوطة المشار إليها أنه مقدم إلى السلطان محمد بن ملكشاه المتوفى سنة (٥١١ هـ). انظر: البداية والنهاية (١٣ / ١٨٠)، وهذا يعني أن السلطان محمد متوفى قبل ولادة الرازي بثلاث وثلاثين سنة؛ ولذلك استبعد فهرس البريطاني أن تكون هذه النسخة هي لفخر الدين الرازي، وانتقل شك الفهرس المذكور إلى بروكلمان.

وفي التيمورية بدار الكتب المصرية نسخة ماثلة لنسخة المتحف البريطاني تحت رقم: (٧٥٩)، كتب على الورقة المضافة عند التجليد: اللطائف الغياثية وهو كتاب للفخر الرازي ألفه باسم غياث الإسلام أبي الفتح محمد بن ملكشاه أورد فيه لطائف ونكتاً تعين في أمر الدين ورتبه على ثلاث مقالات: الأولى: في فضيلة العلم، والثانية: في تعريف الدلالة الدالة على وجود الصانع العليم، والثالثة: في كيفية دلالة أحوال الإنسان على وجود الخالق القديم وهو بالفارسية، ويقال: إن اسمه اللطائف الغياثية والكتاب فيه تقطيع وخروم ومع ذلك ففي الصفحة الثانية منه يظهر اسم غياث الإسلام والمسلمين، سلطان السلاطين في العالمين، ظل الله في الأرض أبو الفتح محمد بن ملكشاه أمير المؤمنين (٢ ب)، وواضح أن وصف هذه النسخة متفق مع وصف نسخة المتحف البريطاني ومخالف لوصف كشف الظنون؛ ولذا فإن من الممكن الجزم بأن نسختي المتحف البريطاني، ودار الكتب المصرية هما لكتاب غير « اللطائف الغياثية » التي نسبتها المصادر للفخر، ووصفها صاحب كشف الظنون.

تبقى النسخ الخطية الموجودة في آيا صوفيا (٢٣٤١)، وفي آصفية بحيدر آباد (٣٩٣)، هل هما كنسختي دار الكتب والمتحف البريطاني، أو هما كما وصف صاحب كشف الظنون؟! هذا ما لا يمكن البت فيه بدون الاطلاع عليهما. لكننا نستطيع القول بأنه ما دام قدماء مؤرخي الرازي الثلاثة (الففطي وابن أبي أصيبعة والصفدي) قد اتفقوا على نسبة كتابه بهذا الاسم للفخر، فإننا نميل إلى أن للفخر كتاباً يحمل هذا الاسم وقد يكون قدمه لغياث الدين ملك الغوريين الذي اتفقت المصادر على أن الفخر اتصل به وبأخيه شهاب الدين.

وقد تكون يد البلي قد عبثت بلطائف الفخر لغياث الدين الغوري فضاغت، وبقيت لطائف الغياث محمد بن ملك شاه، أو أنّ النسخة التي ذكر وصفها في كشف الظنون هي للفخر ولم تنسب إليه أو أنّ الموجودتين في أيا صوفيا، وأصفية، كلاهما أو إحداهما لفخر الدين. وانظر: «فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية» (ص ١١٥).

٥٢ - لوامع البينات، شرح أسماء الله تعالى والصفات:

ذكر القفطي كتاب تفسير أسماء الله الحسنى (ص ١٩١) وفي (ص ١٩٢) ذكر كتاب لوامع البينات في شرح أسماء الله والصفات، وابن أبي أصيبعة ذكره، وقال: كتاب لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات (٢/٢٩)، وابن السبكي، وذكر اسمه بالمعنى؛ فقال: وشرح الأسماء الحسنى (٥/٣٥)، وابن خلكان (١/٦٧٦)، والياضي (٤/٨)، والصفدي (٤/٢٥٥)، وابن حجر في اللسان (٤/٤٢٨)، والمعني في العقد (١٧/٢/٣٢٤)، والسيوطي في طبقات المفسرين (ص ٣٩) وطاش كبرى زاده (٢/١١٨)، وحاجي خليفة؛ وقال: شرح الأسماء الحسنى لفخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة (٦٠٦هـ) ست وستمائة، سماه لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات، أوله: «الحمد لله الذي حارت الأفكار في مبادئ أنوار كبريائه... إلخ» ذكر فيه ما قاله سام بن محمد بن مسعود ورتبه على ثلاثة أقسام: الأول: في المبادئ، والثاني: في المقاصد، والثالث: في النواحق. كشف الظنون (٢/١٠٣٥)، وعاد وذكره مرة أخرى بعنوان «لوامع البينات في شرح أسماء الله والصفات لفخر الدين الرازي. ا.هـ. (٢/٦٥٦٧)، وذكر اللوامع - أيضًا - البغدادي في هدية العارفين (٢/١٠٨)، وبروكلمان (١/٦٦٧).

ومن الملاحظ أن في جميع المصادر التي ذكرته انفراد مصدران بذكره على أنه كتابان: وهما «إخبار العلماء» للقفطي و«الكشف» لحاجي خليفة، أما القفطي فنعتقد أنه اشتبهت عليه التسميتان فاعتبر الكتاب كتابين. وكل ابن آدم خطأ.

وأما حاجي خليفة؛ فعبارته الأولى تشعر بأنه يعتبر الكتاب واحداً ولكن يبدو أن ثقته بالقفطي جعلته يكرر الكتاب باسميه الذين ذكرهما القفطي دون أن ينبه على ذلك، ولا يضير ذلك بالقطع بوحدة الكتاب.

وقد طبع الكتاب في القاهرة سنة (١٣٢٣هـ/١٩٠٥م)، وله نسخ خطية في القاهرة التيمورية (٣٣٤)، وفي تونس الزيتونة (٦٢)، وفي إستانبول راغب (٦١٤)، ويني

(٧٠٣/٧٠٤) (ومشهد ١٦٣ - ٢٣٣)، وبرلين (٢٢٢٣)، ومتحف جمعية بانفيا للأدب والعلوم في لاهاي (٢١٥)، والأسكوريال (١٤٧٦/٢، ١٤٩٦).

وله منتخب في خزنة الشيخ محمد باقر ألفت في أصفهان بإيران. انظر: مجلة معهد المخطوطات، المجلد الثالث، مايو (١٩٥٧م).

٥٣ - المباحث العبادية في المطالب العبادية:

ذكره ابن خلكان (١/٦٧٦)، وابن السبكي في الطبقات (٥/٣٥)، والصفدي (٤/٢٥٥)، والياضي (٤/٧)، وطاش كبرى زاده (٢/١١٨)، وحاجي خليفة (٢/١٥٧٧)، والبغدادي (٢/١٠٨). وقد ذكرها الرازي في اعتقادات فرق المسلمين والمشركون (ص ٩٢)، ولعل رسالة زاد المعاد التي انفرد بذكرها بروكلمان في الملحق (١/٩٢٣)، وتابعه جميل العظم في عقود الجواهر (ص ١٥٢) هي نفس هذه المباحث وإن كانت المباحث من كتب الكلام وزاد المعاد في التصوف، كما أشار الرازي في كتابه الإشارة (ص ٦١) إلى رسالة باسم «المعاد» ولعلها المباحث العبادية هذه، أو زاد المعاد.

٥٤ - محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين:

ذكره القفطي (ص ١٩١) بعنوانه الذي اشتهر به: (المحصل)، وكذلك ابن أبي أصيبعة (٢/٢٩)، وابن خلكان (١/٦٧٦)، وابن تغري بردي في النجوم (٦/١٩٧)، وابن السبكي في الطبقات (٥/٣٥)، والياضي (٤/٧)، والصفدي (٤/٢٥٥)، (١/١١٨)، والبغدادي في «هدية العارفين» (٢/١٠٨)، وبروكلمان (١/٦٦٨)، وحاجي خليفة، وذكر الكثير عن مختصراته وتلخيصاته وشروحه. انظر: (٢/١٦١٤).

ومن أهم مختصراته: مختصر ابن خلدون الذي سماه: «لباب المحصل»، له نسخة في الأسكوريال بخطه وهي التي حققها المستشرق لوثيانو رويو، ونال على تحقيقه لها درجة الدكتوراه ثم نشرها في تطوان بالمغرب - معهد مولاي الحسن سنة (١٩٥٢م).

وقد طبع المحصل في القاهرة بالمطبعة الحسينية المصرية سنة (١٣٢٣هـ) مع تلخيصه للطوسي، ومعالم أصول الدين للفخر.

وله نسخ خطية في القاهرة. دار الكتب (٩م)، والتميمورية (٦١٦)، وباريس (١٢٥٤)، والأسكوريال (٦٥٠ - ٥).

٥٥ - المحصول في علم الكلام:

من المعروف أن للإمام الرازي كتابًا بعنوان: «المحصول»، ولكن الفخر - رحمه الله - حيث تحدث عن عصمة الأنبياء في بحثه للأفعال في المحصول، قال: وقد سبقت هذه المسألة في علم الكلام من هذا الكتاب. انظر: المحصول (١٠٨ ب) و (١٠٩)، أو (٩٦٢) من نسختنا المحققة.

وكتاب المحصول الذي بين أيدينا هو في أصول الفقه، ولكن قوله هذا يشير إلى أن «المحصول» على قسمين: قسم كلامي، وآخر أصولي. فهل ضاع القسم الكلامي وبقي القسم الخاص بأصول الفقه يحمل هذا الاسم؟ أم أنه حين كتب محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين اكتفى الناس به، وفقد المحصول في علم الكلام. ولعله أفرد القسم الكلامي في المحصل ولم يشر إليه؛ إذ لم يذكره أحد من المؤرخين.

وقد جزم القرافي بأن هذه العبارة سهو من المصنف، وردّه الشارح الأصفهاني واعتبرها تحريفًا من النساخ. وعلى كلا الخالين فليس للرازي «محصول» في علم الكلام، وإنما هو المحصل.

٥٦ - مختصر في علم أصول الدين:

في كتبخانة ولي الدين في إستانبول نسخة بهذا العنوان تحت رقم: (٢١٤٧) ولعلها مثيلة للمذكورة قبلها.

٥٧ - مختار التحرير:

ذكره بروكلمان وقال: إنه شرح لأسماء الله الحسنى. انظر: (١/٦٦٨)، والملحق (١/٩٢٣)، وهو إن لم يكن لوامع البينات، فلا بد وأن يكون مختصرًا للتحرير في علم التذكير للقسري. وقد ذكر أن له نسختين؛ إحداهما في باريس (١٣٨٣)، والثانية في الزيتونة - تونس (٣-٣٦/١٣٥٣). وانظر: كشف الظنون (١/٣٥٤).

٥٨ - المطالب العالية:

ذكره القفطي وقال: المطالب العالية في الحكمة (ص ١٩١)، وابن أبي أصيبعة وقال: المطالب العالية ثلاث مجلدات لم يتم، وهو آخر ما ألف (٢/٢٩)، والصفدي وقال: المطالب العالية في الأصول أيضًا... يعني أصول الدين - في أربعة كبار (٤/٢٥٥)، وابن خلكان

وقال: ومنها في علم الكلام، المطالب العالية (٦٧٦/١)، وابن كثير في البداية والنهاية (٥٥/١٣)، والياضي (٧/٤)، والذهبي في تاريخ الإسلام (١٥٥/٢٨)، وابن السبكي في الطبقات (٣٥/٥)، وابن حجر في لسان الميزان (٤٢٧/٤)، وابن قاضي شهاب (ورقة ٤٨)، والأودني (٥٠ أ)، وابن تيمية في موافقة صحيح المنقول (٢٢٧/٢)، وطاش كبرى زاده (١١٧/٢)، وانظر: (ص ١١٩) أيضًا، وحاجي خليفة (١٧١٤/٢)، وذكر أن عبد الرحمن المعروف بجلبلي زاده قد شرحه، والبغدادي (١٠٨/٢)، وبروكلمان (٦٦٨/١).

وللمقدر الذي كتبه الفخر في هذا الكتاب - قبل أن تعاجله المنية - نسخ خطية في القاهرة، دار الكتب (٤٥ م)، والتيمورية (أ)، وطلعت، علم الكلام (٤٩٢، ٥٨١)، والأزهر (١٦٥٧٧)، وفي إستانبول يني (٧٥٥)، وعاشر أفندي (٥٥٨)، ولا له لي (٢٤٤١)، وفي برلين (١٧٤٠)، وقد اختصر ما ألفه الفخر عن المطالب تلميذه أفضل الدين الخونجي، ومختصر الخونجي نسختان خطيتان في القاهرة؛ دار الكتب - علم الكلام (٨٤٠)، والتيمورية - عقائد (٥٣٣).

٥٩ - المعالم في أصول الدين:

ذكر الفقهي كتاب المعالم في الأصولين (ص ١٩١)، وابن أبي أصيبعة، وقال: كتاب المعالم وهو آخر مصنفاته من الصغار (٢٩/٢)، والصفدي وقال: المعالم في أصول الدين والفقه (٢٥٥/٤)، وابن خلكان قائلًا: والمعالم - خلال ذكره لكتب الفخر الكلامية - (٦٧٦/١)، وابن العماد في شذرات الذهب، وقال: والمعالم في أصول الدين (٢١/٥)، والياضي (٧/٤)، وطاش كبرى زاده (١١٨/١).

ويبدو أن الأمر قد التبس على حاجي خليفة بدون أن يكون هناك داع للالتباس غير أن الأربعين في أصول الدين، والمعالم في أصول الدين أيضًا، وإلا فإنه ذكر أن المعالم مختصر أوله: «الحمد لله فالق الإصباح، وخالق الأرواح والأشباح... إلخ»، بينما أول الأربعين قوله: «اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا». كما ذكر في الصفحة التالية (١٧٢٧/٢) كتاب المعالم في الكلام، ونعتقد أنه نفس المعالم في أصول الدين والتبس مرة أخرى على حاجي خليفة.

كما ذكر المعالم البغدادي في هدية العارفين (١٠٨/٢)، وبروكلمان (٦٦٧/١) وقد ذكر الرازي في مقدمته للمعالم أنه مختصر يشتمل على خمسة أنواع في العلوم المهمة،

فالولها: علم أصول الدين، وثانيها: علم أصول الفقه، وثالثها: علم الفقه، ورابعها: الأصول
المعتبرة في الخلافات، وخامسها: أصول معتبرة في آداب النظر والجدل. اهـ^(١) ثم شرع في
النوع الأول وهو علم أصول الدين. وهذا القسم المتعلق بالكلام من كتابه هو المطبوع على
هامش محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، المطبوع في القاهرة، بالمطبعة الحسينية المصرية سنة
(١٣٢٣هـ). وعليه عدة شروح، وله نسخ خطية في القاهرة. دار الكتب (٦١٨) مجاميع
و (٣٩٤)، وفي إستانبول أحمد الثالث (١/١٣٠٢)، وجار الله (١/١٢٦٣) ولكل من
هاتين النسختين صورة في معهد المخطوطات في الجامعة العربية. وفي لاله لي (٧٨٧)،
ودمشق الظاهرية (ف ٣٩) عقائد، وليزيك (٨٥٥)، وباريس (١٧٨ أ).

ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن صاحب عقود الجواهر قد تشابه الأمر عليه بمتابعتة لحاجي
خليفة فاعتبر الكتاب بثلاثة حيث عدّ المعالم في أصول الدين، والمعالم في أصول الفقه،
والمعالم في الكلام كما فعل حاجي خليفة. انظر: (ص ١٤٩) عقود الجواهر.

٦٠ - الملخص في أصول الدين:

انفرد بذكره فهرس فليج علي في إستانبول تحت رقم: (٣١٣) أصول فقه، ولا نستطيع
الحكم عليه فقد يكون من كتبه الكلامية ومحرف العنوان.

٦١ - منهاج الرضا:

في فهرس مكتبة آصفية في حيدر آباد كتاب بهذا العنوان تحت رقم: (١٢٨) علم
الكلام، ومنسوب للفخر. وقد ذكره بروكليان أيضًا ضمن كتبه. انظر: الملحق (١/٩٢٣).

٦٢ - نهاية العقول في دراية الأصول:

ذكره القفطي (ص ١٩١)، وابن أبي أصيبعة وقال: كتاب نهاية العقول في دراية
الأصول مجلدان (٢٩/٢)، وابن خلكان (١/٦٧٦)، والياضي (٧/٤)، والصفدي
(٤/٢٥٥)؛ وقال: نهاية العقول في أصول الدين يكون في أربع مجلدات، وابن العماد في
الشذرات (٥/٢١)، وابن حجر في لسان الميزان (٤/٤٢٨)، وابن السبكي في الطبقات
(٥/٣٥)، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (٦/١٩٧)، ولكن محقق النجوم ذكروا
في حاشية الصفحة أنه في دراية الأصول (يعني أصول الفقه) عن كشف الظنون، بينما قال

(١) انظر: (ص ٣) في هامش محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، الطبعة الأولى.

صاحب كشف الظنون: نهاية العقول في الكلام في دراية الأصول يعني أصول الدين. انظر (١٩٨٨/٢)، وذكره البغدادي (١٠٨/٢)، وبروكلمان (٦٦٨/١).

وقد أحال عليه الفخر في بعض كتبه؛ مثل محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين (ص ١٥١)، واعتقادات الفرق (ص ١٩)، والتفسير (١٣٢/١٤).

وله نسخ خطية في القاهرة، دار الكتب المصرية (٧٤٨) علم الكلام جزآن، وطلعت (٥٦٥٥) علم الكلام الجزء الأول فقط، وفي إستانبول، بني (٧٥٩)، وأيا صوفيا (٧/٢٣٦٧)، وقليج علي (٥٧١)، وأسعد (٥٦٤)، وحيدية (٧٨٢)، وفي حيدر آباد - آصفية - (١٣٢٨، ١٥).

٦٣ - نهاية الوصول في علم الأصول:

كتاب نسبه للفخر فهرس حكيم أوغلو برقم: (٨٤٨)، ووصفه بأنه نسخة كتبت في حياة المؤلف تبتدئ بالقسم الثاني في كونه تعالى باقياً، وتنتهي بقوله: قوله: إنَّ أبا بكر ما كان صالحاً للإمامة. قلنا: لا نسلم. من المسألة العاشرة في إمامة أبي بكر عليه السلام وبآخرها نقص. ولعله قطعة من أحد كتبه الكلامية واقتبس له المفهرس هذا العنوان في بعض ما قرأه فيه؛ فإن هذا لا يمكن البت فيه ما لم يطلع على النسخة وتُعَارَضَ بسواها.

٦٤ - النوع الأول من المعاني:

ذكره فهرس لا له لي (٢٢٤٠)، عقائد، وكلام، ولعله هو الآخر قطعة من كتابه؛ إذ لم نجد له ذكراً في غير هذا الفهرس، وقد يكون في الصفات.

٥٩ - تابع المعالم:

بعد أن فرغنا من الطبع اطلعنا على كتاب (موسوعات العلوم العربية) للمرحوم أحمد زكي، مطبوع بالمطبعة الأميرية سنة (١٣٠٨ هـ) ووجدناه قد ذكر بعض كتب الفخر، ومنها كتاب بعنوان: (معالم السنن) في أصول الدين، وقال: يشتمل على خمسة أنواع من العلوم المهمة: الأول: علم أصول الدين، الثاني: علم أصول الفقه، الثالث: علم الفقه، الرابع: أصول معتبرة في الخلاف، الخامس: أصول في آداب المناظرة والجدل. انظر: (ص ٤٧). والذي نراه أنَّ المراد بهذا العنوان هو المعالم في أصول الدين، الذي تحدثنا عنه، وتصرف هو أو غيره بعنوانه؛ فحول إلى معالم السنن.

ثالثاً، كتب الحكمة والعلوم الفلسفية:

٦٥ - الإنارات - شرح الإشارات والتنبيهات لابن سينا.

٦٦، ٦٧ - الآيات البينات، الكبير، والصغير.

٦٨ - البراهين على إبطال التسلسل.

٦٩ - تمجيز الفلاسفة.

٧٠ - تهذيب الدلائل وعيون المسائل.

٧١ - الجوهر الفرد.

٧٢ - جواب الغيلاني.

٧٣ - الحكمة المشرقية.

٧٤ - رسالة في المنطق.

٧٥ - رسالة في الحدوث، أو وحدة الوجود.

٧٦ - سرور المستجلي لجزء وجوده الكلي.

٧٧ - شرح عيون الحكمة.

٧٨ - شرح النجاة.

٧٩ - شرح الشفاء.

٨٠ - شرح المنطق الملخص.

٨١ - لباب الإشارات.

٨٢ - المباحث المشرقية.

٨٣ - المبين.

٨٤ - الملخص.

٨٥ - الهدى.

٦٥ - الإنارات - شرح الإشارات والتنبيهات لابن سينا:

ذكره الففطسي (ص ١٩١)، بعنوان كتاب شرح الإشارات، وابن أبي أصيعة

بعنوان - كتاب - الإنارات في شرح الإشارات ٢ (٣٠ / ٢)، وابن خلكان (١ / ٦٧٦)،

واليافعي (٨ / ٤) وابن السبكي في طبقاته (٣٥ / ٥)، وطاش كبرى زاده (١١٨ / ٢)، وحاجي خليفة في كشف الظنون (٩٤ / ١) وجاء فيه: « شرح الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي، المتوفى سنة ست وستائة: أوله أما بعد: الحمد لمن يستحق الحمد لذاته... إلخ » وهو شرح « بقال أقول » طعن فيه بنقض أو معارضة، وبالغ في الرد على صاحبه؛ ولذلك سمى بعض الظرفاء شرحه جرحاً. وذكره بروكلمان، الملحق (ص ٨١٧)، وقد شرح فيه الفخر طبعيات وإلهيات الإشارات، وذكره في مناظراته (ص ٦٠).

طبع في إستانبول سنة (١٢٩٥ هـ / ١٨٧٣ م) بـ (٤٧٤ ص)، كما طبع على هامش شرح الطوسي للإشارات. انظر: إلى طه حسين (ص ٢١١)، وطبع في القاهرة أيضاً في المطبعة الخيرية سنة (١٣٢٥ هـ).

٦٦، ٦٧ - الآيات البينات، الكبير، والصغير:

ذكره ابن أبي أصيبعة (٣٠ / ٢)، والصفدي (٢٥٥ / ٤)، وابن حجر في اللسان (٤٢٩ / ٤)، وحاجي خليفة في كشف الظنون (٢٠٤ / ١)، والبغدادي في هدية العارفين (١٠٧ / ٢)، وبروكلمان (٦٦٧ / ١)، وقد اعتبرها - مخطئاً - من كتبه الكلامية.

وقد ذكر ابن أبي أصيبعة في ترجمة تلميذ الفخر « الخسر وشاهي » ما يشعر بأن للرازي كتابين بهذا الاسم أحدهما صغير والآخر كبير؛ حيث قال - وهو يعد مؤلفات الخسر وشاهي: تنمة كتاب الآيات البينات لابن خطيب الري وكان وصل فيها إلى الشكل الثاني.

وهذه الآيات البينات غير النسخة الصغيرة المعروفة التي هي عشرة أبواب، انظر: عيون الأنباء (١٧٤ / ٢)، وحاجي خليفة حين ذكر الآيات البينات قال: وهي غير الصغيرة التي على عشرة أبواب، ولخصها الخسر وشاهي.

وهاتان الإشارتان اللتان نقلناهما عن هذين المصدرين تدلان دلالة واضحة على وجود كتابين للفخر وفي هذا الموضوع وبهذا الاسم؛ أحدهما: صغير معروف، والثاني: كبير لم يتمه - رحمه الله - وأتمه تلميذه المشار إليه. ويبدو أن الكبير مفقود إذ لا وجود له في الخزائن التي اطلعنا على فهرسها.

وأما الآيات البينات الصغير فلها شرح مخطوط في دار الكتب لمؤلف مجهول - أول (٦٠، ٦١) منطق. ونسخه ثانية في برلين (٥٥٧)، والأخرى الأسكوريال (٤٠٦٥٠)، وقد شرحها سراج الدين الأرموي المتوفى سنة (٦٧٢ هـ).

وسمى شرحه « غايات الآيات » ولهذا الشرح نسخة في خزانة البلدية في الإسكندرية برقم: (١٧) منطق.

وقد نسب فهرس دار الكتب رسالة في تحقيق الكليات الشهيرة: « بالآيات البينات » تحت رقم: (٢١٨٤٤ ، ب) للفخر، وهي ليست له. انظر: (ص ٧٨) من فخر الدين الرازي وآراؤه.

٦٨ - البراهين على إبطال التسلسل:

أشار إليها جميل العظم في عقود الجواهر (ص ١٥٠)، ولها نسخة في إستانبول، عاشر أفندي (١٩١) عقائد وكلام.

٦٩ - تعجيز الفلاسفة:

ذكر القفطي كتابًا للفخر بعنوان: « تهجين تعجيز الفلاسفة » بالفارسية (ص ١٩٢)، وذكره ابن أبي أصيبعة وقال: كتاب « تعجيز الفلاسفة » بالفارسية (٣٠ / ٢) ويمثل تسميته سباه الصفدي في الوافي (٥٥ / ٤)، والبغدادي في هدية العارفين (١٠٧ / ٢)؛ فعمل القفطي أضاف كلمة « تهجين » سهواً.

٧٠ - تهذيب الدلائل وعيون المسائل:

ذكره ابن خلكان (٦٧٦ / ١)، وابن السبكي في الطبقات وسماه: « عيون المسائل » (٣٥ / ٥)، والصفدي (٢٥٥ / ٤)، وطاش كبرى زاده في المفتاح (١١٨ / ٢) باسم: « عيون المسائل » أيضًا، وحاجي خليفة في كشف الظنون باسم: « تهذيب الدلائل وعيون المسائل » (٥١٥ / ١) وذكر كتابًا بعنوان: « الدلائل في عيون المسائل » (٧٥٩ / ١)، ولعله نفس الكتاب وتغير العنوان وذكره البغدادي (١٠٧ / ٢).

٧١ - الجوهر الفرد:

ذكره ابن أبي أصيبعة بعنوان: رسالة « الجوهر الفرد » (٣٠ / ٢) وذكرها الصفدي بنفس العنوان في (٢٥٥ / ٤)، وأحال عليها الرازي في كتابه الأربعين. انظر: (ص ١٦٤). ولعله مما فقد من كتب الفخر، أو أضيف إلى سواء. وقد ذكر البغدادي في هدية العارفين أن للفخر رسالة في الجواهر، لعلها هي، انظر: (١٠٧ / ٢).

٧٢ - جواب الغيلاني :

الغيلاني كان الناس يقرؤون عليه كتب الفخر الفلسفية في سمرقند، وقد ذكر القفطي هذا الكتاب في (ص ١٩١) بعنوان: «جواب الغيلاني»^(١).

٧٣ - الحكمة المشرقية:

ذكره الصفدي وقال: تكون في ثلاثة. انظر: (٢٥٥/٤)، وهي من كتب ابن سينا وذكرها قنواتي نقلاً عن الصفدي ضمن كتب الفخر دون أن ينبه إلى ذلك، وهو مؤلف كتاب (مؤلفات ابن سينا)، ولما لم يذكر الصفدي للرازي كتاب «المباحث المشرقية» فيكون مقصوداً إذن بـ «الحكمة المشرقية» * «المباحث الشرقية» الذي تقدم ذكره.

٧٤ - رسالة في المنطق:

نسبها لفخر فهرس كتيبخانة لاله في (٣٧٧٤) مجاميع.

٧٥ - رسالة في الحدوث، أو وحدة الوجود:

ذكر ابن أبي أصيبعة رسالة بعنوان: «رسالة الحدوث»، انظر: (٢٩/٢)، والقفطي بعنوان «مباحث الوجود والعدم» (ص ١٩١)، وذكر في (ص ١٩٢) «رسالة الحدوث» مجلد، والصفدي في (٢٥٦/٤) بعنوان: «مباحث الوجود»، وذكر الدكتور علي سامي النشار رسالة بعنوان: «وحدة الوجود» مقدمة اعتقادات (ص ٣٢).

وفي إستانبول - آيا صوفيا (٣٨٣٣)، رسالة في (شرح الرباعيات في إثبات وحدة الوجود).

فهل هذه الأسماء التي وردت في المصادر المذكورة هي أسماء لرسالة واحدة في موضوع (وحدة الوجود)؟ أم هي رسائل مختلفة؟ هذا ما لم نستطع التحقق منه، وللفخر ردود في التفسير على القائلين بوحدة الوجود؛ فإن صح أن هذه الرسالة له؛ فإنها لا بد وأن تكون في الرد عليهم.

٧٦ - سرور المستجلي الجزء وجوده الكلي:

ذكره بروكلمان في الملحق (٩٢٣/١) ولعله عنوان آخر للرسالة السابقة.

(١) لعل المراد بالغيلاني الإمام الفريد عمر بن غيلان البلخي، المذكور في تاريخ حكماء الإسلام لظهر الدين البهقي رقم (٩٧)؛ (ص ١٥٧)، وراجع مناظرات الفخر (ص ٥٩).

٧٧ - شرح عيون الحكمة:

ذكره القفطي (ص ١٩١)، وابن أبي أصيبعة (٣٠ / ٢) والياضي (٨ / ٤)، وابن خلكان (٦٧٦ / ١)، وسماه الصفدي: « عيون الحكمة » (٢٥٥ / ٤)، وكذلك ابن السبكي في الطبقات (٣٥ / ٥)، والذهبي في تاريخ الإسلام (٦٤٦ / ٢٧)، وطاش كبرى زاده في مفتاح السعادة (١١٨ / ٢)، وحاجي خليفة في كشف الظنون (١١٨٦ / ٢)، وقال عنه - وهو شرح يقال الشيخ -: قال المفسر أوله: اللّهم يا خالق السماوات والأرض..... إلخ، وذكر أن تلميذه الحكيم محمد بن رضوان سأله أن يفسر مشكلاته وهو على ثلاثة أقسام: منطقي، وطبيعي، وإلهي. اهـ.

وله نسخ خطية كثيرة في بغداد - الأوقاف - (٩٦٢)، وفي طنطا - الأحمدية - نسخة عنها أخذت نسخة دار الكتب المصورة رقم: (٣٩٢٦)، وطلعت دار الكتب (٣٨٧) حكمة، وإستانبول راغب (٨٥٨)، وطهران - خزانة محمد أمين الخنجي - انظر: مجلة معهد المخطوطات، المجلد الثالث، جزء مايو (١٩٥٧م)، ومشهد (٥٤ / ١) (١٧٧)، وحيدر آباد - آصفية ٩ نرنجات، وبرلين (٥٠٤٣)، وليدن (١٤٤٧)، وفيينا (١٥٢٢)، وباريس (٥٨٠٢)، والمكتب الهندي (٤٧٨)، ومانشستر (٣٨٠)، والأسكوريال (٦٢٨)، وكمبرج ملحق (٨٨٠)، ونسبه خطأ إلى الشيرازي، ولندبرج (٥٥٨).

وقد نشر نص عيون الحكمة لابن سينا الدكتور عبد الرحمن بدوي مستفيداً من مخطوطات شرح الفخر في ضبط النص. ونشر كتاب بدوي هذا المعهد الفرنسي بالقاهرة سنة (١٩٥٤م) بمناسبة ذكرى ابن سينا، وراجع: مؤلفات ابن سينا لقنواقي (ص ٨٠).

٧٨ - شرح النجاة:

ذكره بروكلمان في الملحق (٩٢٣ / ١)، وله نسخة في آيا صوفيا (٤٤٣١) حكمة، ولها فيلم في معهد المخطوطات ولم ترد عند غير بروكلمان.

٧٩ - شرح الشفاء:

ذكره الصفدي قائلاً: وكان الشيخ ركن الدين ابن القويح يقول: * إنه - يعني الفخر - شَرَحَ الشفاء، ويعقب الصفدي بقوله: * وإن كان هذا صحيحاً فأقل ما يكون في خمس وعشرين مجلدة. انظر: الوافي (٢٥٦ / ٤) ولم نطلع على ذكر له في مصدر آخر.

٨٠ - شرح المنطق الملخص:

قال الياضي في مرآة الجنان: وفي الحكمة: الملخص وشرح الملخص لابن سينا (٧/٤) وهذا يعني أن لابن سينا كتابًا في الحكمة اسمه « الملخص » شرحه الفخر وقد ذكر الدكتور النشار اسم شرح المنطق الملخص مجردًا على عادته في جميع مصنفات الفخر التي سردها. ولا نعلم لابن سينا كتابًا اسمه « الملخص » انظر: مؤلفات ابن سينا لجورج قنواي؛ ولذا فإننا نرجح أن الرازي ربما يكون قد قام بشرح ملخصه هو في المنطق، وهم الياضي واعتبره شرحًا لـ « ملخص » ابن سينا. أو أنه وهم بالكتاب جملة، وعبارته هذه ليست إلا تكرارًا لذكر الملخص للفخر. والله أعلم.

٨١ - لباب الإشارات:

ذكره القفطي (ص ١٩١)، وابن أبي أصيبعة (٣٠ / ٢)، والصفدي وسماه « الإشارات » (٥٥ / ٤)، وحاجي خليفة وقال: وله لباب الإشارات لخصه منها بالتماس بعض السادات في (جهادى الأولى سنة سبع وتسعين وخمسمائة)، ورتب على ترتيبه في المنطقيات والطبيعيات والإلهيات (٩٤ / ١)، وهدية العارفين (١٠٨ / ٢)، وهو ملخص للإشارات في غاية الإيجاز والتركيز، وهو في (١٣٧) صفحة، طبع في القاهرة عدة طبعات أولها سنة (١٢٩٩ هـ)، وثانيها في مطبعة السعادة (١٣٢٦ هـ)، وثالثها نفس المطبعة (١٣٥٥ هـ).

وله نسخ خطية كثيرة في إستانبول بني (٧٦٤)، وراغب (٨٥١)، ومشهد وباريس (٥٨٠٢) وغيرها^(١).

٨٢ - المباحث المشرقية:

ذكرها القفطي (ص ١٩١)، وابن أبي أصيبعة (٣٠ / ٢)، والصفدي (٢٥٥ / ٤)، بعنوان: الحكمة المشرقية تكون في ثلاثة، وابن حجر (٤٢٧ / ٤)، وابن كثير في البداية (٥٥ / ١٣)، والياضي (٧ / ٤)، والأنصاري في الإرشاد (ص ٣٦)، وطاش كبرى زاده (٣٢٠ / ١)، وحاجي خليفة في كشف الظنون (١٥٧٧، ١٥٧٨)، والبغدادي في هدية العارفين (١٠٨ / ٢)، وبروكلمان (١ / ٦٦٨). وذكره الفخر في المناظرات (ص ٦٠).

(١) انظر: مؤلفات ابن سينا لجورج قنواي، طبع دار المعارف في مصر (ص ٩).

طبع في حيدر آباد في جزأين سنة (١٢٤٣هـ)، وأعيد طبعه بالأوفست، وله نسخ خطية في إستانبول، أحمد الثالث (٣٠٢ و ٣٢٥٧)، وأيا صوفيا (٢٤٥٤)، ويني (٧٧٤)، وفيض الله (١٢١٢)، وفي طهران (١٧٩ و ١٤٢)، وبانكهور (٩٣٥٩/٣١)، ورقمه عند قناتي (٢٣٥٩)، ورامبور (٤٠٢، ١، ٢، ٧٩٣)، وفي لندن (١٥١٣)، وفي برلين (٥٠٦٤)، والأسكوريال (٦٧٥، ٦٩٢)، والإسكندرية حكمة (٢٦) قسم منه، وله مختصر لمؤلف مجهول في الإسكندرية - البلدية (٥٢١١ ح). وترجمه إلى العبرية قديماً بعض علماء اليهود. انظر: مذهب الذرة عند المسلمين، هامش (ص ٨٢).

وهو أجل كتاب من نوعه وفي موضوعه على الإطلاق.

٨٣ - الميين:

نسبه للفخر بروكلان في الملحق (٩٢٣/١)، وذكر بروكلان أنه موجود في أيا صوفيا (١٣٨٤)، وذكر أنه معجم فلسفي والرقم الذي ذكره بروكلان عن فهرس أيا صوفيا ليس لهذا الكتاب؛ وإنما هو لكتاب «الألواح العمادية في الحكمة الفلسفية»، لشهاب الدين السهروردي مع شرح المختصر في علم النجوم للطوسي، فلعله سهو من بروكلان وردده قناتي دون تحقق.

٨٤ - الملخص:

ذكره القفطي بعنوان: الملخص في الحكمة. انظر: (ص ١٩١)، وذكره ابن أبي أصيبعة بعنوان: الملخص، انظر: (٣٠/٢)، وابن خلكان ذكره قائلاً: «في الحكمة الملخص»، وفي الشذرات: «والمخلص في الفلسفة» (٢١/٥)، والياضي: «وفي الحكمة الملخص». انظر: (٧/٤)، وذكره الصفدي بعنوان: «المختصر»: تكوّن في مجلدين ونعتقد أنه تحريف للكلمة الملخص (٢٥٥/٤)، والأنصاري في الإرشاد (ص ٣٤)، والخوانساري (ص ٧٠٠)، وبروكلان بعنوان: «الملخص في الحكمة والمنطق» (٦٦٧/١)، وفي كشف الظنون: «الملخص في الحكمة والمنطق» للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة (٦٠٦هـ) ست وستائة.

وشرحه أبو الحسن علي بن عمر القزويني الكاتب المتوفى سنة (٦٧٥هـ) شرحاً مبسوطاً وسماه: (المنتص)، واختصره نجم الدين ابن اللبودي (١٨١٩/٢)، وفي لسان الميزان «المختصر في المنطق» فلعله يريد الملخص هذا. انظر: (٤٢٩/٤).

وللملخص نسخ خطية في إستانبول، أحمد الثالث (٣٢٢٤)، وفي أمانة (١/١٦٧٦)، ولها تين النسختين فيلمان في معهد مخطوطات الجامعة العربية، وفي كوبريلي (٨٨٩) المجلد الثاني بخط المؤلف، وفاتح (٣٣٧٨)، وقليج علي (٣١٣)، وسليم أغا (٧٢٣)، وداماد (٨٢٧)، وليدن (١٥١٠) وفيه يقول: وجدنا في نسخة نقلت من نسخة الأصل أنه حرر المصنف - رحمه الله - كتاب «الملخص» في خامس شوال سنة تسع وسبعين وخمسمائة هجرية يوم الجمعة.

وفي المتحف البريطاني ملحق (٧٢٥)، وبودليانا (٥٠١)، وبرلين (٦٢٣). ولشرحه المنصص - نسخة في ليدن (١٥١١)، وفي الأزهر (١١٧) منطوق، وفي كوبريلي (٨٣٢)، وللملخص شروح أخرى مخطوطة أيضًا.

ونعتقد أن الملخص في الفلسفة الذي ذكره النشار في (ص ٣٠) من مقدمته لاعتقادات فرق المسلمين والمشركون هو نفس هذا الملخص وليس كتابًا آخر. هذا وقد ذكره الفخر في المناظرات (ص ٦٠).

٨٥ - الهدى:

قال الفخر في كتابه «شرح عيون الحكمة»: «وها هنا وجوه كثيرة من الإشكالات ذكرناها في الكتاب الكبير المسمى بالهدى. انظر: (٢٦٢ ب). ولم نجد له ذكرًا في مصدر آخر ويبدو أنه من كتبه المفقودة. واستنادًا إلى إ حالته - هذه - اعتبرنا هذا الكتاب من كتب الحكمه.

رابعًا: كتب العلوم والآداب العربية:

٨٦ - البيان في المعاني.

٨٧ - دراية الإعجاز.

٨٨ - شرح ديوان المتنبي.

٨٩ - شرح أبيات الإيضاح للقزويني.

٩٠ - شرح سقط الزند.

٩١ - شرح مقامات الحريري.

٩٢ - شرح نهج البلاغة.

٩٣ - شرح المفصل.

٩٤ - المحرر في دقائق أو حقائق - النحو.

٩٥ - مختصر الصحاح.

٩٦ - مؤاخذات النحاة.

٩٧ - مختصر إعجاز الإيجاز.

٩٨ - الأنيس المفيد للطلاب المستفيد.

٨٦ - البيان في المعاني:

انقر بذكره طاش كبرى زاده (١١٨/٢).

٨٧ - دراية الإعجاز:

ذكره حاجي خليفة (١/٧٣٠)، وذكره البغدادي في هدية العارفين (١٠٧/٢)، وذكر حاجي خليفة نهاية الإيجاز في علم البيان في (٢/١٩٨٦). وكذلك البغدادي في (١٠٨/٢)، وطاش كبرى زاده - حين تحدث عن علم معرفة إعجاز القرآن - قال: صنف فيه خلاص ذكر بعضهم، وعدّ الفخر منهم (٢/٥٢٥)، وقال ابن خلكان: وله « مختصر في الإعجاز » (١/٦٧٦)، كذلك اليافعي في مرآة الجنان (٤/٨)، وذكر الصفدي كتابين « نهاية الإيجاز »، و « اختصار دلائل الإعجاز » (٤/٢٥٥)، وقال السيوطي في طبقات المفسرين: وله « إعجاز القرآن » (ص ٣٩)، وذكره الرازي في التفسير باسم: « دلائل الإعجاز »، هذه الأسماء المختلفة: من « دراية الإعجاز »، و « نهاية الإيجاز »، و « مختصر في الإعجاز »، و « إعجاز القرآن »، و « دلائل الإعجاز » نعتقد أنها اسم لكتاب واحد هو مختصره الشهير: « نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز » الذي بناء على كتابي عبد القاهر الجرجاني « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة »؛ وقد وهم بعض المؤرخين واعتبر الكتاب كتابين مثل الصفدي من المتقدمين وحاجي خليفة والبغدادي وقنواقي من المتأخرين. والكتاب مطبوع في القاهرة سنة (١٣١٧هـ)، بمطبعة الآداب، وله نسخ خطية في القاهرة، دار الكتب (٢٥٠) بلاغة، وفي إسطنبول، فاتح (٥٣٠٢ - ١)، والمتحف البريطاني شرقي (٦٤٩٥)، وكمبريدج (١٣٤٠) ملحق.

٨٨ - شرح ديوان المتنبي:

انفرد بذكره الصفدي (٢٥٥/٤).

٨٩ - شرح أبيات الإيضاح للقزويني:

نَسَبَ هذا الشرح إلى الفخر الدكتور يدوي طبانة في كتابه: «البيان العربي»، الطبعة الثانية (١٩٥٨ م)، (ص ٢٠٧، ٣٧٦)، وقد فات الدكتور أن الرازي توفي قبل ولادة القزويني، فليس من المعقول أن يشرح أبياته؛ فالرازي توفي سنة (٦٠٦ هـ) وتوفي القزويني عن ثلاث وسبعين سنة في سنة (٧٣٩ هـ). انظر: مرآة الجنان (٣٠١/٤)، ولو رجع الدكتور طبانة إلى مخطوطتي دار الكتب المصرية رقم: (٣٢٨١) و (٣٢١) بلاغة لوجد الشرح المذكور لفخر الدين الخوارزمي فأراح واستراح.

٩٠ - شرح سقط الزند:

ذكره القفطي (ص ١٩١)، وابن أبي أصيبعة، وقال: لم يتم (٢٩/٢)، وابن خلكان (٦٧٦/١)، وابن السبكي في الطبقات (٣٥/٥)، والياضي (٨/٤)، والصفدي (٢٥٥/٤)، وابن العماد في الشذرات (٢١/٥)، والسيوطي في طبقات المفسرين (ص ٣٩)، وطاش كبرى زاده (١١٨/٢)، والبغدادى (١٠٧/٢)، وصاحب كشف الظنون في (٢/٩٩٣)، أشار إليه في معرض حديثه عن سقط الزند، وفي معهد المخطوطات صورته لنسخة توجد في سوهاج تحت رقم: (٤٦٧) أدب.

٩١ - شرح مقامات الحريري:

نسب جميل العظم في عقود الجواهر (ص ١٥٢) هذا الكتاب للفخر، ولعله أخطأ في أحد الرازيين الذين شرحا المقامات أحدهما: صاحب مختار الصحاح، انظر: كتاب صاحب مختار الصحاح لعبد الله مخلص (ص ١٩، ٥)، والثاني: الرازي القاضي أبو العباس أحمد ابن المظفر، انظر: كشف الظنون (٢/١٧٩٠)، وقد يكون العظم أخطأ عن طريق تشابه لقب الفخر مع لقب فخر الدين المعروف بابن الصاحب وهو من شارحي المقامات أيضًا. انظر: نفس المصدر.

٩٢ - شرح نهج البلاغة:

ذكره القفطي وقال: لم يتم (ص ١٩٢)، وذكره ابن أبي أصيبعة وقال: لم يتم

أيضاً (٢٩ / ٢)، وذكره الصفدي أيضاً. وقال: لم يتم (٢٥٥ / ٤)، وأشار قنواتي إلى أن ابن خلكان وطاش كبرى زاده قد ذكراه ولم نجد له ذكراً عند أي منهما. راجع: إلى طه حسين (ص ٢١١).

٩٣ - شرح المفصل:

ذكره القفطي وقال: كتاب المحصل في شرح كتاب المفصل لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري النحوي (ص ١٩٢)، وابن أبي أصيبعة وقال: شرح كتاب المفصل للزمخشري في النحو لم يتم (٢٩ / ٢)، والصفدي، وقال: شرح المفصل لم يتمه (٢٥٥ / ٤)، وذكره ابن خلكان بصيغة توحى بالشك؛ حيث قال: ويقال: إن له شرح المفصل في النحو للزمخشري (٦٧٦ / ١)، وكذلك اليافعي (٨ / ٤)، وكذلك فعل ابن السبكي، حيث قال: وقيل: شَرَحَ مفصل الزمخشري في النحو (٣٥ / ٥)، وذكره السيوطي في طبقات المفسرين (ص ٣٩). وطاش كبرى زاده، وقال: لم يتمه (١١٨ / ٢)، وحاجي خليفة وقال: وعلية تعلية لأبي علي الشلويني عمر بن محمد الأشبيلي الأندلسي المتوفى سنة (٦٤٥ هـ)، (١٧٧٤ / ٢). وفي مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت في المدينة المنورة نسخة من هذا الشرح اسمها: (عرائس المحصل في نفائس المفصل) تحت رقم: (١٤٦) نحو، أوله بعد المقدمة: « وألح علي ولدي محمد - أبياه الله تعالى - بإقامه لشدة شغفه وغرامه، فأثرت مراقبته، وقدمت إجابته، بما يصغر حجمه، وتعظم فائدته؛ وسميته: (عرائس المحصل في نفائس المفصل) »، وفي هذا ما يدل على أن الكتاب كامل خلافاً لما ذكره بعض المؤرخين من أنه لم يكمله.

وأنه اختصر من هذا الشرح كتابه المذكور بناء على استعجال ولده له وبقي الشرح الكبير ناقصاً، فيكونان كتابين، ومن الجدير بالذكر أن فهرس المكتبة المذكورة قد أسنده إلى مؤلف مجهول.

٩٤ - المحرر في دقائق أو حقائق النحو:

ذكره الفخر - رحمه الله - في المحصول في حديثه عن الألفاظ؛ حيث قال: « إن في البحث عن ماهية الاسم والفعل والحرف دقائق غامضة ذكرناها في كتاب المحرر في حقائق النحو ». ١. هـ. المحصول (١٨ - أ) وفي نفس المصدر (٣٦ - أ) أيضاً، قال: وأما الثالث ففيه بحث دقيق ذكرناه في كتاب المحرر في دقائق النحو، وهذا يدل بوضوح

على أن للفخر كتابًا بهذا العنوان كما أحوال عليه في التفسير.

٩٥ - مختصر الصحاح:

في فهرس ليبزيج (٤٥٥): كتاب مختصر الصحاح للعلامة سيبويه زمانه الفخر الرازي، ولم يذكر في غير هذا الفهرس شيء للفخر عن الصحاح سواء كان شرحًا أو اختصارًا؛ ولذلك نرجح أن النسخة المشار إليها نسخة من مختار الصحاح لأبي بكر بن عبد القادر الرازي.

٩٦ - مؤاخذات النحاة:

قال ابن خلكان - وهو يذكر ما للفخر من مصنفات في مختلف العلوم -: وله مختصر في الإعجاز، ومؤاخذات جيدة على النحاة (١/٦٧٦)، وتابعه اليافعي في قول هذا (٨/٤)، فظن جميل العظم أن للفخر مصنفًا بهذا العنوان فذكره في عقود الجواهر (ص ١٥٤)، ولا نرى في عبارة ابن خلكان ما يشعر بأن للرازي مصنفًا بهذا العنوان، ولكننا نفهم منها أن له مؤاخذات على النحاة وملحوظات، وقد يكون الفخر أودع كتابه المحرر - آثار الذكر - هذه المؤاخذات والملحوظات.

٩٧ - مختصر إعجاز الإيجاز:

ذكره صاحب كشف الظنون في (١/١٢٠)؛ حيث قال: إعجاز الإيجاز للشيخ أبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي المتوفى سنة ثلاثين وأربعمائة، ومختصره للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ست وستمائة.

وكتاب الثعالبي المذكور قد طبع في القاهرة وتركيا.

٩٨ - الأنيس المفيد للطالب المستفيد:

نسبه للفخر الرازي مخطئًا - بدون أي مبرر للخطأ - عبد الصاحب الدجيلي في كتابه: «أعلام العرب في العلوم والفنون» (٢/١٧١) ط. النجف (١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م)، وهو شرح لمقامات الحريري؛ كتبه المستشرق البارون دي ساسي الملقب بـ «شيخ المستشرقين» وطبعه في باريس سنة (١٨٥٧م). ثم ترجمه إلى العربية وطبع في مصر - بولاق - (١٢٩٦هـ)، انظر: الكتاب في دار الكتب المصرية تحت رقم: (٣١٢٩) آداب، وانظر: موسوعات العلوم العربية (ص ٦٤).

خامساً: كتب الفقه:

٩٩ - البراهين البهائية.

١٠٠ - شرح وجيز الغزالي.

١٠١ - مشتمل الأحكام.

١٠٢ - الهادي.

٩٩ - البراهين البهائية:

باللغة الفارسية، وسميت بالطريقة البهائية أيضاً، ذكرها القفطي (ص ١٩٢)، وابن أبي أصيبعة (٣٠/٢)، والبغدادي (١٠٧/١) باسمها الأول، وسهاها سراج الدين، عمر ابن إسحاق الغزنوي^(١) الهندي؛ قاضي الحنفية بالقاهرة المتوفى سنة (٧٧٣هـ)، والذي كتب ردّاً عليها بالطريقة البهائية، انظر: مقدمة الشيخ زاهد الكوثري لكتاب الغرة المتينة (ص ١٠) مطبعة السعادة بمصر (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م).

وقد سميت بالبهائية: نسبة إلى الأمير بهاء الدين سام بن شمس الدين محمد بن مسعود حاكم باميان سنة (٦٠٢هـ)، وتحدث فيها عن نحو مائة وسبعين مسألة فرعية في الفقه مما خالف فيها الشافعية الحنفية. وانتصر فيها لمذهب الإمام الشافعي^(٢)، ومما يلفت النظر أن الشيخ الكوثري - رحمه الله - قد غرض كثيراً من شأن «الفخر» الفقيه في مقدمته للغرة، وصوّره كأنه منطقل على علم ليس من أهله، وليس كذلك. فقاتل الله التعصب.

١٠٠ - شرح وجيز الغزالي:

ذكره القفطي، وقال: كتاب شرح الوجيز الغزالي لم يتم (ص ١٩١)، وابن أبي أصيبعة وقال: شرح وجيز الغزالي لم يتم، حصل منه العبادات والنكاح في ثلاث مجلدات (٢٩/٢)، وابن خلكان (٦٧٦/١)، وابن السبكي في الطبقات (٣٥/٥)، والذهبي في تاريخ الإسلام (٦٤٣/٢٧)، والياقعي (٨/٤)، والصفدي. وقال: قطعة في شرح الوجيز (٥٥/٤)، والعيني في عقد الجمان (٣٢٢/٢/١٧)، ولم يذكره ابن قاضي شهبة، وذكر الزركان أنه ذكره، راجع: الطبقة الخامسة عشرة من طبقات الشافعية، وذكرها الأسنوي في طبقاته (٢٦٠/٢)، والسيوطي في طبقات المفسرين (ص ٣٩)، وطاش كبرى زاده في

(١) راجع: ترجمته في حسن المحاضرة (٤٧٠/١)، والفوائد البهية (ص ١٤٨)، ومقدمة العرة المتينة.

المفتاح (١١٨/٢)، وحاجي خليفة في الكشف (٢٠٠٢/٢)، والبغدادى في هدية العارفين (١١، ٨٠٨/٢)، وجبل العظم في عقود الجواهر (ص ١٥٢).

١٠١ - مشتمل الأحكام:

ذكره بروكلمان (١/ ٦٦٧)، وقال: إن له نسخة في مكتبة سليم أغا في إستانبول (٣٩٨). وبالرجوع إلى الرقم المذكور في فهرس سليم أغا لم نجد هذا الكتاب؛ وإنما وجدناه تحت رقم: (٣٩٠) ومنسوبًا لفخر الدين الرومي المتوفى سنة (٨٧٩هـ)، وفي كشف الظنون « مشتمل الأحكام في الفتاوى الحنيفة للشيخ فخر الدين... الرومي يحيى بن... الحنفي المتوفى سنة (٨٦٤هـ) ألفه للسلطان محمد الفاتح بادره سنة (٨٧٩هـ)، وقال: سميت به لكونه مخصوصًا للقضاة والحكام، وقد عده المولى بركلي من جملة الكتب المتداولة الواهية.. إلخ ». انظر: (١٦٩٢/٢)، وفي فهرس فاتح في إستانبول (٢٤٧٤)، فقه، منسوب للفخر الرومي، وكذلك الأمر في دار الكتب المصرية برقم: (١/ ٤٦٣)، ولعل هذا هو الذي أدخل الوهم على بروكلمان.

١٠٢ - الهادي:

قال الداودي في طبقات المفسرين - ما يكره فلم - دار الكتب عن الخطية رقم: (١٦٨) تاريخ، ورقة (٢٧٦)؛ إن ابن السبكي قال - في الطبقات الكبرى - : وكان - أي الرازي - يفتي مع ابن عبد السلام، واختصر « المذهب »^(١) في كتاب سماء « الهادي ».

وقد راجعنا ترجمة الفخر في طبقات ابن السبكي (٣٣/٥ - ٤٠) فلم نجد لما قاله الداودي ذكرًا، كما راجعنا ترجمة ابن السبكي للعز بن عبد السلام (٨٠/٥ - ١٠٧)، فلم نعثر على ما ذكره الداودي، كما أن الإمامين - الفخر، والعز - لم يلتقيا.

وأخيرًا عثرنا على ما نقله الداودي عن ابن السبكي في ترجمة محمد بن عبد الرحمن بن الأزدي، أو الكندي المصري. فراجع: طبقات ابن السبكي (٧٣/٨). ط. الحلبي.

ولعل ناسخًا سها وأدرج ما في ترجمة ابن الأزدي في ترجمة الفخر؛ لأن من المستبعد أن يقع مثل الداودي في هذا الخطأ.

(١) هو كتاب « المذهب الكبير » المسمى بـ « النهاية ». انظر: طبقات ابن السبكي (٧/ ١٤٤) ط. الحلبي.

سادساً: كتب الطب والفراسة:

١٠٣ - الأشربة.

١٠٤ - التشريح من الرأس إلى الحلق.

١٠٥ - الجامع الكبير في الطب.

١٠٦ - الحاوي في الطب.

١٠٧ - حفظ البدن.

١٠٨ - الروض الأريض في علاج المريض.

١٠٩ - شرح كليات القانون.

١١٠ - مسائل في الطب.

١١١ - النبض.

١١٢ - نفثة المصدور.

١١٣ - الفراسة.

١٠٣ - الأشربة:

ذكره ابن أبي أصيبعة (٣٠/٢)، كما ذكره البغدادي (١٠٨/٢)، ولا ندرى ما إذا كان من كتب الطب، أو من كتب الفقه، فقد يكون بَحَثَ فيه أحكام الأشربة من ناحية شرعية، ولكنها فضلنا إدراجه مع كتب الطب لما يتبادر إلى الذهن من عنوانه.

١٠٤ - التشريح من الرأس إلى الحلق:

ذكره ابن أبي أصيبعة، وقال: لم يتم (٣٠/٢)، والذهبي في تاريخ الإسلام (٦٤٦/٢٧)، وذكره الصفدي (٢٥٦/٤)، وقال طاش كبرى زاده في مفتاح السعادة: وكتب التشريح أكثر من أن تحصى... ولا أنفع من تصنيف ابن سينا، والإمام الرازي (٣٤٧/١). وهذا يدل على أن للرازي تأليفاً في التشريح، وإن لم يذكر له ضمن كتبه كتاباً في التشريح، وكرر نفس القول حاجي خليفة في (٤٠٩/١).

١٠٥ - الجامع الكبير في الطب:

ذكره القفطي، وقال: كتاب الجامع الكبير الملكي في الطب (ص ١٩١)، وذكره ابن

أي أصبغة وقال: كتاب الجامع الكبير لم يتم، ويعرف أيضًا بكتاب الطب الكبير (٣٠/٢)، وذكره الصفدي، وقال: الطب الكبير ولم يتم (٢٥٥/٤)، ووهم قنواي وذكره مرتين واحدة باسم الطب الكبير، وثانية باسم الجامع الكبير الملكي في الطب، وفي المرتين ذكره عن القفطي، بينما ذكره القفطي مرة واحدة كما أسلفنا، وبالاسم الذي ذكرنا - وقد أحال الرازي على الطب الكبير في بعض كتبه. انظر: التفسير (٧٥/٢٠)، ط. عبد الرحمن محمد، والأربعين (ص ١٣٣)، ويظهر من إحالته عليه في الأخير أنه أتمه؛ حيث قال: « وقد تخصنا هذا العلم (يعني: التشريع) في الطب الكبير الذي صنفناه وبلغنا فيه غاية لم يبلغ فيه أكثر من تقدمنا ».

١٠٦ - الحاوي في الطب:

ذكره جميل العظم في عقود الجواهر (ص ١٥١)، ولعله أخذه عن فهرس حكيم أوغلي؛ إذ إن الفهرس المذكور ذكر كتاب: « حاوي صغير » لفخر الدين الرازي تحت رقم: (٥٦٩) طب، والحكم يكون هذا الكتاب لصاحبنا، أو للرازي الطبيب غير ممكن ما لم يتم الاطلاع على النسخة المذكورة.

١٠٧ - حفظ البدن:

نسب فهرس أيا صوفيا في إستانبول رسالة بهذا العنوان إلى الفخر وتحت رقم: (٣٦٩٤) طب، ولم نجد لها ذكرًا فيها اطلعنا عليه من المصادر.

١٠٨ - الروض الأريض في علاج المريض:

نسب بروكلمان للفخر كتابًا بهذا العنوان، انظر: (٩٢٤/١). وله نسخة في التيمورية برقم: (١٩١ طب تيمور) ملحقة بكتاب « براء الساعة »، وقد كتب عليها: للإمام فخر الدين الرازي و « براء الساعة » كتاب طب مطبوع، لمحمد بن زكريا الرازي، ولم نستطع التحقق من كون المخطوطة للرازي الطبيب الذي يلقب أيضًا بـ « فخر الدين »، أو لصاحبنا.

١٠٩ - شرح كليات القانون:

ذكره القفطي (ص ١٩١)، وابن أبي أصبغة، وقال: إنه ألفه للحكيم - ثقة الدين - عبد الرحمن بن عبد الكريم السرخسي. انظر: (٣٠/٢)، والصفدي (٢٥٥/٤)، وابن خلكان (٦٧٦/١)، والياضي (٨/٤)، والعيني (٣٢٢/٢/١٧٦)، وذكر

الزركان أن ابن قاضي شهبة ذكره، ولم أجد له ذكرًا في طبقاته، وذكره ابن العبري في (ص ٤١٩).

وذكره صاحب كشف الظنون في معرض حديثه عن قانون ابن سينا، فقال: وشرحها الإمام فخر الدين الرازي، كما ذكر رد البغدادى موفق الدين على شرح الفخر (٢/ ١٣١٢)، وشرح كليات القانون هو الذي ذكر باسم شرح القانون. وقد كتب أفضل الدين الخونجي تلميذ الفخر نقضًا لشرح الفخر هذا، فتبعه الحكيم أبو الفرج يعقوب بن إسحاق الطبيب الكركي المسيحي، المعروف بابن القف، وانتصر للفخر. انظر: نفس المصدر.

ولهذا الشرح نسخ خطية في الظاهرية، طب (١٧ - ١٨ - ١٩) و (٣١٤٢) عام، وجونا

(١٤٦٦)، وأيا صوفيا (٤٨٥٠)، وباريس (٢٩٣٦) و (٢٩٣٧) وبودليانا (١/ ٥٢٥) و (٧٠٨)، وانظر مؤلفات ابن سينا لجورج فنواتي (ص ٦٠٤).

١١٠ - مسائل في الطب:

ذكره ابن أبي أصيبعة (٢/ ٣٠).

١١١ - النبض:

ذكره القفطي (ص ١٩١)، وابن أبي أصيبعة، وقال: كتاب في النبض مجلد (٢/ ٣٠)، والصفدي (٤/ ٢٥٦)، والذهبي في تاريخ الإسلام (٢٧/ ٦٤٦)، والبغدادى (٢/ ١٠٨).

١١٢ - نفثة المصدور:

ذكره القفطي بعنوان «كتاب رسالة نفثة المصدور» (ص ١٩٢)، وابن أبي أصيبعة (٢/ ٣٠)، والصفدي (٤/ ٢٥٥)، قد يكون في الطب كما يتبادر إلى الذهن من الاسم، وقد يكون في التصوف؛ فقد جلب انتباهي أن المؤرخين الثلاثة ذكروها قبل كتاب ذم الدنيا، وقد ذكرها البغدادى أيضًا (٢/ ١٠٨).

١١٣ - الفراسة:

وقد أحقناها بالطب؛ لأن الفخر يعتبرها وسيلة لمعالجة أمراض النفس - كما أسلفنا في حديثنا عن الرازي والطب^(١) -.

(١) انظر: (ص ٩٦، ٩٧) من هذه الرسالة.

وقد ذكر كتاب الفراسة ابن أبي أصيبعة (٣٠ / ٢)، وابن خلكان وقال: وصنف في علم الفراسة (٦٧٦ / ١)، والياضي يمثل عبارة ابن خلكان (٨ / ٤)، والأنصاري في إرشاد القاصد (ص ٦٨)، والقلقشندي في صبح الأعشى (٤٧٤ / ١)، وطاش كبرى زاده وقال: ومن الكتب المؤلفة فيه - أي في علم الفراسة - كتاب الإمام الرازي في هذا العلم، خلاصة كتاب أرسطوطاليس مع زيادات مهمة (٣٣٣ / ١)، وحاجي خليفة، وقال: كتاب الفراسة لأرسطو، ولفخر الدين محمد بن عمر الرازي، المتوفى سنة (٦٠٦ هـ)، (١٤٤٥ / ٢)، والبهقادي (١٠٨ / ٢)، وبروكليان (٦٦٩ / ١) .

وقد طبع في باريس سنة (١٩٣٩ م) مع ترجمة فرنسية ومقدمة عن علم الفراسة عند العرب للدكتور يوسف مراد، وذكر أنه استعمل لنشر الكتاب ثلاثة مخطوطات؛ كميردج (٤٦٨)، والمتحف البريطاني (٩٥١٠)، وأيا صوفيا (٢٤٥٧)، وهناك نسخ خطية أخرى في فاتح (٥٤٢٦) مجموعات بعنوان « رسالة فراست » وأظنها بالفارسية، وذكر في مجلة معهد المخطوطات وجود نسخة في رئاسة المطبوعات في كابل - أفغانستان - انظر: مجلة معهد المخطوطات م (٢) مايو (١٩٥٦ م) (ص ٢٥) .

وفي فهرس دار الكتب المصرية للكتب الفارسية كتاب بعنوان: ترجمة كتاب مرآة الرجال في علم الفراسة للفيخر الرازي رقم (١) فلعلها ترجمة فارسية لكتاب الفراسة المذكور. انظر: فيخر الدين الرازي وآراؤه (ص ١٠٧) .

سابعاً: كتب التاريخ:

١١٤ - أوصاف الأشراف.

١١٥ - بحر الأنساب.

١١٦ - تاريخ الدول.

١١٧ - ذيل المشيخة الفخرية.

١١٨ - فضائل الصحابة.

١١٩ - فلاند عقود العقيان.

١٢٠ - المشيخة الفخرية.

١٢١ - مناقب الإمام الشافعي.

١٢٢ - مناظرات الفخر الرازي.

١١٤ - أوصاف الأشراف:

نسبه بروكلمان للرازي (٩٢٣/١) الملحق، وله نسخة خطية في فاتح رقم: (٥٤٣٦) ولكن فهرس فاتح نسبه إلى الطوسي لا للرازي وهو الحق. انظر كشف الظنون (٢٠٢/١)؛ حيث قال حاجي خليفة: فارسي مختصر لنصير الدين محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة اثنتين وسبعين وستمائة، كتبه بعد تأليف أخلاق ناصري ويُن في أخلاق أهل السلوك وسيرهم وقواعدهم. ا.هـ. وانظر تاريخ الأدب في إيران (ص ٦١٧)، وتاريخ الأدب الفارسي للدكتور رضا زاده شفق (ص ١٩٨).

١١٥ - بحر الأنساب:

ذكر حاجي خليفة كتابين بهذا العنوان أولهما قال عنه: مختصر في آل علي بن أبي طالب عليه أوله: الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون... إلخ. ولم ينسبه لأحد، وأعقبه بالثاني وقال عنه: كتاب كبير للإمام فخر الدين الرازي. ا.هـ. انظر: (٢٢٤/١)، وتابعه البغدادي في هدية المعارف (١٠٧/٢)، وفي أحمد الثالث - نسخة تحت رقم: (٢٦٧٧)، ولها فيلم في معهد المخطوطات، ونسخة أخرى في جوتا (١٧٥٥).

١١٦ - تاريخ الدول:

لم يرد ذكره في أي مصدر قديم من المصادر التي اطلعنا عليها، ولكن دائرة المعارف البريطانية، المجلد (٤٢/١٩) قد أشارت إليه وعنها أخذ محمد شنب وعده في كتابه (ص ٢١٧) من كتب الفخر، وكذلك فعل جرجي زيدان؛ حيث أشار إلى أربعة من كتب الفخر جعل ثانيها تاريخ الدول. انظر (٩٤/٣)، وتابعهم عبد الصاحب الدجيلي في كتابه: « أعلام العرب في العلوم والفنون » (١٧١/٢). وعدم ذكره في المصادر القديمة التي ذكرت كتب الفخر حمل الزركان على نفي نسبته للفخر، راجع رسالته (ص ١٤٨).

قلت: وقد نشر « فرانز روزنثال » كتابه: « علم التاريخ عند المسلمين »، ونقل فيه أن الرازي قد تحدث عن التاريخ في حدائق الحقائق بتسعة فصول ابتداءً فيها من تاريخ ملوك الفرس قبل الإسلام إلى عصر أصحابه الخوارج مشاهية، فلعل أحدًا انتزع من « حدائق الحقائق »، ووضع له هذا العنوان. راجع: علم التاريخ (ص ٥٦، ٥٥).

١١٧ - ذيل المشيخة الفخرية:

أشار إليه حاجي خليفة في كلامه عن كتاب « المشيخة الفخرية » (١٦٩٧ / ٢)، وردد إشارته جميل العظم فذكرها، وعلق بقوله: وهو ذيل الكتاب الذي فيها مشايخه (ص ١٥١).

١١٨ - فضائل الصحابة:

أو فضائل الصحابة الراشدين، ذكره ابن أبي أصيبعة (٢٩ / ٢)، والقفطي (ص ١٩٢) والصفدي (٢٥٥ / ٤)، والبغداددي (١٠٨ / ٢).

١١٩ - قلائد عقود العقيان:

ذكره بروكلمان (١ / ٦٦٧) نقلًا عن فهرس آصفية بحيدر آباد، رقم: (٢، ١٣٢٢) (٦٥)، وفي كشف الظنون (٢ / ١٣٥٣ - ٥٤) قلائد عقود الدرر والعقيان في مناقب أبي حنيفة النعمان، في مجلد لشرف الدين أبي القاسم بن عبد العليم اليميني الحنفي ألّفه قبل تأليفه المسمى بالروضة العالية المنيفة. اهـ. ولما لم يذكر أحد من مؤرخي الرازي كتابًا بهذا العنوان له، ولوجود هذا العنوان منسوبًا لأبي القاسم المذكور؛ فإننا نرجح أن تكون نسخة آصفية هذه هي لهذا المؤلف لا للآخر، وقد تكون لأبي الفضائل - فخر الدين الرازي - الحنفي. انظر: (ص ٣٠) هامش رقم (١) من هذه الرسالة.

١٢٠ - المشيخة الفخرية:

كتاب ذكر فيه مشايخه، وكتب له ذيلًا أيضًا - قد تقدم ذكره - وقد ذكرها السلامي في (منتخب المختار) باعتبارها كتابًا كان يسمعه لأبي محمد أسد الدين المتوفى سنة (٧٣٧ هـ) مع أولاد عم الملك الناصر داود. انظر: (ص ١١٥). وذكر أيضًا في كشف الظنون (٢ / ١٦٩٧)، وعقود الجواهر (ص ١٥٤). وقد اعتبره الزركان من الكتب المشكوك فيها.

١٢١ - مناقب الإمام الشافعي:

ذكره ابن أبي أصيبعة (٢ / ٢٩)، والقفطي بعنوان مناقب الإمام الأعظم الشافعي (ص ١٩١)، وابن خلكان (١ / ٦٧٦)، والذهبي في تاريخ الإسلام (٢٧ / ٦٤٣)، وابن كثير في البداية (١٣ / ٥٥)، والياضي (٤ / ٨)، وابن السبكي في الطبقات (٥ / ٣٥)، وابن حجر في لسان الميزان (٤ / ٤٢٧)، والسيوطي في طبقات المفسرين (ص ٣٩). والبغداددي في هدية العارفين (٢ / ١٠٨)، وبروكلمان (١ / ٦٦٨).

وهو مطبوع في القاهرة على الحجر سنة (١٢٧٩ هـ) في (٤٥٣) صفحة؛ كما يقول بروكلمان (١ / ٦٦٨). وبين أيدينا طبعة المكتبة العلامة في (١٩٦ صفحة).

وله نسخ خطية كثيرة في القاهرة (٥ / ١٥٨)، (٥ / ٣٦٤)، والإسكندرية (٩٥)، ودمشق الظاهرية (٢٧٦ ، ٨٩٣٠)، وفي إستانبول، عاطف (٦١٢)، وسليمانية (١٣٥)، ولاله لي (٢٠٨٧)، وكوبرلي (١١٢٧ / ٨٨)، وبرلين (٩ / ١٠٠٠٨)، وباريس (٢ / ٣٤٩٧)، والمتحف البريطاني ملحق (٦٤١).

وفيه فوائد علمية مختلفة في غاية النفاسة والجودة.

١٢٢ - مناظرات الفخر الرازي:

اعتبرناها من كتب التاريخ؛ لأنها شبه مذكرات شخصية ذكر فيها ما جرى بينه وبين علماء بخاري، وسمرقند، وخجند، وبنات، وغزنة، وبلاد الهند، حول كثير من المسائل الكلامية والفلسفية والأصولية والفقهية، واعتبرها كاتب تذكرة النوادر من كتب المنطق والخلاف. انظر (ص ١٤٥).

وقد طبعت في حيدر آباد سنة (١٣٥٥ هـ) وتشتمل على (١٦) مسألة مع أجوبتها وذكر جورج قنواي في بحثه ضمن كتاب إلى طه حسين أن بول كراوس قد حللها وعلق عليها ونشر المسألة العاشرة منها. انظر: (ص ٢٢٢).

ولها نسخ خطية في القاهرة التيمورية (١٣٠) معالم، وحيدر آباد آصفية (١٢) مجاميع، وكوبرلي (١٦٠) رسائل، ويكي جامع شريف (١١٨١)، بينها يدعي الأب قنواي أن مخطوطة التيمورية هي المخطوطة الوحيدة لهذه الرسالة. راجع: إلى طه حسين (ص ٢٢٣).

ويزعم قنواي متابعاً لكراوس بأن كتاب مناظرات الفخر قد يكون هو نفس كتاب أجوبة المسائل النجارية. انظر: إلى طه حسين (ص ٢٢٣). وفات قنواي وكراوس من قبله أن الرازي نفسه قد عد جوابات المسائل النجارية ضمن كتبه في الرد على الفلاسفة. انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركون (ص ٩١) بينها موضوع المناظرات متنوع فنصف مسائلها فقهية وأصولية، والنصف الآخر في مسائل كلامية وفلسفية ليس للنجارية منها نصيب.

أما عدم ذكر المؤرخين القدماء للمناظرات باعتبارها مصنفاً وهو الذي حمل كراوس وقناتي على الشك بأنها نفس جوابات المسائل التجارية. فلعلهم ظنوا بأن ذكرهم لرحلات الفخر ومناظراته مع علماء الأمصار التي زارها، كوقائع تاريخية يكفي بأن يعرف منه بأن هذه المناظرات هي مناقشات ومجادلات في مسائل متنوعة وليست جوابات لأسئلة فرقة معينة من الفرق، وأنها باعتبارها محضر وقائع لا تعتبر مصنفاً إلا من قبيل التجوُّز.

وقد طبعت طبعة حسنة باللغتين العربية والإنجليزية من قبل محققها الذي نال على تحقيقها درجة الدكتوراه من جامعة كمبردج: الدكتور فتح الله خليف.

ثامناً، كتب التصوف،

- ١٢٣ - الأخلاق.
- ١٢٤ - أنس الحاضر وزاد المسافر.
- ١٢٥ - حقائق الحقائق.
- ١٢٦ - ذم الدنيا.
- ١٢٧ - رسالة في النفس.
- ١٢٨ - رسالة في النفس وتحقيق زيارة القبور.
- ١٢٩ - رسالة در بيان موت.
- ١٣٠ - رسالة در حقيقي مرگ.
- ١٣١ - رسالة في جواب السائل عن دلالة كلمة الحلاج (أنا الحق).
- ١٣٢ - رسالة في السؤال.
- ١٣٣ - رسالة في معنى الطهارة.
- ١٣٤ - الرعاية.
- ١٣٥ - زاد المعاد.
- ١٣٦ - سراج القلوب.
- ١٣٧ - شرح تائية ابن الفارض.
- ١٣٨ - الورد.

١٢٣ - الأخلاق:

ذكره القفطي (ص ١٩٢)، وابن أبي أصيبعة (٣٠ / ٢)، والصفدي (٢٥٥ / ٤)، والأنصاري في الإرشاد (ص ٩٥)، والقلقشندي في الصبح (٤٧٩ / ١)، وطاش كبرى زاده في المفتاح (٤٠٦ / ١)، وحاجي خليفة في الكشف (٣٧ / ١)، كما ذكره صاحب أبجد العلوم في (ص ٢٩٧)، وهذا يدل على أن الكتاب ثابت وموجود في عصور متأخرة، ومع هذا فإننا لم نثر عليه في فهرس المكتبات، فلعله أدمج مع غيره في الفهرسة أو التجليد فضاع اسمه.

١٢٤ - أنس الحاضر وزاد المسافر:

ذكره بروكلمان (٦٦٩ / ١)، ومحمد شنب (ص ٢١٧)، انظر: فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية (ص ١٣٥)، ولأحمد بن مسكويه الرازي كتاب باسم « أنس الخواطر » فقد يكون هو. انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة (٤٧٧ / ٢)، ولعله كذلك هو مقصود ابن حجر في لسان الميزان بكتاب « المحاضر » فقد اعتاد أن يختصر العنوان ولعل « المحاضر » تصحيف الخواطر. انظر: لسان الميزان (٤٢٧ / ٤).

وفي لينزج نسخة تحمل هذا العنوان (٢٢٧) تصوف.

١٢٥ - حقائق الحقائق:

ذكره جميل العظم في عقود الجوهر (ص ١٥١)، وذكر مؤلف كتاب « صاحب غنار الصحاح » عبد الله مخلص أنه لصاحب المختار محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. انظر (ص ٥)، وفي المجلد السادس من مجلة معهد المخطوطات لسنة (١٩٦٠ م)، (ص ٥٩) أن للحقائق نسخة في مكتبة أحمد خيرى، وأخرى في جامع الزيتونة في تونس - المكتبة العبدلية برقم: (٤١). وله كذلك نسخة في دار الكتب المصرية (٢١٠) تصوف.

١٢٦ - ذم الدنيا :

ذكره ابن أبي أصيبعة - كتاب في ذم الدنيا - (٣٠ / ٢)، والقفطي - رسالة في ذم الدنيا - (ص ١٩٢)، والصفدي (٥٥ / ٤)، وابن تيمية في الرد على المنطقيين (ص ٣٢١)، وفي موافقة صحيح المنقول (٩٢ / ١)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٢٠) ط. الهند، وقال عنه: كتاب « اللذات » صنفه في آخر عمره وهو كتاب مفيد،

والبغدادي في هدية العارفين (١٠٧/٢)، وبروكلمان (١/٦٦٨).

وله نسخة خطية في برلين (٥٤٢٧)، ونسخة أخرى في كابل في أفغانستان - مكتبة رئاسة المطبوعات - بعنوان رسالة في اللذات المطلوبة في الدنيا. انظر: مجلة معهد المخطوطات، المجلد الثاني، الجزء الأول مايو (١٩٥٦م) (ص ٢٠). وله نسخة في المكتبة القادرية في بغداد تحت رقم: (٤٥٧) وهي رسالة صغيرة.

وقد لخص - رحمه الله - (لذات الدنيا)، ويثني عيوب كل لذة من هذه اللذات وعقب عليها بقوله: أنا صاحب هذه الحالة، والمتوغل فيها، ولو فتحت الباب وبالغت في عيوب هذه اللذات الجسدية فربما كتبت المجلدات، وما وصلت إلى القليل منها، راجع: التفسير (١٦٩/٥، ١٧٠) ط. الخيرية، ولا ندرى ما إذا كان ما أورده في التفسير تلخيصاً لهذه الرسالة أو أنه بنى هذه الرسالة على ما ذكره في التفسير.

١٢٧ - رسالة في النفس:

ذكرها القفطي (ص ١٩٢)، وابن أبي أصيبعة (٣٠/٢)، والصفدي (٤/٢٥٦)، وفي كشف الظنون: وصنف الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي كتاباً في النفس والروح لخصه محمد العلاني، ورتبه على أقسام. انظر (١٤٦٧/٢). وذكرها البغدادي (١٠٧/٢) وبروكلمان (١/٦٦٨)، الملحق (١/٩٢٣).

لها نسخة خطية في باريس (٤١٨٧ - ٦)، وفي برلين (٥٣٦٨)، وفي المكتبة الأزهرية (٩٧٧ مجاميع بخيت ٤٦١٣٠) رسالة في الروح أولها: قال الإمام الرازي... إلخ، وهي ضمن مجموعة من ورقة (١٠٥ - ١٠٨). وفي الإسكندرية - البلدية - (٣٣٣٦ ج) نسخة أشار إليها بروكلمان (١/٦٦٨)، وعنوانها: رسالة للإمام الفخر الرازي في النفس وأحوالها، بتدريء بقوله: الحمد لله الذي لا ينجب عن بابه أمل أمل، ولا يحرم عن جنبه عامل... وهي مقسمة على ثلاثة فصول وخاتمة.

ولا نستطيع البت ما إذا كانت رسالتنا الأزهرية والإسكندرية، هما نفس هذه الرسالة المذكورة أو سواها؛ لأن رسالة الرازي قد اختصرها العلاني كما قال صاحب الكشف. والأزهرية كلها بثلاثة ورقات، فكيف يمكن أن يقال: لخصها العلاني ورتبها على أقسام. وقد ذكر قنوت في مؤلفات ابن سينا رسالة بعنوان في النفس الناطقة وأحوالها. انظر: (ص ١٦٣). وقد مال الزركان إلى أن هذه الرسالة هي نفس الرسالة التي نسبها

المؤرخون للمفخر لتشابه العبارات الأولى في المنسوبة لابن سينا، والمنسوبة للمفخر. انظر: (ص ٩٢) من رسالته.

ولا نرى ما يحول بين أن يكون لابن سينا وللرازي تأليف في هذا الموضوع والبت في هذا لا يتأتى ما لم تعارض نسخ الرسالتين: المنسوبة لابن سينا، والمنسوبة للمفخر.

١٢٨ - رسالة في النفس وتحقيق زيارة القبور:

في ظاهرية دمشق رسالة بعنوان رسالة في فائدة الزيارة، عام (٥٤٣٣) ضمن مجموعة، وهي مقسمة على أربعة فصول، وهناك نسخة في فاتح في إستانبول رقم: (٥٤٢٦ - ٤) بعنوان في النفس وتحقيق زيارة القبور انظر: الملحق (٩٢٣/١) لبروكلمان، وفهرس فاتح ذكرها بعنوان: رسالة في زيارة القبور، تحت نفس الرقم الذي أشار إليه بروكلمان، وذكر بروكلمان أيضًا بأن في أيا صوفيا رسالة برقم: (٢٠٥٢) وبمعنوان زاد المعاد، وأخرى باسم حكمة الموت في أيا صوفيا أيضًا برقم (٤٨٢١)، ويعتقد بروكلمان بأن هذه الرسائل كلها واحدة.

وقد أشار الرازي في المطالب العالية إلى أنه ألف رسالة في زيارة القبور، كتبها للملك محمد بن سام: تعزية له بابنه. انظر: (٣٥٤ / ٢).

١٢٩ - رسالة در بيان موت:

وردت في فهرس حيدر آباد مجاميع (٣١) ولعلها نفس الرسالة السابقة بالفارسية.

١٣٠ - رسالة در حقيقي موگ:

ذكرها بروكلمان (٦٦٩/١) عن مشهد (٣١/٢ - ١٠٩) بالفارسية لعلها عنوان آخر لنفس الرسالة السابقة.

١٣١ - رسالة في جواب السائل عن دلالة كلمة الخلاج (أنا الحق):

ذكرها بروكلمان في الملحق (٩٢٣/١) ولها نسخة في لندن (٢٢٢٨).

١٣٢ - رسالة في السؤال:

ذكرها القفطي (ص ١٩١) وهي في سؤال القبر.

١٣٣ - رسالة في معنى الطهارة:

والمراد: طهارة القلوب على ما يبدو، توجد منها نسخة في إستانبول - أفسرايده - برقم: (٨٥٩)، ولم تذكر في مصدر آخر مما اطلعنا عليه.

١٣٤ - الرعاية:

ذكره ابن أبي أصيبعة (٣٠ / ٢)، والبغدادى في هدية العارفين (١٠٨ / ٢)، ولا نعلم شيئاً عنه وإن كنا نعلم أن للحارث المحاسبي - معاصر الإمام أحمد بن حنبل - كتاباً بهذا العنوان قد طبع بالقاهرة حديثاً وطبع قبلها خارج مصر.

١٣٥ - زاد المعاد:

ذكره بروكلمان في الملحق (٩٢٣ / ١)، وجميل العظم في عقود الجواهر (ص ١٥٢)، وله نسخة في إستانبول أيا صوفيا (٣٦ / ٢٠٥٢). انظر ما كتبناه عن رسالة في النفس وتحقيق زيارة القبور. ولعلها المباحث العمادية في المطالب المعادية، راجعها في مصنفاته في علم الكلام.

١٣٦ - سراج القلوب:

ذكره الففطى (ص ١٩١)، وذكره صاحب كشف الظنون (٩٨٣ / ٢) وقال عنه: فارسي على طريق السؤال والجواب؛ أوله: الحمد لله العلي العظيم. ولم يذكر مؤلفه، وذكره فهرس المتحف البريطاني - فارسي (١٢٣١) - وذكر الفهرس أنه نسب إلى أبي بكر بن عبد الله بن شاذر الأسدي الرازي.

١٣٧ - شرح تائبة ابن الفارض:

وهي التائبة الكبرى ومنها قوله:

وكل الجهات الست نحوي توجهت

لها صلواتي بالمقام أقيمها

إلى غير ذلك مما اعتبر دليلاً على أنه من القائلين بوحدة الوجود^(١).

وليست التائبة الصغرى التي مطلعها:

نعم بالصبا قلبي صبا لأحبتني

واسم هذه التائبة: نظم السلوك، وهي في حوالي ستائة بيت، شرحها السعيد محمد بن

أحمد الفرغانى، المتوفى في حدود سنة سبعمائة، وهو الشارح الأول لها. انظر: كشف الظنون (٢٦٥ / ١)، ولها شروح أخرى.

(١) وهي مسألة شائكة ضل فيها من ضل، وكفر بسببها من كفر.

وقد نسب فهرس المكتبة الأهلية في باريس شرحاً للرازي عليها (١٩٩٦ مجاميع)، ولم نجد فيما اطلعنا عليه أن الفخر شرح هذه القصيدة. فلعله للفرغاني أو سواء ونسب للفخر خطأ. وقد طبع شرح الفرغاني هذا في إستانبول كما طبع في القاهرة بهامش شرح الديوان بالمطبعة الخيرية.

١٣٨ - الورد:

أشار إليه بروكلمان (١/٦٦٧)، وفي دار الكتب المصرية - قوله (٩) مجاميع نسخة بهذا العنوان. أدرجها الزركان ضمن الكتب المشكوك فيها بحجة أنه لم يجد فيها قرأه منها أسلوب الرازي (ص ١١).

انظر: فخر الدين وآراؤه (ص ١٣٥).

تاسعاً، كتب الهندسة والفلك:

١٣٩ - بيست باب في معرفة الإسطرلاب.

١٤٠ - تنسوق نامة.

١٤١ - رسالة في الهيئة.

١٤٢ - سداسيات الرازي.

١٤٣ - كتاب في الهندسة.

١٤٤ - كتاب مصادرات إقليدس.

١٤٥ - منتخب درج تنكلوشا وشرحه.

١٣٩ - بيست باب في معرفة الإسطرلاب:

ذكره صاحب كشف الظنون وقال: بيست باب في معرفة الإسطرلاب، فارسي للعلامة نصير الدين محمد بن حسن الطوسي، المتوفى سنة تسع وسبعين وستائة. وهو مختصر على عشرين باباً وله شروح... إلخ (١/٢٦٤)، وفي تاريخ الأدب في إيران لبراون ذكره ضمن مؤلفات الطوسي بالفارسية (ص ٦١٧)، والذي نسبته إلى الفخر هو بروكلمان (١/٦٦٩)، ويبدو أنها إحدى غلطاته. له نسخة في إستانبول - أيا صوفيا - (٢٦٢٤ - ٧٢). وفي المتحف البريطاني (١٥٥ - ٢) فارسي وكلا النسختين منسويتان للطوسي.

١٤٠ - تنسوق نامه:

هو للطوسي. انظر: كشف الظنون (١/ ٤٩٥)؛ حيث قال: تنسوق نامه إيلخاني - فارسي لتصير الدين محمد بن محمد الطوسي، مختصر، أوله: الحمد لله فاطر الصنایع... إلخ. رتب على أربع مقالات: في المعدنيات، في الأحجار، في الغازات، في العطريات.

وذكره براون في تاريخ الأدب في إيران، وقال: هو عبارة عن رسالة في المعادن والأحجار الكريمة (ص ٦١٧)، ولكن بروكلمان أضافه خطأ إلى مصنفات الفخر (١/ ٦٦٩)، له نسخة في المتحف البريطاني برقم: (١٥٧) فارسي - ملحق.

١٤١ - رسالة في الهيئة:

أحال عليها الرازي في التفسير الكبير (٢٦/ ١١٩) ط. البهية المصرية، ولها نسخة في الظاهرية - دمشق - تحت رقم: (٥٤٢٨) عام.

١٤٢ - سداسيات الرازي:

أو ستين رازي، وصوابه الأول، وهو من كتب الفخر الثابتة، ذكر صاحب منتخب المختار في (ص ١١٥): أن ابن مروان المتوفى سنة (٧٣٧هـ) قرأه مع أولاد عم الملك الناصر على خطيب مردا محمد بن إسماعيل.

وفي كشف الظنون (٢/ ٩٨٢)، ذكر سداسيات الرازي دون أن ينسب هذه السداسيات إلى مؤلف، ولكن صاحب هدية العارفين نسبها إلى الفخر (٢/ ١٠٨)، وفي فهرس أصفيه في حيدر آباد نسخة بالفارسية تحت رقم: (٣٥٨) وباسم - ستين رازي - فلعلها هي. وقد أدرجها الزركان ضمن الكتب المشكوك فيها والمجهولة الموضوع. انظر: رسالته (ص ١٣٧)، ونفى أن يكون لها ذكر في غير الكشف والهدية، وتبعه في إدراجها في المشكوك فيها والمجهولة الموضوع محسن عبد الحميد. انظر: رسالته (ص ٤٥)، وأغفلها قنواي.

١٤٣ - كتاب في الهندسة:

ذكره القفطي (ص ١٩٢)، وابن أبي أصيبعة (٢/ ٣٠)، ولم نستطع معرفة عنوانه، وانظر: تراث العرب العلمي (ص ٣٧٩).

١٤٤ - كتاب مصادرات إقليدس:

ذكره القفطي بعنوان: شرح مصادرات إقليدس (ص ١٩٢)، وابن أبي أصيبعة (٣٠/٢)، وبمعنوان: كتاب مصادرات إقليدس، والصفدي (٤/٢٥٥)، وانظر: تراث العرب العلمي (ص ٣٧٨).

١٤٥ - منتخب درج تنكلوشا وشرحه:

ذكره القفطي بعنوان: كتاب منتخب تنكلوشا، وقال: وقيل: إنه شرحها، وابن أبي أصيبعة بعنوان: منتخب كتاب تنكلوشا (٣٠/٢)، والصفدي (٤/٢٥٦)، وقال: منتخب درج تنكلوشا، وقيل: إنه شرحها. وذكره الدكتور النشار ضمن كتب الفخر الكلامية برقم: (٢٦)، (ص ٢٩) من مقدمته لاعتقادات الفرق للرازي^(١).

عاشراً، كتب الطلاسم والنجوم،

١٤٦ - السر المكتوم في مخاطبة الشمس والقمر والنجوم.

١٤٧ - جداول بأرواح لكل درجة من درجات الحيوانات وأثرها وأهميتها.

١٤٨ - الاختيارات العلانية في الأعلام السايوية.

١٤٩ - الرسالة الفخرية في الوقف.

١٥٠ - الملخص في التنجيم.

١٤٦ - السر المكتوم في مخاطبة الشمس والقمر والنجوم:

ذكره القفطي (ص ١٩١)، وابن أبي أصيبعة (٣٠/٢)، وابن خلكان وسماء « السر المكتون » (١/٦٧٦)، والياضي (٨/٤)، والحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال وقال: وله كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم « سحر صريح »؛ فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله (٣/٣٤٠) ت. البجاوي. وذكره الصفدي (٤/٢٥٦) وقال: « السر المكتوم في علم الطلاسم والنجوم »، والخوانساري في روضات الجنات (ص ٧٣١)، والشهرزوري في نزهة الأرواح (٢٩٤ ب)، وابن حجر في لسان الميزان (٤/٤٢٦)، وفي هامش الصفحة نقل المعلق كلام ابن السبكي في الطبقات في نفي نسبة الكتاب للفخر،

(١)راجع كتاب علم الفلك تاريخه عند العرب، تأليف: نلينو (ص ١٩٦) طبع روما، سنة (١٩١١م).

وكذلك نقل عن الفوائد البهية قول مؤلفها: إن هذا الكتاب ليس للفخر وإنما هو لأحد الملاحدة نسب إليه ليروجه بين الناس. وقد تبرأ الرازي نفسه من هذا الكتاب في بعض مصنفاته^(١). فالظاهر أنه نسب إليه وهو حي انتهى كلامه. والله أعلم. انظر: حاشية (ص ٤٢٦).

وذكره ابن تيمية في رسالة الفرقان (١/ ١٤٠)، مجموعة الرسائل، وفي الموافقة (١/ ١٩٤). كما ذكره ابن خلدون مع استبعاد أن يكون له؛ حيث قال: وذكر لنا أن الإمام الفخر ابن الخطيب وضع كتاباً في ذلك وسماه بـ (السر المكتوم)، وأنه بالشرق يتداوله أهله، ونحن لم نقف عليه، والإمام لم يكن من أئمة هذا الشأن - فيها نظن - ولعل الأمر بخلاف ذلك. (٣/ ١٢٥٤)، وأشار إليه ابن العماد في الشذرات وقال: ومن تصانيفه على ما قيل: كتاب: «السر المكتوم في مخاطبة الشمس والنجوم» - على طريقة من يعتقده - ومنهم من أنكروا أن يكون من مصنفاته (٥/ ٢١). ومن أنكروا أن يكون هذا الكتاب للفخر صاحب «تحفة الإرشاد» على ما نقل عنه عبد الرحمن بدوي في كتابه: «مؤلفات الغزالي» (ص ٤٩٧).

والكتاب نسب للغزالي أيضاً فنفاه الزبيدي في «إتحاف السادة» عنه ونقل بصيغة شك نسبته للفخر الرازي، انظر: إتحاف السادة (١/ ٤٣)، ومؤلفات الغزالي (ص ٣٨٦).

وأما ابن السبكي في الطبقات فإنه يقول: وأما كتاب: (السر المكتوم في مخاطبة النجوم) فلم يصح أنه له بل قيل: إنه مخلق عليه (٥/ ٣٥)، وفي الصفحة التالية: حين يرد على شيخه الذهبي مدافعاً عن الفخر قلت: وقد عرفناك أن هذا الكتاب مخلق، ويتقدير صحة نسبته إليه ليس بسحر فليتأمل من يحسن السحر (٥/ ٣٦).

وذكره طاش كبرى زاده بنص عبارة ابن السبكي الأولى: وأما كتاب «السر المكتوم في مخاطبة النجوم» فلم يصح أنه له وقيل: إنه مخلق عليه (٢/ ١١٩)، وفي حاشية الصفحة أورد المعلقان أن صاحب كشف الظنون رأى في كتاب أنه للحوالي أبي الحسن، كما نقل قول الذهبي في الميزان، ورد ابن السبكي عليه.

وفي كشف الظنون: السر المكتوم في مخاطبة الشمس والقمر والنجوم للإمام

(١) لعله يعني تبرأه مما فيه في مقدمته له.

فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة (٦٠٦هـ)، وقيل: إنه مختلق عليه فلم يصح أنه له وقد رأيت في كتاب أنه «للحواشي» أبي الحسن علي بن أحمد المغربي المتوفى سنة... والله - سبحانه وتعالى - أعلم. ثم يقول: قال التاج السبكي في هامشه: هذا الكتاب المسمى بالسر المكتوم في مخاطبة النجوم فلم يصح أنه له، وقيل: إنه مختلق عليه وبتقدير صحة نسبته إليه ليس بسحر فليتأمل من يحسن السحر انتهى. (وهذا يشعر أن ابن السبكي اطلع على نسخة منه وكتب على هامشها هذا). ثم ذكر حاجي خليفة رد زين الدين سريجا بن محمد الملطي، المتوفى سنة (٧٨٨هـ) وسماه انقضاؤ البازي في القصااص من الرازي (٢/ ٩٨٩، ٩٩٠).

هذه جملة الأقوال في هذا الكتاب ونسبته للفخر. وقد اتضح منها أن هؤلاء المؤرخين قد انقسموا إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى: وهم الأكثرون - نسبوه إليه.

والثانية: وتتمثل بابن خلدون، وطاش كبرى زاده، وحاجي خليفة - ترددوا في قبول نسبته إليه.

والثالثة: وتتمثل بابن السبكي ومن تابعه - نفت نسبته إليه بدون أي تحفظ.

ومع أننا كنا نتمنى لو كان في الوسع ذلك - الانضمام إلى ابن السبكي في نفيه لنسبة هذا الكتاب للفخر - إلا أن باحثاً^(١) سبقنا بالعثور على ما ينفي قول ابن السبكي ويؤكد قول شيخه الذهبي من أن الكتاب له من أقوال الفخر نفسه، وقد رجعنا إلى ما أشار إليه من كتب الفخر فتأكدنا من صحة ما نقله عنها، وقد قال الفخر في شرح الإشارات: ثم أرجع إلى السر المكتوم إن كنت راغباً في التحقيق (٢/ ١٤٣).

كما أحال عليه في شرح عيون الحكمة، وهو يتحدث عن اختلاف أحوال العالم بحسب اختلاف أحوال الشمس؛ فقال: فقد استقصينا فيه في المقالة الأولى من السر المكتوم (١٧٧ أ).

كما قال في الملخص وهو يتحدث عن السحر: الكلام المستقصى فيه والضمير يعود إلى السحر المذكور في - كتابنا - الذي سميناه بـ «السر المكتوم» (١٦١ أ).

وفي مقدمته هذا الكتاب يقول: أما بعد؛ فهذا كتاب نجمع فيه ملخص ما وصل إلينا من

(١) هو السيد محمد صالح الزركان في رسالته: (فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية)، (ص ١١٠).

علم الطلسمات والسحريات والعزائم ودعوة الكواكب مع التبري عن كل ما يخالف الدين واليقين. والتكلمان على الله؛ كما قال في آخره: « وإياكم أيها الإخوان المخلصون أن تكونوا هكذا ». وإنما نرجو أن يكون قد تاب عنه فإننا لا نظن بالفخر إلا خيراً. ولا نستطيع أن نبرر له هذا، وإنما نقول لعل شهوة التأليف في كل علم وفن هي التي جعلته يئلي بدلوه في هذا الباب أيضاً، إضافة إلى ما تقدم من أنه يرى وجوب تعلم السحر لكي يفرق بينه وبين المعجز^(١).

ولعل ما يؤيد هذا أن الرجل قد تبرأ مما فيه في مقدمته وحذر مما فيه أيضاً في خاتمته. ولهذا الكتاب نسخه خطية في إستانبول أحمد الثالث (٣٢٥٦)، وهذه النسخة فيلم في معهد المخطوطات، وعاشر أفندي (٥٧٣) نجوم وجفر، وكوبريلي (٩٢٥) نجوم، وأيا صوفيا (٢٧٩٦)، أدعية، في حلب - الأوقاف - (١٣٤١)، وبرلين (٥٨٨٦)، والمتحف البريطاني شرقي (٩١٤٧)، وفي مكتبات أخرى، وقد أشار بروكليمان إلى أنه طبع في بومباي بالهند (٦٦٩ / ١)، رقم: (٢٩)، (م)، وقيل: إن الفخر ألفه لخوارزم شاه. هذا ولا عبرة بقول صاحب: « الرازي مفسراً »: وأكاد أجزم أن هذا الكتاب منحول عليه. فهو قول لم يستطع التدليل عليه، وانظر: (ص ٩٩) من هذه الرسالة.

١٤٧ - جداول بأرواح لكل درجة من درجات الحيوانات وأثرها وأهميتها:
ذكرها بروكليمان في الملحق (٩٢٣ / ١)، ولها نسخة في باريس (٢٥٩٩).

١٤٨ - الاختيارات العلائية في الأعلام السماوية:

فارسي، ذكره القفطي بعنوان « الاختيارات العلائية في التأثيرات السماوية » (ص ١٩٢)، وابن أبي أصيبعة وذكر كتابين بهذه الصيغة: « كتاب الاختيارات العلائية »، « كتاب في الاختيارات السماوية » (٣٠ / ٢).

وكذلك فعل الذهبي في تاريخ الإسلام، والبغدادي في هدية العارفين والصفدي (٢٥٦ / ٤)، وقال: « الاختيارات السماوية »، وسماه ابن تيمية في رسالة الفرقان - ضمن المجموعة (١ / ١٤٠، ١٤١) بـ « الرسالة العلائية في الأحكام السماوية »، وطاش كبرى زاده (١ / ٣٣٨)، وهدية العارفين (٢ / ١٠٧)، وبروكليمان (١ / ٦٦٩)، وسماه « الاختيارات العلائية في التأثيرات السماوية ». وفي كشف الظنون (١ / ١٩): « الأحكام

(١) راجع: (ص ٩٩) من هذه الرسالة.

العلانية في الأعلام الساموية « فارسي مختصر في الاختيارات النجومية للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي... ألفه للسلطان علاء الدين محمد بن خوارزم شاه. ولذلك اشتهر بالاختيارات العلانية.

وانظر (٣٥ / ١) أيضًا. ولا نشك أن الكتاب واحد رغم هذا الاختلاف بالعنوان؛ حيث إن موضوعه واحد والملك الذي ألف له هذا الكتاب واحد أيضًا، وكما اختلف المؤرخون في ذكر عنوانه اختلف المفهرسون لخزانات الكتب باسمه أيضًا.

وله نسخ خطية في إستانبول فاتح (٥٣٠٨) مجاميع و (٥٣٦٠) (٧) باسم اختيارات لفخر الدين الرازي، وأيا صوفيا (٢٦٨٦)، وكوبرلي (١٦٢٤) (٨)، ووهبي أفندي (٨٨٥)، وروان كشك (١٧٠٥) ترجمة عربية، وفي باريس (١٢٣٦٠) (٢)، (٥٢١) (٥) و (٢٥٩٢)، وبرلين (٢٤٨٨)، وجامعة القاهرة (٧٥١)، (٨١٦)، (١٠١٨) فا.

١٤٩ - الرسالة الفخرية في الوفق:

في كشف الظنون: الرسالة الفخرية في الوفق مشتملة على مقدمة وخمسة أبواب. انظر: (٨٧٩ / ١). ولم يذكر حاجي خليفة لها مؤلفًا، فجاء العظم وأدرجها ضمن مؤلفات الفخر (ص ١٥٢)، ولا أظنه يملك أي مبرر لهذا غير كلمة الفخرية.

١٥٠ - الملخص في التنجيم:

ذكره ابن طاووس الحسيني المتوفى سنة (٦٦٢ هـ) في كتاب « فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم » طبع النجف سنة (١٣٦٨ هـ)، (ص ٢٠٤)، وقال: إن الرازي ألفه لخوارزم شاه، ومات وهو مسودة بخطه نحو ثلاثين كراسة. ولعله نفس كتاب السر المكتوم السابق؛ فقد قال الفخر في مقدمته: كتاب نجمة فيه ملخص ما وصل إلينا من علم الطبلسات والسحريات... إلخ؛ فالأول مؤلف لخوارزم شاه وفي مقدمته كلمة ملخص، وقد يكون ابن طاووس لم يطلع على عنوانه - السر المكتوم - خاصة وهو كما يقول قد رأى مسودة بخط الفخر، فرأى كلمة ملخص في مقدمته فعنونه بالملخص إذ لم نجد من يذكر الملخص في التنجيم غير ابن طاووس هذا.

خادي عشر: كتب عامة،

١٥١ - أنموذج العلوم.

١٥٢ - جامع العلوم.

١٥٣ - حقائق الأنوار.

١٥١ - أنموذج العلوم:

موسوعة أدرجها ضمن مؤلفات الفخر جليل العظم في عقود (ص ١٥٠)، وكذلك الزركلي في أعلامه (٣/٩٥٨).

وفي مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده (٢/١٢٥) قال - وهو يترجم لشمس الدين الفناري ويذكر مؤلفاته -: ٣ - ورسالة أتى فيها مسائل من مائة فن وسماها « أنموذج العلوم »، قيل: إن هذه الرسالة لابنه محمد شاه. والله أعلم. اهـ. وقال حاجي خليفة وهو يتحدث عن موضوعات العلوم: ألف فيها جماعة؛ منهم: الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي وذكر له حقائق الأنوار وفي حاشية الصفحة قال: وزاد محمد شاه بن الفناري على حقائق الأنوار أربعين علماً وصار المجموع مائة علم وسماه « أنموذج العلوم » وهو على طراز الحقائق لكنه على لسان العرب، والحقائق على لسان الفرس. اهـ. (١/١٨٤).

وهذا يدل على أن أنموذج العلوم هذا أصله للفخر، فترجمه الفناري وزاد عليه، ولم يوضح الزركلي، ولا العظم هذا.

١٥٢ - جامع العلوم:

ذكره حاجي خليفة، وقال: فارسي للإمام فخر الدين... وهو مجلد متوسط مشتمل على أربعين علماً - أوله: الحمد لله الذي أنشأنا بتصرفه... إلخ. ألفه للسلطان علاء الدين نكش الخوارزمي، وهو كتاب مفيد جداً. انظر: (١/٥٦٥).

وذكره براون في « تاريخ الأدب في إيران » (ص ٦١٥)، ذكر أنه كتبها للملك المذكور سنة (٥٧٤هـ/١١٧٨م). وانظر: (موسوعات العلوم العربية (ص ١٦).

لها نسخة في دار الكتب المصرية (٢١) مجاميع فارسية، وفي المتحف البريطاني رقم: (١٤٢) فارسي، وفي إسطنبول، أيا صوفيا (٣٨٣٢)، ونوري عثمانية (٣٧٦٠)، وحيدر آباد - آصفية - متفرقات (٨٥)، وباريس الأهلية (١٣٩٥).

١٥٣ - حقائق الأنوار:

ذكره حاجي خليفة، وقال: حقائق الأنوار في حقائق الأسرار للإمام فخر الدين

محمد بن عمر الرازي.. أورد فيه موضوعات ستين علماً، ألفه للسلطان علاء الدين تكش الخوارزمي. انظر: (١/ ٦٣٣)، و (٢/ ١٩٠٥)، وذكره الخوانساري في (ص ٧٢٩)، والبغدادي في هدية العارفين، وبروكلمان في الملحق (١/ ٩٢٣) وانظر: موسوعات العلوم العربية (ص ١٦)، وله نسخ خطية في إستانبول، أيا صوفيا (١٧٥٩)، وأسعد أفندي (٢٥٥٩)، وفي حيدر آباد - آصفية (٢/ ١١٩٨) (٢٧) فلسفة، و (٧٧) متفرقات.

ثاني عشر، كتب مجهولة الموضوع،

١٥٤ - دراهي خدا شيناسي.

١٥٥ - رسالة المصباح.

١٥٦ - شرح لمعات.

١٥٧ - المحاضر.

١٥٨ - نقد التنزيل.

١٥٤ - دراهي خدا شيناسي:

بالفارسية وتفسيرها: في قانون تفسير اسم الله. نسبها للرازي بروكلمان، الملحق (١/ ٩٢٣)، وأشار إلى وجودها في فاتح تحت رقم: (٥٤٢٦) (١٥ - ٢٦)، وتحت الرقم: المذكور لا وجود لهذه الرسالة ولا قريباً منها. وانظر: رسالة الزركان (ص ١٤٣)، فإذا لم يكن بروكلمان قد أخطأ في النقل، فلعلها شيء مقتبس من (لوامع البيان) كتب بالفارسية.

١٥٥ - رسالة المصباح:

توجد نسخة في إستانبول - أيا صوفيا - (٣٨٣٣) ملحق بكتاب جامع العلوم تحمل هذا الاسم ومنسوبة للفخر - رحمه الله - ولا نعلم شيئاً عن موضوعها.

١٥٦ - شرح لمعات:

في فهرس سليمية في إستانبول كتاب بهذا الاسم ويرقم: (٦٠٥) منسوب إلى الفخر، وفي المكتبة الأهلية في باريس نفس العنوان منسوب إلى فخر الدين إبراهيم بن شهریار العراقي برقم: (١٢٤). ويرجع نسبته لفخر الدين إبراهيم، كشف الظنون. انظر: (٢/ ١٥٦٣).

١٥٧ - المحاضر:

ذكره ابن حجر في اللسان (٤/ ٤٢٧)، ولم نستطع البت فيما إذا كان هذا العنوان هو لكتاب الحاضر وزاد المسافر رقم: (١٢٠)، ونصرف به الناقلون أو أنه عنوان لكتاب آخر.

وقد ذكر حاجي خليفة كتاباً بهذا العنوان - المحاضر - للإمام فخر الدين حسن بن منصور الأوزجندی، المعروف بـ (قاضيخان) المتوفى سنة (٥٩٢ هـ) فلعله هو صاحب الكتاب الذي نسبه لصاحبنا ابن حجر، والذي أوقع في اللبس تطابق لقيي الإمامين.

١٥٨ - نقد التنزيل:

ذكره صاحب كشف الظنون، وقال: قيل: هو للإمام الرازي، وأضاف: هو فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى (٦٠٦ هـ)، انظر: (٢/ ١٩٧٣)، وذكره صاحب هدية العارفين - البغدادي - (٢/ ١٠٨)، وجميل العظم (ص ١٥٤).



الفصل الثالث في مصنفات الفخر في أصول الفقه

وستتناول فيه الكتب التالية:

- ١٥٩ - إبطال القياس.
 - ١٦٠ - إحكام الأحكام.
 - ١٦١ - الجدل.
 - ١٦٢ - رد الجدل.
 - ١٦٣ - الطريقة في الجدل.
 - ١٦٤ - الطريقة العلائية في الخلاف.
 - ١٦٥ - عشرة آلاف نكتة في الجدل.
 - ١٦٦ - المحصل في أصول الفقه.
 - ١٦٧ - المعالم في أصول الفقه.
 - ١٦٨ - المنتخب أو منتخب المحصول.
 - ١٦٩ - النهاية البهائية في المباحث القياسية.
 - ١٥٩ - إبطال القياس:
- ذكره القفطي، وقال عنه: كتاب إبطال القياس لم يتم (ص ١٩٢)، وابن أبي أصيبعة (٢/٢٩)، والصفدي (٤/٢٥٥).
- وفي كتابه: «المعالم في أصول الفقه» ما يشعر بإكماله؛ حيث قال - بعد عرض حجج نفاة القياس، والرد عليهم -: ولنا كتاب مفرد في مسألة القياس، فمن أراد الاستقصاء في القياس رجع إليه^(١).

(١) انظر: المعالم (ص ١١٩) مخطوطة الأزهر. هذا إذا كان يقصد هذا الكتاب بإحاطته هذه، فإن له كتاباً آخر في المباحث القياسية سيأتي.

كما أنّ في هذه الإحالة ما يشعر بأنّ عنوانه الذي نقله المؤرخين قد يكون غير العنوان الذي وضعه هو له.

ولقد أُوهم عنوان هذا الكتاب كاتباً من المحدثين بأنّ الفخر من نفاة حجّية القياس؛ فقال: الرازيّ ممن ينفون القياس ولا يقولون به مصدرًا من مصادر التشريع فإنّ له رسالة في إبطال القياس، قلت: والأُنكى من هذا أنه أضاف قوله: كما يظهر في مواضع من تفسيره إنكاره للقياس^(١).

ولو أنّ هذا الباحث الفاضل اطلع على ما كتبه الفخر في المحصول عن القياس - لرأى أنّ الإمام عرض لمذاهب العلماء في القياس وأوضح حجج كل فريق، ثمّ عقب عليها بما نصه: «والذي نذهب إليه وهو قول الجمهور من علماء الصحابة والتابعين أنّ القياس حجة في الشرع»^(٢).

وإذا كان الرجوع إلى «المحصول» فيه شيء من المشقة عليه؛ لأنّه مخطوط فماذا عليه لو رجع إلى التدارسين قبل أن يرمي إمامًا من أئمة القائلين بحجّية القياس بالقول بنفي هذه الحجّة؟!؟

أبمثل هذه السداجة تعالج مثل هذه القضايا العلمية الخطيرة؟

إنّ هذا الكاتب ادعى لتأييد رأيه: أنّ إنكار الفخر للقياس يظهر في مواضع من تفسيره، وضرب مثلاً على ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [النورى: ١٠] حيث ذكر حجج نفاة القياس، ثمّ أورد اعتراضاً على حجّتهم وذكر ما يمكن أن يجيبوا به عن ذلك الاعتراض، ثمّ أنهى المعركة من غير أن يجيب عن جوابهم، ويديم الأخذ والرد إلى أن يرضى عنه الباحث الكريم.

ولذلك عقب هذا الباحث - بعد أن نقل ما في التفسير^(٣) - بقوله:

وربما قيل: إنه يحكي هنا حجة نفاة القياس، وهذا لا يدلّ على أنّه لا يرى رأيهم - هكذا - قلت: وأظنّه لم يصحح كتابه ولذلك فاته أن يرفع كلمة «لا» الأخيرة من عبارته (والجواب - والكلام للباحث الفاضل -: أن هذه ليست عادة الرازي في مناقشة الآراء

(١) راجع: الإمام فخر الدين الرازي للكتور علي محمد حسن العجاري (ص ١٩٧).

(٢) راجع: المحصول (٢/ ٥٥) - (أ) من مخطوطة صنعاء.

(٣) راجع: التفسير (٧/ ٢٦٣، ٢٦٤)، ط. الأخيرة.

فهو ينتهي دائماً بما يؤيد رأيه، وإذا لم يناقش هذه الحجة: علمنا أنها توافق رأيه، ولو كان له رأي مخالف لقوي الاعتراض الأخير، ووهن الرد عليه^(١). ا.هـ.

وهكذا أكمل الباحث الكريم نطقه بالحكم على الفخر بأنه من نفاة حجية القياس.

وقد فات الباحث وهو الذي أكثر من الحديث عن تفسير الرازي ومنهجه في التفسير، والعلوم التي تطرق إليها في التفسير، وغير ذلك مما حاول أن يوحى به أنه درس التفسير وصاحبه، أقول: لقد فاتته أن الرازي بحث موضوع القياس في التفسير بشكل مسهب وبيّن حجج القائلين به وقواها، وذكر حجج نفاة وأوهنها في مواضع عديدة؛ في مقدمتها ما قاله في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] - ونصه:

المسألة الثانية: اعلم أن هذه الآية - آية شريفة - مشتملة على أكثر علم أصول الفقه؛ وذلك لأن الفقهاء زعموا أن أصول الشريعة أربع: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس. وهذه الآية مشتملة على تقرير هذا الأصول الأربعة بهذا الترتيب؛ أمّا الكتاب والسنة فقد وقعت الإشارة إليهما بقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.

وبعد أن بين دلالة الآية على الاحتجاج بالكتاب والسنة والإجماع قال: المسألة الرابعة: اعلم أن قوله: ﴿إِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ يدل عندنا على أن القياس حجة، ثم أفاض في بيان دلالة الآية على المراد، وذكر ما لنفاة القياس من إيرادات وأجاب عنها، ثم بيّن مرتبة القياس، وأنه رابع أدلة الفقه معللاً لذلك، وبعد أن فرغ من بحث ذلك كله تحدث في المسألة الثانية عشرة عن مسائل من فروع القول بالقياس - فقال:

ذكرنا أن قوله: ﴿إِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ يدل على صحة العمل بالقياس - فنقول: كما أن هذه الآية دلت على هذا الأصل فكذلك دلت على مسائل كثيرة من فروع القول بالقياس ونحن نذكر بعضها، وذكر ست مسائل من أهم المسائل المتعلقة بالقياس، وختم بحثه الطويل هذا بقوله: فهذه المسائل الأصولية استنبطناها من هذه الآية في أقل من ساعتين، ولعل الإنسان إذا استعمل الفكر على الاستقصاء أمكنه استنباط أكثر مسائل أصول الفقه من هذه الآية.

(١) راجع: الإمام فخر الدين للعباري (ص ١٩٧).

أفلم يلحظ الباحث الكريم التشابه الكبير بين قول الله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ﴾ [النساء: ٥٩] وقول جل شأنه: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، وأن الفخر ما دام قد بحث الموضوع بشكل كامل في الآية الأولى فإنه يكفي أن يذكر شيئاً يسيراً في تفسير الآية الأخرى لمجرد التذكير بأن دلالة هذا النص على موضوع معين كدلالة ذلك؟!!

ولم يقتصر الفخر على هذا، لا في التفسير ولا في كتبه الأصولية، بل ظل يتعقب أقوال نفاة حجة القياس ويدحضها في سائر المواضع ذات العلاقة به. شأنه في ذلك شأنه في بحث سائر الأمور التي تخالف عقيدته الأشعرية أو مذهبه الشافعي. وكيف فات هذا الكاتب - وهو فيما يبدو من كلامه يعرف الفائلين بحجة القياس، والنافين له - أن أهم ما تمسك به جمهور أهل السنة في الاستدلال لقولهم بحجة القياس من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]، وهذه الآية من سورة الحشر؛ أي من السور التي ادعى أنه أثبت كونها من تفسير الفخر. والإمام الفخر حينما وصل إلى تفسير هذه الآية قال: اعلم أنا قد تمسكنا بهذه الآية في كتاب «المحصول من أصول الفقه» على أن القياس حجة فلا نذكره ها هنا^(١).

وفي مواضع متعددة من التفسير كان يفعل كما فعل في تفسيره لآية الشورى؛ فيذكر أن نفاة حجة القياس استندوا إليها فيما ذهبوا إليه، وبين وجه استدلالهم^(٢)؛ لا لأنه يرى رأيهم، بل لمحاولة استقرار كل ما يمكن أن يؤخذ من الآية من قبل علماء أية فرقة أو مذهب. وكذلك يفعل في سائر المواضيع سواء كانت أصولية أو كلامية أو فقهية أو سواها.

هذا؛ ولعل فيما أوردنا ما يكفي لإقناع هذا الباحث ونحوه بخطأ ما ذهب إليه، ولعلنا نتعظ ونتروى فلا نتجنى على العلم وأهله نتيجة قلة الاطلاع، أو قصور الفهم، أو بدافع من الرغبة في شهرة زائفة زائلة.

بقي شيء في هذه المسألة أود التنبيه عليه، وهو: أن الفخر - رحمه الله - كان

(١) راجع: التفسير (٨/ ١٢٧). ط. الحزبية.

(٢) راجع - على سبيل المثال وفيها يتعلق بالقياس خاصة - التفسير (٣/ ١٧)، و (٤/ ٣٧١)، و (٥/ ٣٠٩) و (٧/ ٢٦٣). ط. الحزبية.

يرى أن المعاصرين له من علماء بلاده يتمسكون بالقياس على غير الطريقة المذكورة في كتب المتقدمين^(١)، وكان يرى أن كثيرًا من هؤلاء العلماء لا يعرفون أن حججة القياس محل نزاع^(٢)، وكل ما يعرفونه ويؤكدونه أن القياس حجة. وحين يطلب منهم الاستدلال على حججته، فإنهم يحتجون بأمور ضعيفة.

ولما كان هؤلاء إمكانية قد لا تسمح فهم بالتلمذ عليه فإنه كان يرى في المناظرة أسلوبًا لتعليمهم من غير أن يشعرهم بذلك، يدرك ذلك من يقرأ مناظراته ومن المسائل الستة عشرة التي اشتملت عليها مناظراته كان نصيب القياس منها اثنتين هما السابعة والثامنة^(٣).

فلعله حين رأى هذه الحالة ألف كتابًا خاصًا يبحث موضوع القياس أسهب فيه في بيان أدلة القائلين بعدم حججته، ثم رد عليهم، ليستفيد من هذا الكتاب معاصروه، فاشتهر بـ «إبطال القياس». وإلا فإنه قد ثبت بما لا يدع مجالًا لأدنى شك أن الإمام واحد من أئمة القائلين بحججة القياس.

١٦٠ - إحكام الأحكام:

ذكرها القفطي في أخبار الحكماء (ص ١٩٢)، وابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء (٣٠/٢)، والصفدي في الوافي (٢٥٥/٤)، والبغدادي في هدية العارفين (١٠٧/٢)، ولم نجد فيها اطلعنا عليه من مؤلفاته إشارة إليه، كما لم نشر إليه كتب الأصول التي اطلعنا عليها، فلعله من كتبه المفقودة.

١٦١ - الجدل:

ذكر القفطي كتاب مباحث الجدل (ص ١٩١)، وذكره كذلك ابن أبي أصيبعة (٣٠/٢)، وفي فهرس كوبرلي في إستانبول (٣/٥١٩) كتاب الجدل والكاشف عن أصول الدلائل وفصول الملل، وفيها أيضًا نسخة أخرى بعنوان «الجدل»، وفي معهد مخطوطات الجامعة العربية فيلمان لهاتين النسختين.

١٦٢ - رد الجدل:

ذكره العظيم في (ص ١٥٢)، منفردًا بذكره.

(٢) نفس المرجع (ص ٢٨).

(١) راجع: المناظرات (ص ٢٦).

(٣) نفس المرجع (ص ٢٦ - ٣٢).

١٦٣ - الطريقة في الجدل:

هكذا ذكرها القفطسي (ص ١٩١)، وفي وفيات الأعيان: وله طريقة في الخلاف (١/٦٧٦)، وكذلك اليافعي (٨/٤)، ومثله في طبقات ابن السبكي (٥/٣٥)، وكذلك في مفتاح السعادة (٢/١١٨)، وفي كشف الظنون: الطريقة في الخلاف والجدل لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (٢/١١٣).

١٦٤ - الطريقة العلائية في الخلاف:

ذكرها ابن أبي أصيبعة وقال: الطريقة العلائية في الخلاف، أربع مجلدات (٢/٢٩)، ولم يذكر سابقتها، وذكرها القفطسي، وقال: كتاب الطريقة العلائية في الخلاف أربع مجلدات وذكر سابقتها (ص ١٩١)، وذكرها الصفدي ولم يذكر سابقتها (٤/٢٥٥)، وأغفلها ابن السبكي، وذكر السابقة. وذكرها البغدادي (٢/١٠٨)، وجعل العظم (ص ١٥٣).

وبالرغم من أننا لا نستكثر على الفخر أن يؤلف في هذا العلم أكثر من كتابين أو ثلاثة، شأنه في بقية العلوم إلا أن في النفس شكاً في صحة نسبة السابقة بالرغم من أن القفطسي ذكرها وذكر هذه أيضاً، فإنني أميل - والله أعلم - بعد أن قرأت عبارة ابن خلكان وابن السبكي، واليافعي، وطاش كبرى زاده، وهي كما قال ابن خلكان: وله مؤاخذات على النحاة وله طريقة في الخلاف، إلى أن المقصود أن له أسلوباً متميزاً في الخلاف؛ فكما أن قوله: وله مؤاخذات على النحاة، لم يعن به أن له كتاباً بهذا العنوان، فكذلك قوله: وله طريقة في الخلاف. ولعل العنوان الكامل للطريقة العلائية هو: الطريقة العلائية في الخلاف والجدل، وتكون كتاباً واحداً هو هذا، واختلفت المصادر بنقل عنوانه.

١٦٥ - عشرة آلاف نكتة في الجدل:

انفرد بذكره فهرس جوتا (٩٨٠).

١٦٦ - المحصل في أصول الفقه:

انفرد في ذكره البغدادي في هدية العارفين (٢/١٠٨)، ولعله وهم منه.

١٦٧ - المعالم في أصول الفقه:

ذكر القفطسي كتاب: «المعالم في الأصلين» (ص ١٩١)، وقال ابن خلكان: وفي أصول

الفقه، المحصول والعالم (١/ ٦٧٦)، كما ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (٢٧/ ٦٤٣)، وابن السبكي في الطبقات (٥/ ٣٥)، والبيهقي في المراجعة (٤/ ٧)، وابن العماد في الشذرات (٥/ ٢١)، والصفدي في الوافي (٤/ ٥٥)، وابن قاضي شعبة في طبقات الشافعية - مايكروفلوم - وابن أبي أصيبعة ذكر أن صاحب نجم الدين، أبو زكريا يحيى ابن شمس الدين محمد بن عبدان اللبودي اختصر كتاب: «المعالم في الأصوليين». انظر (٢/ ١٨٩)، وهو يعني المعالم في أصول الدين، والمعالم في أصول الفقه، وإن كان حين ذكر مصنفات الفخر ذكر «المعالم» بالافراد مطلقاً لم يحدد ما إذا كانت في أصول الدين أو أصول الفقه. انظر: (٢/ ٢٩).

كما ذكره طاش كبرى في المفتاح (٢/ ٥٩٩)، وحاجي خليفة في الكشف قال: وشرحه علي بن الحسين الأرموي المتوفى سنة (٧٥٧هـ) ومن الذين شرحوا المعالم - أيضاً - شرف الدين بن إبراهيم بن إسحاق المناوي المتوفى سنة (٧٥٧هـ)، وشرف الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي الفهري المعروف بابن التلمساني والمتوفى سنة (٦٤٤هـ). انظر: (٢/ ١٧٢٦، ١٧٢٧). ولشرح ابن التلمساني نسخة في أحد الثالث (١٣٥٣)، ولها صور في معهد المخطوطات.

وللمعالم نسخ خطية في الأزهر وفيها نقص (١١٧) أصول، وفي ظاهرية دمشق (٣٩)، (٥٥)، (٥٨)، (٦٢)، وفي إستانبول - جاز الله (٢/ ١٢٦٢)، وأحمد الثالث (١٣٠١)، ولاله لي (٧٨٧)، وفي القزويني (١٦١٢)، وبانكيور (١٠/ ٥٧). وانظر ما كتبناه عن «المعالم في أصول الدين» (ص ١٨٠) من هذه الرسالة.

١٦٨ - المنتخب أو منتخب المحصول:

ذكره - منسوباً إلى الفخر - الصفدي في الوافي (٤/ ٢٥٥)، وابن العماد في الشذرات (٥/ ٢١)، وابن قاضي شعبة، وفي طبقات الشافعية «الطبقة الخامسة عشرة» والخوانساري في روضاته (ص ٧٢٩)، وحاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٦١٦)، والبغدادلي في هدية العارفين (٢/ ١٠٨)، والعظيم في عقود الجوهر (ص ١٥٤).

وله نسخة خطية في فاتح (١٤٦٤)، ولها فيلم في معهد المخطوطات، طبعنا عنه نسخة. ونسخة ثانية في ظاهرية دمشق - (١٥) ف.

وأوله بعد الديباجة: هذا مختصر في أصول الفقه انتخبته من كتاب «المحصول»

وسميته بـ «حاصل المحصول» ورتبته على مقدمة وفصول... إلخ.

وعلى الورقة الأولى كتب عنوانه بلفظ: «كتاب منتخب المحصول في الأصول»، وعلى طرفها كتب «حاصل محصول».

ويبدو أن في نسبة الكتاب إلى الفخر شكاً قديماً؛ فقد نقل ابن السبكي عن ابن الرفعة أنه قال في المطلب في الجراح فيها إذا كان الشاج أكبر: وفي المنتخب المعزى لابن الخطيب، أنها للمشتري وقد نوقش فيه انتهى. (قلت): وقد أجاد في قوله: «المعزى لابن الخطيب» لأن كثيراً من الناس ذكروا أنه لبعض تلامذة الإمام. اهـ كلام ابن السبكي^(١).

ولعل هذا الشك قد تسرب إلى نحو ابن السبكي مما قاله القرافي في النفائس؛ فإنه قد نقل عن تلميذ الإمام - شمس الدين الخسروشاهي - قوله: أكمله ضياء الدين حسين، فلما كمل وجد عبارته تحالف الكراسين الأولين، فغيرهما بعبارته وهذا هو «المنتخب» وعقب عليه بقوله: فالمنتخب لضياء الدين حسين، لا للإمام فخر الدين. ويوجد في بعض النسخ: قال محمد بن عمر، إشارة للإمام فخر الدين - وهو وهم، ليس للإمام فخر الدين في اختصاره شيء^(٢). اهـ.

فإذا صح ما قاله القرافي، لزم أن يقال: إن الإمام وقد ثبت أنه قد بدأ في المنتخب لم يتمه، وإنما عمل القدر الذي أشار إليه الخسرو شاهي. وإلا فإن الإحالات على المنتخب - منسوبة إلى الفخر - أكثر من الكثرة في الكتب الأصولية المختلفة.

وأما اشتهاؤه باسم «المنتخب» مع أن ما نقلناه من مقدمته ظاهر في أنه سماه بـ (حاصل المحصول) فلعل ذلك لورود كلمة «انتخبته» في مقدمته.

وعلى هذا يمكن القول بأن المنتخب كتابان: كتاب مستقل بتأليفه ضياء الدين حسين، وكتاب آخر ابتدأ الفخر به ولكنه لم يكمله، وأكمله ضياء الدين حسين، وتكون النسخ التي ورد فيها قوله: فهذا مختصر انتخبته من كتابي المحصول، هي من منتخب الإمام الذي لم يكمل، لا كما زعم القرافي: بأنه وهم. وأما النسخ التي لم ترد فيها مثل هذه العبارة فهي مما استقل بتأليفه، وانتخابه ضياء الدين حسين.

هذا ومن شرح «المنتخب» القاضي ناصر الدين، عبد الله بن عمر البيضاوي،

(٢) راجع: النفائس (٧/١) أ.

(١) راجع: الطبقات (٣٩/د).

المتوفى سنة (٦٩١)، أو (٦٨٥هـ)^(١).

١٦٩ - النهاية البهائية في المباحث القياسية:

ذكره الصفدي في الوافي (٢٥٥/٤). ولعله هو المعنى بقول الفخر في المعالم - (ص ١١٩) ولنا كتاب مفرد في مسألة القياس، فمن أراد الاستقصاء في القياس رجع إليه.

وقد أكثر شارح «المحصول» الأصفهاني من ذكرها والإشارة إليها. انظر - على سبيل المثال - : (٢٠٢/٣ أ)، (٢٠٣ أ)، (٢٠٩ أ)، (٢١١ ب)، (٢٥١ أ)، و (٢٦٥ أ)، (٣١٥ أ)، وغيرها.

(١) راجع: مقدمة حاشية الشهاب الخفاجي على تفسيره. ط. بولاق.



خاتمة

وبعد هذه الجولة الممتعة مع الإمام فخر الدين الرازي الإنسان والعالم والمؤلف وكتبه ودراساته نستطيع القول بأننا قد قمنا بتقديمه لأجيالنا الطالعة نموذجاً يمكن أن يحتذى ويتأسى به في العناية بالعلم والانصراف له، ومكابدة المشاق في تعلمه وتعليمه والكتابة والتأليف فيه. ولعلنا قد نجحنا في إعطاء صورة دقيقة عن هذا الإمام الذي إذا أطلق الأشاعرة والشافعية خاصة كلمة الإمام دون تقييد أو ذكر للاسم فأول من يتبادر إليه الذهن هو الإمام فخر الدين الرازي الذي احتمل مكانته بينهم عن جدارة واستحقاق، فمؤلفاته التي ذكرناها وثبت لدينا صحة نسبتها إليه ثلاث وتسعون ومائة مؤلف، تناول فيها جميع ما عرف في زمانه من علوم جاوز عددها المائة علم وفن. لقد كان الإمام شغوفاً بأن يكون له في كل علم كتاب مرجعي يصلح أن يكون مرجعاً لأهل ذلك العلم أو الفن.

وقد أفلح في تحقيق أمنيته تلك فترك لنا ثروة لا تقدر بثمن تناول فيها علوم زمانه كلها بالتأليف والتصنيف والكتابة والتأصيل، وقد أوتي الإمام حظاً في كتبه وحظاً أفضل منه في تلامذته الذين جاوز عددهم الأربعمائة، ولكل منهم أثر يُذكر ولا يُنكر في العلوم والمعارف المتداولة. والعلم بين اثنين - كما يقولون - ولذلك فإن أهل العلم مدينون لتلامذة الإمام الرازي بمثل ما هم مدينون له؛ فلو لا أولئك التلامذة الذين كانوا يحاورونه ويجادلونه ليستخرجوا في كل مسألة منه ما يشفي ويكفي لما أمكن للإمام أن يغطي كل تلك المساحات المعرفية بالتأليف.

ولقد قبض الله للإمام تلامذة اتسم الكثيرون منهم بنكران الذات، فلم يكونوا يكتبون بكتابة إماماته بل تجاوز بعضهم ذلك إلى إعداد كتب من تأليفهم واستئذانه بوضع اسمه عليها بدلاً من أسمائهم؛ وذلك لأن اسمه يؤدي إلى احترام الكتاب والترويج له ووصوله إلى العديد من أولئك الذين ما كان الكتاب ليسترعي انتباههم بحيث يجعلهم على اقتنائه لولا حمله لاسم الإمام، إذا كنا في عصرنا هذا لا نرتضي مثل هذه التصرفات وننتفضها، فلذلك أسبابه التي تكاد تكون معروفة للجميع وهي على خلاف ما كان عليه الوضع بين الأئمة وتلامذتهم؛ لأن الكثير من كتب القوم خاصة المكثرين منهم؛ أمثال الغزالي والرازي ومن إليهما كانوا يمارسون الإملاء على التلامذة، فالتلميذ قد يجد أن جهده

فيه ليس علمياً أو معرفياً؛ لأن العلم والمعرفة والمنهج يعود إلى المملي الشيخ لا إلى المستملي التلميذ؛ ولذلك فإن الطالب يشعر أن من الوفاء لشيخه أن يكون هذا الكتاب الذي هو مجرد صياغة لأفكار الشيخ يحمل اسم الشيخ لا تلميذه الذي قصر دوره على الكتابة والترتيب لا على التفكير والتأصيل.

دراسة أعلام مثل الإمام الرازي لعل فيها ما يحض أبناء أجيالنا من طلبة العلم على القيام بالمبادرات الجريئة والذكية، وإنما الطموح والرغبة في ممارسة العلم ونشره تأليفاً وتعليماً. فإن الأمم أحوج ما تكون في فترات انحسارها لاستخلاص العبر والدروس من فترات ازدهارها. والله الموفق.



السيرة الذاتية للمؤلف

١. د. طه جابر العلواني.
- ولد في العراق عام (١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م).
- ليسانس كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر (١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م).
- ماجستير كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر (١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م).
- دكتوراه أصول الفقه، كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر (١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م).
- شارك في تأسيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الولايات المتحدة عام (١٤٠١هـ / ١٩٨١م)، ثم اختير رئيساً له مدة عشر سنوات (١٩٨٦ - ١٩٩٦م).
- رئيس جامعة قرطبة في الولايات المتحدة منذ (١٩٩٦م) وحتى الآن.
- عضو مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة، ورئيس المجلس الفقهي لأمريكا الشمالية.
- * آثاره:
- أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم في الخلاص منها، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، (٢٠٠٥م).
- الأزمة الفكرية ومناهج التغيير، بيروت، دار الهادي، (٢٠٠١م).
- إصلاح الفكر الإسلامي: مدخل إلى نظام الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر، بيروت، دار الهادي، (٢٠٠١م).
- الجمع بين الفرائدين، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، (٢٠٠٥م).
- الخصوصية والعالية في الفكر الإسلامي، بيروت، دار الهادي، (٢٠٠١م).
- لا إكراه في الدين، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، (٢٠٠٥م).
- لسان القرآن ومستقبل الأمة المقطب، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، (٢٠٠٦م).
- مقاصد الشريعة، بيروت، دار الهادي، (٢٠٠١م).
- مقدمة في إسلامية المعرفة، بيروت، دار الهادي، (٢٠٠١م).
- نحو التجديد والاجتهاد، جزآن، القاهرة، دار تنوير، (٢٠٠٨م).
- نحو منهجية معرفية قرآنية، بيروت، دار الهادي، (٢٠٠١م).
- نحو موقف قرآني من النسخ، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، (٢٠٠٦م).
- الوحدة البنائية للقرآن المجيد، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، (٢٠٠٦م).
- تحقيق المحصول من علم أصول الفقه، ستة مجلدات، الإمام فخر الدين الرازي، بيروت، دار الرسالة، ونعد دار السلام طبعته الثالثة.

رقم الإيداع

٢٠١٠ / ١٦٥٣٨

I.S.B.N الترقيم الدولي

978 - 977 - 342 - 942 - 3